كتب الأنساب العربية

الدكتور إحسان النص

الأمة العربية من الأمم التي كان لها عناية كبيرة بأنسابها وتدوينها ، ومن أقوى الدوافع لعناية القبائل العربية بأنسابها النظام القبلي الذي كان سائداً قبل الإسلام ، والعصبية القبلية التي كان لها الكلمة الأولى عصرئذ . وقد ظلت الحياة في المجتمع العربي حقبة طويلة قبل الإسلام وبعده مرتبطة بالأوضاع القبلية ، ولم يستطع قيام الدولة الإسلامية أن يلغي هذه الأوضاع فكان توزيع العطاء قائماً عليها ، وكذلك كان تخطيط الأمصار المحدثة مرتبطاً بالأساس القبليّ . وهذا التخطيط القبليّ كان من أبرز دواعي احتدام العصبيات القبلية في عصر الدولة الأموية ، وكذلك كان تجنيد الجند قائماً على استدعاء كل قبيلة لرجالها . لهذه الدواعي كلها برزت عناية القبائل بحفظ أنسابها ، فكان لكل قبيلة نسّابة أو أكثر يحفظون أنسابها ، وعن نسّابي القبائل هؤلاء أخذ علماء النسب فيما بعد معارفهم النسَبية .

وعلى رغم أن الإسلام حارب العصبية القبلية لأنها تهدّد كيان الدولة الإسلامية الناشئة ،وحدة الأمة العربية فإن الرسول عليه السلام وخلفاءه حثّوا على العناية بالأنساب وحفظها ، وقد روي عن رسول الله قوله : « تعلّموا من أنسابكم ماتصلون به أرحامكم ، فإنّ صلة الرّحم محبّة في

الأهل ، مَثْراة في المال ، مَنْسَأةٌ في الأجَل ، مَرضاةٌ للربّ . »[١] ، وروي عن عمر بن الخطّاب قوله : « تعلّموا من أنسابكم ماتصِلون به أرحامَكم . »[٢] .

يمكن أن نحدّد بدء تدوين الأنساب بمنتصف القرن الثاني الهجري على وجه التقريب ، وكانت المرحلة الأولى تدوين أنساب القبائل مفردة ؛ وفي المرحلة الثانية اتخذ تدوين الأنساب شكلاً أوسع ، فظهرت كتب الأنساب الجامعة .

وقد استقى النسّابون مادّة مصنّفاتهم النسَبية من مصادر شتّى ، فأُخذ جلّ أنساب القبائل العربية عن قدامى نسّابي القبائل ، ورجع مصنّفو كتب الأنساب الى هؤلاء النسّابين فاستقوا منهم مادّة كتبهم . وقد ذكر الجاحظ وابن قتيبة وابن النديم أسماء طائفة من هؤلاء النسّابين الأوائل الذين أخذ عنهم مصنّفو كتب الأنساب[٣] ، وهم الطبقة الأولى من علماء النسب ، وقد عاصر بعضهم الرسول عليه الصلاة والسلام .

واستقى مدوّنو الأنساب جلّ أنساب الأمم القديمة من التوراة ومن أفواه أهل الكتاب . ونجد في كتب الأنساب إشارة الى استمدادهم من هذين المصدرين ، فنجد مثلاً في جمهرة ابن حزم قوله : « وهود عليه

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢ / ٣٧٤ . ابن حزم : جمهرة الأنساب ص ٢ . ولهذا الحديث روايات أخرى تقارب هذه الرواية (انظر مقدمة كتاب الأنساب للسمعاني ص د ومابعدها) .

(٢) جمهرة ابن حزم ص ٥ ، والأنساب للسمعاني ص ١١ بلفظ مقارب .

(٣) انظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ج ١ ص ٣١٨ ومابعدها ، وابن قتيبة ، المعارف ص ٥٣٤ ومابعدها ، وابن النديم ، الفهرست ص ٤٨ ومابعدها .

السلام ، من عاد ، ولاترى باقية لعاد ، والذي في التوراة من أنه قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، عليه السلام ، فقد بيّنّا في كتابنا الموسوم بـ « الفِصَل » يقين فساد نقل التوراة ، الخ .. »[٤]

ومن أهل الكتاب الذين أُخذ عنهم كثير من أخبار القدماء وأنسابهم وهب بن منبّه ، وكعب الأحبار . وقد ذكر ابن النديم أنّ ابن إسحاق كان يحمل عن اليهود والنصارى ويسمّيهم في كتبه « أهل العلم الأول »[٥] .

من أقدم النسّابين الذين أخذ عنهم مدوّنو الأنساب **دَغْفَل بن حَنظلة** السّدوسيّ ، أدرك النبيّ عليه السلام ووفد على معاوية ، وأتاه قُدامة بن ضرار القُريعيّ فنسبه حتى بلغ أباه الذي وَلَده[٦] . وقال فيه ابن خلّكان : « وكان أنسب العرب ، وقد قتلته الأزارقة ، وقيل إنه غرق بدُجيل يوم وقعة دولاب ، وهو الأصحّ . »[٧]

ومنهم **صُحار بن عَيّاش** العَبْدي ، من قبيلة عبد القيس الرّبعية ، وكان أيام معاوية . ويذكر ابن النديم أنه روى عن الرسول حديثين أو ثلاثة ، وكان من العثمانية ثم اعتنق مذهب الخوارج ، وله مع دغفل أخبار ومحاورات ، ومن كتبه كتاب الأمثال[٨] .

---

(٤) ابن حزم : الجمهرة ص ٧ ـ ٨ ، وانظر أيضاً : المعارف لابن قتيبة ص ٩ ، والاشتقاق لابن دريد ص ٥ .

(٥) ابن النديم : الفهرست ص ١٣٦ .

(٦) الفهرست : ص ١٣١ .

(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤ / ٨٦ .

(٨) الفهرست ص ١٣٢ .

ومنهم **النسّابة البكريّ** ، ولم يذكر ابن قتيبة وابن النديم اسمه ، وقد ذكرا أن رُؤْبة بن العجّاج روى عنه ، ونُقل عن الأصمعي أنه كان نصرانياً[٩] .

وقد استمدّ محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام معارفهما النسبيّة عن طائفة من نسّابي القبائل . قال هشام بن محمّد : « قال لي أبي : أخذت نسب قريش عن أبي صالح ، وأخذه أبو صالح عن عقيل بن أبي طالب . قال : وأخذت نسب كندة عن أبي الكِناس الكندي[١٠] ، وكان أعلم الناس . وأخذت نسب معدّ بن عدنان عن النخّار بن أوس العُذري[١١] ، وكان أحفظ الناس ممّن رأيت وسمعت به . وأخذت نسب إياد عن عَديّ بن رِئاث الإيادي[١٢] ، وكان عالماً بإياد.» قال هشام: وأخذت نسب ربيعة عن أبي وعن خِراش بن إسماعيل العِجلي[١٣] . .

وأبو صالح الذي أخذ عنه محمد بن السائب أنساب قريش اسمه **ذَكوان السمّان** ، مولى جويرية بنت الأحمس الغطفاني كان يجلب

---

(٩) ابن قتيبة : المعارف ص ٥٣٤ . الفهرست ١٣١ .

(١٠) كذا ضبط في الفهرست ، وضبط في البيان والتبيين ١ / ٣٦٢ : أبو الكُباس ، وهو أدنى الى الصحة ، فلم يسمع عن العرب أنهم سمّوا بكناس ، اما كباس فكان مألوفاً (انظر : الاشتقاق ص ٢٢٥ والقاموس المحيط مادة كبس) .

(١١) ضبط في الفهرست : النّجار ونسب الى عدوان ، والصواب ماأثبتناه ، وقد ذكر الجاحظ أنه كان ربما حمي فنخر (البيان ١ / ١٠٥) ، وانظر في تحقيق نسبه : جمهرة ابن حزم ص ٤٤٨ .

(١٢) كذا ضبط اسمه في الفهرست ، ويرجح أن لفظ (رئاث) محرّف عن (رئاب) لأننا لم نسمع برئاث في أسماء العرب أما رئاب فهو كثير (انظر مثلاً القاموس المحيط مادة رأب) .

(١٣) الفهرست ص ١٣٩ .

الزيت والسمن الى الكوفة ، ويزاول تعليم الصبيان ، وكان من أهل المدينة ، ومن ثقات المحدّثين ، ومن أوثق الناس في أبي هريرة ، وكان يروي عن ابن عباس وعن عقيل بن أبي طالب وغيرهما من علماء قريش توفي سنة ١٠١ هـ(١٤) .

وكان يعاصر دغفلاً **الحَنْتَف بن يزيد بن جَعْونة** ، وهو من بني العنبر من تميم ، وكانت بينه وبين دغفل مساجلات أورد الجاحظ طرفاً منها(١٥) .

ومن طبقة دغفل والحنتف أيضاً **زيد بن الكيّس النَمَري** ، من النَمِر بن قاسط ، وهو الذي قال فيه مسكين الدارميّ :

وعنـــــد الكيّسِ النَمَريّ علمٌ ولـــــو أمسى بُمنخرِق الشِمال(١٦)

ومن نسّابي قريش الذين أخذ عنهم نسب قريش وغيرها أبو بكر الصدّيق ، وعُمر بن الخطّاب ، وجُبير بن مُطعِم ، وسعيد بن المسيَّب ، وابنه محمد بن سعيد ، وأبو الجَهْم بن حُذيفة العَدَوي ، وعقيل بن أبي طالب .

وقد تحدث ابن حزم عن نسّابي قريش فقال : « كان أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، وأبو الجهم بن حُذيفة العدوي ، وجُبير بن مطعم من أعلم الناس بالأنساب . وكان عمر وعثمان وعليّ به علماء ، رضي الله عنهم ، وإنما ذكرنا أبا بكر وأبا الجهم بن حُذيفة وجُبيراً قبلهم لشدة

---

(١٤) المعارف ص ٥٤٧ ؛ الذهبي : تذكرة الحفاظ ١ / ٨٣ ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣ / ٢١٩ .

(١٥) البيان ١ / ٣١٨ .

(١٦) البيان ١ / ٣٢٢ .

رسوخهم في العلم بجميع أنساب العرب[١٧] .

وذكر الجاحظ علماء النسب في قريش فقال : « وكان أبو بكر ، رحمه الله ، أنسب هذه الأمة ، ثم عمر ، ثم جُبير بن مُطعم ، ثم سعيد بن المسيّب ، ثم محمد بن سعيد بن المسيّب .[١٨] »

تتفق الأقوال في أن أبا بكر الصديق كان اماماً في علم النسب وعنه أخذ جل نسّابي قريش ، ولمعرفته الواسعة بالأنساب أشار الرسول عليه السلام على حسّان بن ثابت بأن يأتيه ليعرّفه أنساب قريش[١٩] .

كان جُبير بن مطعم (ت ٥٩ هـ) من أبرز علماء قريش بالنسب ، وقد شهد له ابن حجر بالتقدم في هذا العلم بقوله : « كان أنسب قرشي لقريش والعرب قاطبة[٢٠]». ويذكر الجاحظ أنه أخذ علم النسب عن أبي بكر الصدّيق ، وعن جبير أخذ سعيد بن المسيّب (ت ٩٤ هـ) ، وكان عمر بن الخطاب يسأله عن أنساب العرب[٢١] .

وكان أبو الجهم بن حُذيفة العَدوي أحد أربعة علماء كانت قريش تأخذ عنهم النسب[٢٢] . وذكر الزبيريّ أنه كان من مشيخة قريش ، وقد صحب الرسول عليه السلام ، وكان من المعمَّرين بنى في الكعبة مرّتين ، مرة في الجاهلية ومرّة في الإسلام[٢٣] . ورأينا ابن حزم يجعله أحد

(١٧) ابن حزم : جمهرة الأنساب ص ٥ .
(١٨) الجاحظ : البيان والتبيين ١ / ٣١٨ .
(١٩) الأصفهاني : الأغاني ٤ / ١٣٧ .
(٢٠) ابن حجر : الإصابة ١ / ٢٢٧ .
(٢١) البيان ١ / ٣٠٢ .
(٢٢) الإصابة : ٧ / ٣٤ .
(٢٣) المصعب بن عبد الله الزبيري : نسب قريش ص ٣٦٩ .

الراسخين في علم النسب . وذكر الجاحظ أن أبا الجهم كان كثير التعرّض لمثالب الأمّهات[٢٤] .

وكان سعيد بن المسيّب المخزومي يجمع الى المعرفة بالأنساب الفقه ، فكان من أفقه التابعين ، وكان يدعى راوية عمر لكثرة استعانة عمر بن الخطاب به في أقضيته وأحكامه[٢٥] .

ونسب الجاحظ الى عقيل بن أبي طالب أنه كان نسّاباً عالماً بالأمهات ، ووصفه بأنه كان مبين اللسان ، سديد الجواب ، لايقوم له أحد[٢٦] . وذكر في موضع آخر أنه كان كثير التعرّض لمثالب الناس فعاداه القوم لذلك وقالوا فيه وحمّقوه[٢٧] . وقد توفي عقيل في خلافة معاوية بعدما عمي[٢٨] .

وذكر الجاحظ في مواضع أخرى طائفة من نسّابي قريش منهم **عُتبة بن عمر** بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي، وكان أثيراً عند الحجاج ، ومن ذوي الرأي والدهاء[٢٩] . ومنهم **يحيى بن عروة بن الزبير** الذي ضربه ابراهيم بن هشام المخزومي ، والي المدينة ، حتى مات[٣٠] . ومنهم **عَمرو بنُ خَولة** ، من ولد سعيد بن العاصي ، وكان ناسباً

(٢٤) البيان ١ / ٣٢٢ .
(٢٥) ابن قتيبة : المعارف ص ٤٣٧ ؛ أبو الفرج بن الجوزي : صفة الصفوة ٢ / ٤٤ .
(٢٦) البيان ١ / ٣٢٢ .
(٢٧) البيان ٢ / ٣٢٤ .
(٢٨) المعارف ص ٢٠٤ . وانظر في أخباره أيضاً : الإصابة ٤ / ٢٥٥ ونكت الهميان ص ٢٠٠ .
(٢٩) البيان ١ / ٣١٩ . جمهرة ابن حزم ص ١٤٥ ـ ١٤٦ . نسب قريش ص ٣٠٩ .
(٣٠) البيان ١ / ٣٢٠ .

خطيباً وراوية فصيحاً[٣١] .

ومن مشهوري النسّابين القدامى **النخّار بن أوس العُذري** الذي أخذ عنه الكلبيّ ، توفي نحواً من سنة ٦٠ هـ ، ينتمي الى قبيلة بني الحارث بن سعد هُذيم وهم حلفاء بني عُذرة بن سعد هُذيم[٣٢]، ولهذا نسب الى عُذرة . وكان خطيباً عالماً بالأنساب قال فيه ابن حزم : « كان أنسب العرب »[٣٣] وكان معاصراً لجميل بثينة ، وله أخبار معه في كتاب الأغاني ، وهو الذي دخل على معاوية ملتفاً بعباءة فازدراه ، فقال له : « ياأمير المؤمنين ، إن العباءة لاتكلمك وانما يكلّمك مَن فيها »[٣٤] . فأعجب به وجعله من ندمائه ، وكان لايصبر عن مجالسته ومحاورته .

ومن نسّابي بني تيم **أبو بكر بن الحكَم** ، وكان يجمع بين المعرفة بالأنساب والرواية والشعر ، ويذكر الجاحظ أنه كان أحلى الناس لساناً وأحسنهم منطقاً وأكثرهم تصرّفاً[٣٥] .

ومن نسّابي بني تَيم الله بن ثعلبة **ابن لسان الحُمّرة** وقد اختلف في اسمه فهو وَرقاء بن الأشعر ، أو عبد الله بن الحُصَين[٣٦] ، قال فيه ابن قتيبة : « كان أنسب العرب وأعظمهم بصراً » ، وهو أعرابي عاش في أوائل العصر الأموي ، وقد ضُرب به المثل فقيل : « أنسب من ابن لسان

---

(٣١) البيان ١ / ٣٢٠ .

(٣٢) جمهرة ابن حزم ٤٤٨ .

(٣٣) جمهرة ابن حزم ٤٤٨ .

(٣٤) البيان والتبيين ١ / ٢٣٧ .

(٣٥) البيان ١ / ٣١٩ .

(٣٦) انظر : المعارف ص ٥٣٥ والقاموس المحيط مادة (حمر) ، والأغاني ١٦ / ٨٩ .

الحُمرة » ، وله أخبار طريفة مع معاوية ومع المغيرة بن شعبة[٣٧] .

ومن نسّابي كلب حمّاد بن بشر الكلبي ، وقد جعله الجاحظ أعلى علماء كلب علماً ، وقد ضرب به المثل ، قال سِماك العكرمي :

فسائل دَغفلاً وأخا هلال وحمّاداً ينبّوك اليقينا

وكذلك ضرب ثابت قطنة به المثل في سعة علمه[٣٨] .

ومن النسّابين الأوائل كذلك عبد الله بن عمرو[٣٩] المعروف بابن الكَوّاء اليشكريّ . ذكره ابن قتيبة وقال فيه : « كان ناسباً ، عالماً كبيراً » ، وفيه يقول مسكين الدارميّ :

هلمّ الى بني الكوّاء تقضوا بحكمهم بأنساب الرّجال[٤٠]

وكان ابن الكوّاء في أول أمره من أصحاب عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه، وكان كثير المساءلة له ، ثم خرج عليه بعد صفّين، وكان من رؤوس الشراة الذين قاتلهم عليّ يوم النهروان ، ثم كان في جملة الخوارج الذين قاتلهم المهلّب بن أبي صفرة[٤١] .

هؤلاء هم الطبقة الأولى من علماء النسب ، وعنهم أخذ مدوّنو الأنساب معارفهم النَّسَبية .

---

(٣٧) انظر الأغاني ١٦ / ٨١ ؛ مجمع الأمثال للميداني ص ٣٠٩ ؛ الفهرست ص ١٣٢ . والحمرة ضرب من الطير .

(٣٨) البيان ١ / ٣٢٢ .

(٣٩) كذا ضبط اسمه في جمهرة ابن حزم (٣٠٨) وفي أكثر المصادر ، وفي تاريخ الطبري ٥ / ٢١٢ : عبد الله بن أبي أوفى .

(٤٠) المعارف ص ٥٣٥ .

(٤١) الفهرست ص١٣٣ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ص ٣٤٠ ؛ الأغاني ١٤ / ٢٧٦ . وانظر طائفة من أخباره في تاريخ الطبري ١ / ٧٥ ؛ ٤ / ٣١٨ ، ٣٣٧ ؛ ٥ / ٦٣ ، ٦٥ ، ٩١ ، ٢١٢ .

وقد بدأ تدوين الأنساب منذ منتصف القرن الثاني الهجري أو بعيد ذلك ، واتجه بعض علماء النسب الى تدوين أنساب قبيلة بعينها أو طائفة من القبائل ، كما اتجّه آخرون الى تأليف كتب جامعة في الأنساب .

من النسّابين الذين ظهروا في تلك الحقبة **عَوانة بن الحكَم الكلبيّ** (توفي سنة ١٤٧ هـ)[٤٢] ، ذكر ابن النديم أنه كان من علماء الكوفيين ، راوية للأخبار ، عالماً بالشعر والنسب ، وكان فصيحاً ضريراً ، وعدّ من كتبه كتاباً في التاريخ وآخر في سيرة معاوية وبني أمية ولم يذكر له كتباً في الأنساب[٤٣] . وجاء في مصادر أخرى أنه كان عثمانياً يضع الأخبار لبني أمية ، وكان كثير الرواية عن التابعين ، وقد أكثر المدائني في النقل عنه[٤٤] .

ومنهم أيضاً **زُهير بن ميمون الفرقيّ** الهَمْداني ، مولى النَّخع ، أحد علماء الكوفة وكان نحوياً قارئاً عالماً بالنسب ، ولم تذكر له مؤلفات في الأنساب[٤٥] ، توفي سنة ١٥٥ هـ .

ومن نسّابي هذه الحقبة **أبو المثنى الشَّرقيّ بن القُطاميّ الكلبيّ** (توفي نحواً من ١٥٥ هـ) واسمه الوليد بن الحصين ، كان من علماء أهل الكوفة بالأنساب والأدب ، استقدمه أبو جعفر المنصور الى بغداد ليؤدب ولده المهديّ ، وكان صاحب سمر ولم يذكر له ابن النديم كتباً في النسب[٤٦] .

---

(٤٢) الفهرست ص ١٣٤ ، وفي لسان الميزان أنه توفي سنة ١٥٨ هـ .

(٤٣) الفهرست ص ١٣٤ .

(٤٤) ابن حجر : لسان الميزان ص ٣٨٦ ؛ الصفدي : نكت الهميان ص ٢٢٢ .

(٤٥) الفهرست ص ١٣٢ ؛ إنباه الرواة ٢ / ١٨ .

(٤٦) الفهرست ص ١٣٢ ؛ المعارف ص ٥٣٩ ؛ لسان الميزان ٣ / ١٤٢ ؛ جمهرة ابن حزم =

وأشهر نسّابي هذه الحقبة **محمد بن السائب الكلبيّ** (ت ١٤٦ هـ) . كان أبوه من أصحاب عليّ وشهد معه الجمل وصِفّين ، وقتل مع مصعب بن الزبير سنة ٧٣ هـ .

كان محمد إماماً في النسب والتفسير ، لقي الفرزدق في بعض المجالس فنَسب تميماً حتى بلغ الفرزدق فأنبأه لمَ لقّبه أبوه بهذا اللقب .

ويذكر ابن خلّكان أن الكلبيّ كان من أصحاب عبد الله بن سبأ وأنه شهد وقعة دير الجماجم مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث .

ونقل الجاحظ أن الذين بثّوا العلم في الدنيا أربعة : قتادة ، والزّهري ، والأعمش ، والكلبي .

لم يصلنا للكلبيّ مصنّفات في النسب وإنما وصلتنا مصنفات ابنه هشام ، وقد استمدّ الكلبي معارفه النسبية من طائفة من نسّابي القبائل تحدثنا عنهم آنفاً . واستمدّ هشام ابنه عظم مادة كتبه عن أبيه . وقد ذكر ابن النديم من مصنّفاته كتاب تقسيم القرآن[٤٧] .

يستخلص من الأخبار التي انتهت إلينا أن أول من صنف كتاباً شاملاً في الأنساب هو **أبو اليَقْظان سُحيم بن حفص** (ت ١٩٠ هـ) مولى بني تميم ، وسُحيم لقب له واسمه عامر ، وكان عالماً بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب ، ثقة فيما يرويه ، وكان المدائني يروي عنه . وقد ذكر له ابن النديم من كتب الأنساب : كتاب نسب خِندف وأخبارها ، وكتاب النسب الكبير . وله الى ذلك كتاب أخبار تميم

= ص ٤٥٩ ؛ تاريخ بغداد ٤٨٣٨ .

(٤٧) الفهرست ص ١٣٩ ؛ وفيات الأعيان ٤ / ٣٠٩ . البيان ١ / ٢٤٢ .

وكتاب النوادر(٤٨) .

ومن أعلام نسّابي هذه الحقبة أبو فَيد **مؤرّج بن عمرو السَّدوسيّ** البصري (ت ١٩٥ هـ) ، وهو من أوائل العلماء الذين صنّفوا في الأنساب . صحب الخليل بن أحمد وأخذ عن أبي زيد الأنصاري وأبي عمرو بن العَلاء وغيرهما . كان عالماً بالشعر والأنساب واللغة والنحو ، وكانوا يقولون إن الأصمعي كان يحفظ ثلث اللغة ، والخليل يحفظ ثلثها ، ومؤرّج يحفظ الثلثين ، من كتبه : كتاب الأنواء ، كتاب غريب القرآن ، كتاب جماهير القبائل ، كتاب المعاني ، كتاب « حذف من نسب قريش » ، وهو من أقدم ماوصلنا من الكتب المصنّفة في الأنساب ، وسنتحدث عنه فيما بعد(٤٩) .

ومن مشهوري النسّابين في أواخر القرن الثاني **أبو البَخْتَريّ** وَهب بن وهب القرشي (ت ٢٠٠ هـ) الذي تولّى القضاء للرشيد ، وكان فقيهاً أخبارياً ناسباً ، وله من كتب النسب كتاب نسب ولد اسماعيل بن إبراهيم(٥٠) .

وفي أواخر القرن الثاني الهجري أيضاً يؤلف أعظم كتب الأنساب التي انتهت إلينا ، وهو كتاب « جمهرة النسب » **لهشام بن محمد بن السائب الكلبي** (ت ٢٠٤ هـ) وهو أشهر مصنفي كتب الأنساب العربية ، وسنتحدث عنه وعن كتابه بالتفصيل فيما بعد .

---

(٤٨) الفهرست ص ١٣٨ ؛ معجم الأدباء ١١ / ١٨٠ .

(٤٩) الفهرست ص ٧١ ؛ معجم الأدباء ١٩ / ١٩٦ ؛ إنباه الرواة ٣ / ٣٢٧ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ١٣٠ .

(٥٠) الفهرست ص ١٤٦ .

ومنذ القرن الثالث الهجري تزداد العناية بتصنيف الكتب في الأنساب ، وممّن عُنوا بتدوين الأنساب **الهيثم بن عديّ الطائي** (ت ٢٠٧ هـ) ، وكان عالماً بالشعر والأخبار والأنساب ، نقل الكثير من كلام العرب وعلومها وأشعارها ولغاتها ، واختصّ بمجالسة المنصور والمهديّ والهادي والرشيد ، وذكر ابن خلكان أنه كان يرى رأي الخوارج . صنف كثيراً من الكتب في الأدب والتاريخ والأنساب ومن كتبه في الأنساب : نسب طيّئ، بيوتات قريش، بيوتات العرب، النواقل[٥١].

وقد ذكر ابن النديم أن **أبا عُبيدة معمر بن المثنى** (ت ٢١٠ هـ) صنّف كتاباً في الأنساب سمّاه كتاب « القبائل »[٥٢] ، كما ذكر **للأصمعي عبد الملك بن قُريب** (ت ٢١٧ هـ) كتاباً في النسب كذلك[٥٣] . إلا أن شهرة هذين العالمين لاتقوم على معرفتها بالأنساب وإنما على روايتها الواسعة للأشعار والأخبار .

وممّن عُنوا بالتصنيف في الأنساب في تلك الحقبة **أبو الحسن المدائني عليّ بن محمد** (ت ٢٢٥ هـ) مولى بني عبد شمس ، وكان من أهل الأخبار ومن المؤرخين الأعلام فضلاً عن كونه من علماء النسب . وكان المدائني من أهل البصرة ولكنه سكن المدائن فنسب اليها ثم انتقل عنها الى بغداد وتوفي فيها . صنف عشرات من الكتب في التاريخ وأخبار العرب والشعراء ذكرها ياقوت في معجم الأدباء ، ومن كتبه في

(٥١) وفيات الأعيان ٦ / ١٠٦ ؛ الفهرست ص ١٤٥ ، والنواقل : قبائل تنتقل من قوم إلى قوم .

(٥٢) الفهرست ص ٧٩ .

(٥٣) الفهرست ص ٨٢ .

الأنساب : كتاب نسب قريش وأخبارها[٥٤] .

وممّن صنّف في الأنساب كذلك أبو عُبيد القاسم بن سَلاّم (ت ٢٢٤ هـ) وقد وصلنا كتابه في النسب ، وقد طبع مؤخراً في بيروت[٥٥] .

وقد روى عن ابن الكلبي طائفة من النسّابين والرواة من أشهرهم **محمد بن حبيب** (ت ٢٤٥) وهو من أبرز من عُنوا بجمع دواوين الشعر العربي ، فضلاً عن عنايته بالأنساب ، وقد روى عن ابن الكلبي كتاب جمهرة النسب كما صنّف طائفة من كتب النسب منها : كتاب النسب ، كتاب العمائر والربائع في النسب ، كتاب المؤتلف والمختلف في النسب ، وسوف نتحدث عن هذا الكتاب فيما يأتي .

ومن مصنّفي كتب الأنساب الذين ذكرهم ابن النديم **سعيد بن الحكم** المعروف بابن أبي مريم ، وله من الكتب : كتاب النسب ، كتاب نواقل العرب[٥٦] .

ومنهم **محمد بن عبد الرحمن بن عبدة** ، وقد ألّف مايزيد على عشرة كتب في النسب ومنها : كتاب النسب الكبير ، على مثال كتاب ابن الكلبي ، وكتاب مختصر أسماء القبائل ، وكتاب الكافي في النسب ،

---

(٥٤) الفهرست ص ١٤٧ ؛ معجم الأدباء ١٤ / ١٢٤ .

(٥٥) الفهرست ص ١٠٦ .

(٥٦) الفهرست ١٣٩ معجم الأدباء ١١ / ٢١٢ . ولم نقف على ترجمة مفصلة له ولا على تاريخ وفاته ، ويحتمل أن يكون منسوباً إلى أبي مريم السلولي واسمه مالك بن ربيعة ، وهو من الصحابة ، أو إلى أبي مريم الحنفي إياس بن صبيح ، وهو الذي قتل زيد بن الخطاب ، أخا عمر بن الخطاب .

وكتاب معدّ بن عدنان وقحطان ، ونسب بني فقعس ، ونسب كنانة . وقد جمع بين تأليف الكتب العامة في النسب والكتب التي تناولت أنساب قبيلة بعينها[٥٧] .

ومنهم علّان الشعوبيّ الورّاق . وليس لدينا أخبار وافية عن ترجمته ولانعرف تاريخ وفاته وكل ماعرفناه عنه أنه كان ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة ، وأنه كان يقول الشعر وكان راوية عالماً بالأنساب ، وكان شعوبياً ألّف كتباً في مثالب العرب ، ومع ذلك نجد له كتباً في فضائل طائفة من القبائل ، من كتبه في الأنساب : كتاب نسب تغلب ابنة وائل وكتاب نسب النمر بن قاسط[٥٨] .

ومنهم محمد بن صالح بن مَهران بن النّطّاح البصري (ت ٢٥٢ هـ) مولىبني هاشم ، وكان مؤرّخاً عالماً بالأنساب والسير راوية للسنن ، وهو أول من صنّف كتاباً في الدولة وأخبارها . من مصنفاته في النسب : كتاب أفخاذ العرب ، كتاب البيوتات ، كتاب أنساب أزدعمان[٥٩] .

وقد ظهر في تلك الحقبة عالمان مشهوران من آل الزبير عُنيا بالأنساب وصنّفا كتباً فيها ، أولهما : مصعب بن عبد الله الزُبيري (ت ٢٣٣ هـ) وقد ألّف في النسب كتابين هما : كتاب النسب الكبير ، وكتاب نسب قريش ، وقد وصل إلينا هذا الكتاب وطبع وسوف

---

(٥٧) الفهرست ص ١٥٣ ، وقد ضبط اسمه : عبد الرحمن بن عبدة والتصويب من نسخة طهران .

(٥٨) الفهرست ١٥٣ ؛ معجم البلدان ١٢ / ١٩١ .

(٥٩) الفهرست ص ١٥٦ ؛ تهذيب التهذيب ٩ / ٢٢٧ ؛ تاريخ بغداد ٥ / ٢٥٧ .

نتحدث عنه وعن مؤلفه فيما يأتي .

وثانيها : **الزُّبير بن بكّار** (ت ٢٥٦ هـ) وله في النسب كتاب نسب قريش وهو مطبوع وسأقف عنده وعند مؤلفه فيما بعد .

ومن مصنّفي كتب الأنساب عصرئذ **عُمر بن شبّة** أبو زيد (ت ٢٦٢ هـ) العالم اللغوي الأخباريّ ، وقد ذكر له ابن النديم كتاباً اسمه كتاب النسب[٦٠] .

وعلى أن كتاب « أنساب الأشراف » **لأحمد بن يحيى البلاذُري** (ت ٢٧٩ هـ) يتجه إلى التأريخ أكثر مما يتّجه إلى تدوين الأنساب بوسعنا أن نعدّه في جملة ما صُنف من كتب الأنساب .

ومن مصنّفي كتب الأنساب في القرن الثالث **أبو العبّاس المبرّد محمد بن يزيد** (ت ٢٨٥ هـ) ، العالم اللغوي النحوي المشهور مؤلف كتاب « الكامل » فقد ألف كتاباً مختصراً في الأنساب سمّاه « نسب عدنان وقحطان » ، وهو مطبوع[٦١] .

هؤلاء أشهر مصنّفي كتب الأنساب الذين ذكر جُلّهم الجاحظ في البيان والتبيين وابن قتيبة في المعارف وابن النديم في الفهرست ، ولانجد في الفهرست ذكراً لمؤلفي كتب الأنساب الذين ظهروا بعد القرن الثالث ـ وقد توفي ابن النديم سنة ٣٨٥ هـ ـ ولم يصلنا من مؤلفات من ذكرهم هؤلاء إلا أقلّها ، وهي التي سأقف عندها في حديثي عن كتب الأنساب .

---

(٦٠) الفهرست ص ١٦٣ . معجم الأدباء ١٦ / ٦٠ .

(٦١) من مصادر ترجمته : معجم الأدباء ١٩ / ١١١ ، والفهرست ص ٨٧ ، وفيات الأعيان ٤ / ٣١٣ .

استمرّ تصنيف كتب الأنساب بعد القرن الثالث ، ولكنّ عدد المؤلفين في الأنساب تضاءل منذ ذلك الحين .

وليس من همّنا هنا أن نستوفي ذكر جميع من ألّفوا في الأنساب منذ القرن الرابع ، وحسبنا أن نذكر من وصلت إلينا مؤلفاتهم ، وسوف يتناول حديثنا مؤلفي الكتب الشاملة في الأنساب وكذلك من ألفوا في أنساب قبيلة أو طائفة من القبائل ، وكذلك من ألّفوا في تحقيق أسماء القبائل واختلافاتها . ولن نتحدّث هنا عمّن ألفوا كتباً في الأنساب على غير هذه المناهج .

فمن مصنّفي كتب الأنساب في القرن الرابع أحمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) ، إلا أنه لم يفرد كتاباً مستقلاً للأنساب وإنما تناولها في أحد أجزاء مصنّفه الموسوعي « العقد الفريد » .

ولأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) صاحب كتاب الأغاني طائفة من الكتب في الأنساب ذكرها ياقوت وابن خلّكان منها : « جمهرة النسب » ، و « نسب بني عبد شمس » و « نسب بني شيبان » و « نسب بني تغلب » و « نسب بني كلاب » ، ولكن هذه الكتب لم تصل إلينا[٦٢]

وفي القرن الخامس الهجري ظهر مؤلّفان مشهوران عُنيا بالأنساب أوّلهما ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٧ هـ) مؤلف كتاب « جمهرة أنساب العرب » ، وثانيهما يوسف بن عبد البرّ النمريّ (ت ٤٦٣ هـ) ، وله كتابان صغيرا الحجم في الأنساب هما : « الإنباه على قبائل الرواة » و « القصد والأمم في التعريف بأنساب العرب والعجم » ، وستكون هذه

---

(٦٢) معجم الأدباء ١٣ / ٩٤ ، وفيات الأعيان ٢ / ٢٠٧ .

المؤلفات موضع حديثنا فيما بعد .

وثمة مؤلف نُشر كتابه في الأنساب مُؤخراً هو سَلَمة بن مسلم العَوتبيّ الصحاري ، وترجمة المؤلف تكاد تكون مجهولة ، ويرجّح بعضهم أنه عاش في القرن الخامس ، ولكن محقق الكتاب يستبعد ذلك ، وسوف نعود إلى الحديث عنه فيما يأتي .

ومن مصنّفي كتب الأنساب في القرن السابع الهجري عبد الله أحمد بن قُدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) مؤلف كتاب « التبيين في أنساب القرشيين » ، وهو مطبوع . وكتاب « الاستبصار في أنساب الأنصار » .

وفي القرن التاسع الهجري نجد ثلاثة من العلماء يصنّفون في الأنساب هم الأشرف بن رسول (ت ٨٠٣ هـ) مؤلف كتاب « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب » .

والمؤرّخ عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) الذي وقف جانباً من تاريخه المشهور على أنساب العرب .

وثالثهم شهاب الدين القلقشندي (ت ٨٢١ هـ) مؤلف كتابي : « نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب » ، و « قلائد الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزمان » ، كما أنه أفرد باباً للأنساب في الجزء الأول من موسوعته « صبح الأعشى » . ولم يستوف فيه نسب كل قبيلة ولكنه ذكر بطونها المشهورة ، وقيمته تكمن في ذكره من وجد من هذه البطون في عصره في مصر والشام وغيرهما . وقد اعتمد البغدادي السويدي على كتابه نهاية الأرب في عمل جداول للأنساب وسمّى كتابه : سبائك الذهب في

معرفة قبائل العرب .

وثمة نسّابون عنوا بأنساب اليمانية خاصة نذكر منهم : أبا الحسن محمد بن الحسن الهَمْداني المعروف بابن الحائك الهَمْداني (ت ٣٣٤ هـ) مؤلف كتاب « صفة جزيرة العرب » ، فقد ألّف في أخبار اليمن وأنسابها وبلدانها وتواريخ ملوكها كتاباً ضخماً هو كتاب « الإكليل » في عشرة مجلّدات .

ومنهم **أحمد بن إبراهيم الأشعري** الذي ألّف كتاباً مختصراً في الأنساب سمّاه « اللُّباب في معرفة الأنساب » ، وهو غير كتاب اللباب لابن الأثير .

ولم نعرض هنا للتأخرين والمعاصرين ممّن ألفوا في الأنساب .

وسنقف عند المؤلفين الذين وصلتنا مصنفاتهم لنتحدث عنهم وعن مؤلفاتهم .

أنماط التأليف في كتب الأنساب

كتب الأنساب التي تحدثنا عنها آنفاً هي كتب عامة في أنساب قبائل العرب ـ وهي التي تعنينا في بحثنا هذا في المرتبة الأولى ـ وهي إما كتب في أنساب قبائل العرب كافة ، وإما كتب في أنساب قبيلة بعينها ، والكتب المختصّة بأنساب قبيلة بعينها أكثرها يتناول نسب قبيلة قريش .

وثمة أنماط أخرى في تأليف الأنساب ، منها كتب **المؤتلف والمختلف** . وهي تنحو إلى ضبط أسماء القبائل ، وبيان القبائل التي تتفق في أسمائها أو تلك التي تقاربها في اللفظ ، أو تخالفها . ومن هذه الكتب مثلاً : كتاب « مختلف القبائل ومؤتلفها » لمحمد بن حبيب ، وكتاب « الإيناس في علم الأنساب » للوزير المغربي ، وكتاب « الأنساب

المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط » للمقدسي .

ومنها كتب عنيت ببيان **اشتقاق أسماء** القبائل ، ولدينا منها كتاب واحد هو كتاب « الاشتقاق » لابن دريد ، فضلاً عمّا نجده في معجم « تاج العروس » من عناية بهذا الجانب .

وطائفة أخرى من كتب الأنساب عنيت بذكر القبائل التي تحوّلت عن نسبها إلى قبائل أخرى وتدعى **كتب النواقل** ، ولم يصلنا ـ فيما أعلم ـ أي من هذه الكتب .

واتجهت طائفة أخرى من النسّابين الى **اختصار** كتب النسب المشهورة تيسيراً للاطّلاع عليها ، ومن أشهرها كتاب « مختصر جمهرة النسب » المجهول المؤلف ، وهو مختصر لكتاب ابن الكلبي في النسب ، وللعلامة حمد الجاسر دراسة عنه حاول فيها تحقيق اسم مؤلفه[٦٣] ، ومنها كتاب « المقتضب من جمهرة النسب » لياقوت الحموي ، وهو كذلك اختصار لكتاب ابن الكلبي .

وأخيراً ثمة مؤلفات عنيت **بأنساب الرجال** لا أنساب القبائل وأشهرها كتاب الأنساب للسمعاني ، وهذا اللون من التأليف لن نعرض له في حديثنا هذا لأنّ غرضنا أن نقف عند المؤلفات التي عنيت بأنساب القبائل العربية .

والآن إلى التفصيل في الحديث عن هذه المؤلّفات .

أولاً ـ الكتب الشاملة في الأنساب

١ ـ جمهرة النسب لابن الكلبيّ

(٦٣) انظر مجلة العرب ، آب ١٩٨٦ .

المؤلف*

هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد العزّى بن امرىء القيس بن عامر ... وينتهي نسبه إلى قبيلة كَلْب بن وَبَرة ، وهي إحدى قبائل قُضاعة القحطانية .

وابن الكلبي هو أعظم مؤلّفي كتب الأنساب العربية ، كان عالماً بالنسب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها . أخذ علمه بالنسب عن أبيه أبي النَّضر محمد بن السائب ، إلا أن أباه لم يعن بتأليف الكتب فجاء ابنه بعده وألف كثيراً من الكتب في الأنساب وأخبار العرب وأيامهم وأخبار الأوائل وأخبار الشعراء وفي موضوعات أخرى .

حدّث هشام عن أبيه محمد وعن مجاهد ، وروى عنه ابنه العبّاس وخليفة بن خياط ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ومحمد بن أبي السّريّ البغدادي وأبو الأشعث أحمد بن المقدام وغيرهم[٦٤] .

كان ابن الكلبيّ وأبوه من أهل الكوفة ، وكان لأسرتها صلة قوية بالبيت العلويّ ، وقد شهد جدّه بشر وبنوه السائب وعبيد وعبد الرحمن وقعتي الجمل وصفّين مع عليّ ، ويبدو أن الأسرة كانت في صف المعارضين لبني أمية ، فقد انحازت إلى عبد الله بن الزبير ثم إلى ابن الأشعث ،

---

* ترجمته في طبقات ابن سعد ٦ / ٢٤٩ والفهرست ص ١٤٠ ، ووفيات الأعيان ٦ / ٨٢ ، ومعجم الأدباء ١٩ / ٢٨٧ ، وتاريخ بغداد ١٤ / ٤٥ ، وجمهرة الأنساب لابن حزم ص ٤٥٦ ، والوافي بالوفيات لابن أيبك الجزء ٢٧ الورقة ١٤٩ وتذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٣١٤ ، والتهذيب لابن حجر ٩ / ٢٦٦ . وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ج ٣ / ٣٠ .

(٦٤) جاء في معجم الأدباء أنه أخذ عن محمد بن أبي السري ومحمد بن سعد وأبي الأشعث والصحيح أنهم أخذوا عنه (انظر وفيات الأعيان والوافي بالوفيات) .

ويذكر ابن خلكان أن السائب قتل مع مصعب بن الزبير وأن ابنه شهد وقعة دير الجماجم مع عبد الرحمن بن الأشعث[٦٥] .

وكان الكلبيّ أبو النضر محمد بن السائب إماماً في النسب والتفسير وأخبار العرب وأيامها ، ولكن الثقات يضعّفونه في الحديث ، وقد سبق الحديث عنه .

ذكر الخطيب البغدادي أن ابن الكلبي دخل بغداد وحدّث بها وأنه قال : « حفظت مالم يحفظه أحد ونسيت مالم ينسه أحد ، وكان لي عمّ يعاتبني على حفظ القرآن ـ يريد على عدم حفظه ـ فدخلت بيتاً وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن ، فحفظته في ثلاثة أيام[٦٦] .

ويروى عن إسحاق الموصلي قوله : « رأيت ثلاثة كانوا إذا رأوا ثلاثة يذوبون وهم : الهيثم بن عديّ إذا رأى هشاماً الكلبي ، وعلّويه إذا رأى مُخارقاً ، وأبا نواس إذا رأى أبا العتاهية[٦٧] » .

يذكر بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي أن هشاماً اقتفى خطوات أبيه وحاول أن يتم ما ماجمعه بالبحث والتنقيب في الآثار التي كانت باقية بكنائس الحيرة ليستكل تاريخ اللخميين ، وأنه بسبب هذا النهج الذي سار عليه في البحث نقم عليه معاصروه واتهموه بالوضع

(٦٥) وفيات الأعيان ٦ / ٣٠٩ ، وهذا يخالف ماجاء في جمهرة ابن حزم من أن السائب قتل يوم صفين مع علي (ص ٤٥٩) .

(٦٦) تاريخ بغداد ١٤ / ٤٥ .

(٦٧) الفهرست ص ١٤٠ . وفي معجم الأدباء : الزهري مكان الهيثم بن عدي .

والكذب ووجّهوا إليه المطاعن، على أنه لم يعد من يحامي عنه وينتصر له ، ومن هؤلاء ياقوت الحموي الذي قال فيه : « لله درّه ماتنازع العلماء في شيء من أمور العرب إلا وكان قوله أقوى حُجة » ويذكر بروكلمان كذلك أن هشاماً نال حظوة كبيرة لدى الخليفة المهدي لما أشاعه من مثالب بني أمية[٦٨] .

وفيما ذكره بروكلمان حول دوافع اتّهامه بالوضع نظر ، فقد أنكر عليه بعض معاصريه روايته لأخبار لاتبعث على الثقة ، وكان ابن حنبل لا يرضى عن روايته ويقول فيه : « إنه كان صاحب سمر ونسب ، ماظننت أني آخذ الحديث عنه » وضعّفه الدارقطني كذلك[٦٩] . وكان أبو الفرج الأصفهاني يعلن شكّه أحياناً في صحة بعض مروياته[٧٠]، وقد أورد في الأغاني كلاماً له يستخلص منه أنه كان لايتورّع من الكذب في النسب أحياناً ، قال : « أول كذبة كذبتها في النسب أن خالد بن عبد الله (القسري) سألني عن جدته أم كرز ، وكانت بغياً لبني أسد يقال لها زرنب ، فقلت له : هي زينب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر بن قعين ، فسُرّ بذلك ووصلني . »[٧١] . على أننا لاينبغي أن نبالغ في اتّهام ابن الكلبي بالوضع ، فهو على أي حال أعظم من ألّف في الأنساب

(٦٨) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي (المترجم) ٣ ـ ٣١ .

(٦٩) الوافي بالوفيات ج ٢٧ ورقة ١٤٩ .

(٧٠) انظر مثلاً : الأغاني ١٠ / ٤٠ وقد وردت فيه عبارة : « وهذا من أكاذيب ابن الكلبي » ، وهي عبارة تدلّ على اتهام أبي الفرج ابن الكلبي في مروياته وأن من عادته رواية مالا يصحّ .

(٧١) الأغاني ٢٢ / ١٣ .

من علماء العرب وكتابه في النسب هو المصدر الذي استمدّ منه جميع مؤلفي الأنساب بعده .

توفي ابن الكلبي سنة أربع ومائتين للهجرة ، وقيل سنة ست ومائتين ، وترك لنا أكثر من مائة وخمسين مصنّفاً في الأنساب والأحلاف وأخبار العرب وأخبارالشعراء وغير ذلك . وقد أثبت ابن النديم أسماء مؤلفات ابن الكلبي مرتبة وفق موضوعاتها . على أنه بعد أن ذكر كتبه في الأخبار والأسمار (ص ١٤٢) انتقل مباشرة إلى الحديث عن كتاب « النسب الكبير » ولم يضع عنواناً لكتب الأنساب . وحين نرجع إلى ثبت كتب الأنساب فيه لانجده يذكر في عدادها كتاب « جمهرة النسب » ، ونحن نرجّح لهذا أن في المطبوعة سقطاً في ذكر كتب الأنساب ، وهذا السقط نجده في جميع الطبعات مما يدلّ على أنها كلها اعتمدت على مخطوطة واحدة ، ويؤيّد وقوع هذا السقط أن ياقوتاً أثبت ، نقلاً عن الفهرست ، مؤلفات ابن الكلبي في الأنساب فذكر أسماء كتب لانجدها في كتاب الفهرست المطبوع . ونحن نثبت هنا ماذكره ياقوت استيفاءً لإحصاء كتب ابن الكلبي في الأنساب ـ وهي التي تعنينا هنا .

قال ياقوت : « تصانيفه تزيد على مائة وخمسين مصنفاً ذكر منها ابن النديم نقلاً عن أبي الحسن بن الكوفي مايأتي : (تعداد كتبه في غير الأنساب) ... كتاب المُنَزَّل ، وهو كتاب النسب الكبير ، كتاب أولاد الخلفاء ، كتاب أمّهات النبيّ صلى الله عليه وسلم ، كتاب أمهات الخلفاء ، كتاب العواتك ، كتاب تسمية ولد عبد المطّلب ، كتاب كنى آباء الرسول ، جمهرة الأنساب رواها عنه ابن سعد كاتب الواقدي » ثم أضاف ياقوت قوله : « هذا ماذكره ابن النديم من تصانيفه ، ولهشام أيضاً : الفريد في الأنساب ، صنّفه للمأمون ، والملوكيّ في الأنساب أيضاً ، صنّفه

لجعفر بن يحيى البرمكي ، والموجز في النسب أيضاً ، وغير ذلك . »[٧٢] .

ونحو هذا نجده في وفيات الأعيان ، يقول ابن خلكان بعد أن ذكر طائفة من مصنّفاته : « وأحسنها وأنفعها كتابه المعروف بالجمهرة في معرفة الأنساب ، ولم يصنّف في باب مثله ، وكتابه الذي سمّاه « المنزل » وهو في النسب أيضاً ، وهو أكبر من الجمهرة ، وكتاب الموجز في النسب أيضاً وكتاب الفريد صنّفه للمأمون في الأنساب ، وكتابه « الملوكي » صنّفه لجعفر بن يحيى البرمكي في النسب[٧٣] . »

وحين نرجع إلى الفهرست نجد ابن النديم ينتقل من الحديث عن كتبه في الأخبار والأسمار إلى الحديث عن كتاب النسب الكبير ودون أن يضع عنواناً كالعناوين التي وضعها للكتب الأخرى ويقول : « قال محمد بن إسحاق (أي ابن النديم) : فأما كتاب النسب الكبير فيحتوي على نسب كنانة بن خزيمة الخ .... » ، وهذا الانتقال إلى الحديث عن كتب الأنساب وابتداؤه بقوله : (فأمّا) يشعر أن هناك سقطاً في الكتاب ، ثم يتابع تعداد محتوى كتاب النسب الكبير من القبائل المضرية ، ثم يعدّد أنساب القبائل اليمنية ، ثم يضع عنواناً للأنساب التي أفرد لها ابن الكلبي كتباً مستقلة وهي : « كتاب نسب قريش ، كتاب نسب معدّ بن عدنان ، كتاب ولد العبّاس ، كتاب نسب أبي طالب ، كتاب نسب بني عبد شمس بن عبد مناف ، كتاب بني نوفل بن عبد مناف ، كتاب أسد بن عبد العُزّى بن قُصي ، كتاب نسب بني عبد

(٧٢) معجم الأدباء ١٩ / ٢٨٧ .

(٧٣) وفيات الأعيان ٦ / ٨٢ .

الدار بن قُصي ، كتاب نسب بني زَهرة بن كِلاب ، كتاب نسب بني تَيْم بن مُرّة ، كتاب نسب بني عَديّ بن كعب بن لُؤي ، كتاب سَهم بن عمرو بن هُصيص ، كتاب بني عامر بن لُؤيّ ، كتاب بني الحارث بن فهر ، كتاب بني محارب بن فِهر . » وواضح مّما تقدّم أن ابن الكلبي أفرد لكل بطن من بطون قريش كتاباً مُفرداً .

ويتابع بعد ذلك تعداد كتبه في النسب وغيره : « كتاب الكَلاب الأول والكُلاب الثاني ، وهما يومان من أيام العرب . كتاب أولاد الخلفاء ، كتاب أمّهات الخلفاء ، كتاب العواتك ، كتاب تسمية ولد عبد المطلب ، كتاب كُنى آباء الرسول ﷺ . وله أيضاً كتاب جمهرة الجمهرة رواية ابن سعد . »[٧٤]

ونلاحظ هنا أمرين : أولهما أن ابن النديم أغفل ذكر طائفة أخرى من كتب النسب وهي التي ذكرها ياقوت وابن خلّكان ، ككتاب الفريد ، وكتاب الملوكيّ ، وقد أشار ياقوت إلى هذا النقص ، فهل مردّ هذا النقص إلى إغفال ابن النديم لهذه الكتب أو أن ناسخ كتاب الفهرست قبل ياقوت قد أسقط سهواً ذكرها ؟ من المؤكد أن نسخة الفهرست التي بين أيدينا بجميع طبعاتها قد وقع فيها السقط الذي أشرنا إليه قبلُ ، ومن المؤكد أن ابن النديم ماكان ليغفل ذكر كتاب جمهرة النسب ، وهو من أعظم كتبه في الأنساب ،ونرجح أنه تحدث عنه أولاً ثم انتقل إلى الحديث عن كتاب النسب الكبير مستهلاً حديثه عنه بلفظ (فأمّا) ، وهذا الجانب هو الذي سقط من كتاب الفهرست .

(٧٤) الفهرست ص ١٤٣ .

والأمر الثاني هو ورود اسم كتاب « جمهرة الجمهرة » الذي رواه ابن سعد في ثبت الفهرست ، في حين نجد ياقوتاً يذكره باسم : جمهرة الأنساب ، والمرجح عندنا أن الصواب ماأورده ابن النديم ، فهناك كتابان أحدهما جمهرة النسب الذي وصل إلينا وهو من رواية ابن حبيب ، والثاني جمهرة الجمهرة وهو رواية محمد بن سعد ، فكذلك نرى أن ابن النديم لم يذكر كتاب جمهرة النسب في عداد الكتب التي ذكرها لابن الكلبي ، وقد أرجعنا هذا الإغفال إلى وقوع السقط في نسخة الكتاب التي انتهت إلينا .

الكتاب

كتاب جمهرة النسب هو أوسع ماانتهى إلينا من كتب الأنساب العربية وأشهرها ،وهو المصدر الذي استقى منه جميع مصنّفي كتب الأنساب .

على أننا وجدنا في ثبت الكتب التي صنّفها ابن الكلبي كتاباً في النسب أيضاً اسمه « المُنْزَل » ويعرف بكتاب النسب الكبير ، ويذكر ابن خلكان أنه أكبر من الجمهرة ، وسوف ندرس فيما يأتي احتمال أن تكون نسخة الجمهرة الموجودة في مكتبة الأسكوريال جزءاً منه .

اسمه

لا تتفق المصادر التي تحدّثت عن هذا الكتاب في ذكر اسمه ، ففي آخر الجزء الأول من مخطوطة المتحف وردت العبارة الآتية : « آخر الجزء الأول من الجمهرة في النسب » ، وفي معجم الأدباء لياقوت أنه « جمهرة الأنساب » . وذكره ابن خلّكان في الوفيات باسم « الجمهرة في معرفة الأنساب » ، ونجد في الصفحة الأولى من كتاب « المقتضب » لياقوت -

وهو مختصر لكتاب ابن الكلبي ـ مايأتي : « المقتضب من كتاب جمهرة النسب لياقوت بن عبد الله الحموي المتوفى ٦٢٦ هـ ، وقد لخص فيه كتاب جمهرة الأنساب لأبي محمد هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ » وفي الصفحة الأخيرة من كتاب « المختصر » المجهول المؤلف ورد اسمه : « جمهرة النسب » .

وقد أورد الصفدي في الوافي بالوفيات خبراً لم نجده في مصدر آخر وهو أن ابن الكلبي كان سمّى كتاب النسب الكبير : « الجامع » فجعله ابن حبيب « الجمهرة »[٧٥] . وهذا الاختلاف في عنوان الكتاب لايدع لنا مجالاً للقطع بحقيقة اسمه ، ولاسيا أن ابن الكلبي لم يذكر اسم كتابه في مقدّمته ، ونحن نرجّح ترجيحاً أن اسمه هو « جمهرة النسب » ، أما كتاب النسب الكبير فالمراد منه كتاب « المنزل » في الأنساب ، وقد وجدناهم يذكرون أنه أوسع من كتاب الجمهرة .

مصادر الكتاب

المصدر الأول الذي استقى منه ابن الكلبي معارفه النسبية هو أبوه محمد بن السائب ، فهو يروي عنه جلّ مافي جمهرته ، على أنه يذكر أحياناً أسماء علماء آخرين أخذ عنهم طائفة من الأخبار ، وممّن حدّث عنهم في كتابه أبو مسكين وخَلف ، وهو أحد بني زهرة ، وعَوانة بن الحكَم[٧٦] .

ولابن الكلبي أخبار ينفرد بروايتها كذكره أسماء أمهات جماعة من

---

(٧٥) انظر مخطوطة الوافي بالوفيات ٢٧ الورقة ١٥٠

(٧٦) انظر الجمهرة (تح . العظم) : ١ / ١٥ ، ١ / ٣٢ ، ٢ / ١٩٩ ، ٢ / ٢٠٨

القرشيين[٧٧] ، وأخبار بعض بني تميم[٧٨] وطائفة من التعليقات[٧٩] .

ويبدو أنه اعتمد على بعض الكتب في أنساب طائفة من القبائل ، فهو يشير مثلاً الى كتاب لابن الأعرابي أخذ عنه شيئاً من نسب بني غِفار[٨٠] .

وكثيراً مايروي عن أبيه شروحاً وتعليقات تتصل ببعض القبائل ، وربما روى عن غيره . وممّن روى عنهم الهيثم بن عديّ ،[٨١] ، وفي الكتاب أخبار ونقول ينصّ على أنها ليست عن الكلبي[٨٢] .

وفي نسخة الكتاب المرويّة عن أبي سعيد السُكّري عن ابن حبيب ـ وهي النسخة التي وصلت الينا ـ أخبار ينقلها ابن حبيب عن غير هشام بن الكلبي ، ففي حديثه عن الربائع مثلاً نجد مايلي : الربائع ، من غير كتاب ابن الكلبي[٨٣] .

ولا نجد هشاماً يذكر أسماء من أخذ عنهم أنساب القبائل ، ولكن يتضح مما تقدم أنه أخذ جُلّ مافي كتابه عن أبيه .

مخطوطاته

ليس بين أيدينا من مخطوطات كتاب الجمهرة غير اثنتين ، وكلتاهما

---

(٧٧) الجمهرة ١ / ١٨٥

(٧٨) الجمهرة ١ / ٣٨٣

(٧٩) انظر مثلا الجمهرة ١ / ٣٩٠ ، ١ / ٤٠٦

(٨٠) انظر الجمهرة ١ / ٢٢١

(٨١) انظر مثلا الجمهرة ١ / ٢٨٦ ، ١ / ٣٣٧ ، ١ / ٣٥٧

(٨٢) انظر مثلا ١ / ٣٧٩ ، ١ / ٣٣٣

(٨٣) الجمهرة ١ / ٣٣٣

غير تامة . أولاهما : مخطوطة المتحف البريطاني بلندن ورقمها ٢٣٢٩٧ ، وثانيها : مخطوطة الأسكوريال بإسبانيا ورقمها ١٦٩٨ .

وثمة قطعة من كتاب في النسب ذكر بروكلمان أنها جزء من كتاب الجمهرة ، وهي في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٢٠٤٧ .

١ ـ مخطوطة المتحف البريطاني

تشتمل هذه المخطوطة على الجزء الأول من كتاب جمهرة النسب ورقمها Add 23297 ، وعدد أوراقها مائتان وتسع وخمسون ، في كل ورقة صفحتان ، وطول الصفحة ٢٥,٥ سم وعرضها ١٧ سم ، وقد كتبت بقلم الثلث وخطها جيد واضح مضبوط بالشكل ضبطاً جيداً .

وقد جاء في أولها ما يأتي : « الجزء الأول من جمهرة النسب ، تأليف أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي النسّابة ، رحمه الله ، رواية محمد بن حبيب عنه . »

وجاء في مستهلّ الصفحة الأولى منها ما يأتي : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه التوفيق . أخبرنا محمد بن حبيب عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انتهى في النسب الى معدّ بن عدنان أمسك ثم قال : كذب النسّابون . »

وجاء في الصفحة الأخيرة من هذا الجزء ما يأتي : « آخر الجزء الأول من الجمهرة في النسب ، ويتلوه في أول الجزء الثاني بعون الله : ولَدَ الخزرج بن حارثة . الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد النبيّ وآله الطيّبين الطاهرين وسلّم . فرغ منه علي بن حسن بن معالي المعروف والده بابن الباقلاوي الحلّي النحوي في رجب من سنة ثلاث

وخمسين وستمائة . »

وقد عرّف ابن الفوطي بالناسخ فقال فيه : « أحد مشايخنا الذين أدركناهم بمدينة السلام : كان عالماً بالنحو واللغة ومعاني الشعر ولغة الحديث ، رأيته وكتبت عنه . وكان حسن الأخلاق ، كثير الكتب بخطه ، ولد سنة احدى وستمائة وتوفي سنة ثلاث وثمانين وستمائة . » ، ويذكر ابن الفوطي كذلك أنه كان شاعراً وأنه كتب له من أشعاره كرّاسة وأنه روى شعره في كتابه « نظم الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة »[٨٤] . وتحدّث عنه كذلك الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) في كتابه « تاريخ الإسلام » في حوادث سنة ٦٨٣ هـ .

ويذكر المرحوم عبد الستار فرّاج أن هذه النسخة اشتراها المتحف البريطاني من السيدة خياط في نيسان سنة ١٨٦٠ م ، وأنه حين جمعت أوراقها لتجليدها حدث خلط في بعض الصفحات تقديماً وتأخيراً ، وضاعت منه كرّاسة وبعض كرّاسة[٨٥] .

وهذا الجزء هو رواية السكّري عن ابن حبيب عن ابن الكلبي .

٢ ـ مخطوطة الإسكوريال

هذه المخطوطة موجودة بمكتبة الإسكوريال باسبانيا ورقمها : ES-CORIAL ARABE 1698 ، وعدد ورقاتها ٢٦٥ في كل ورقة صفحتان ، بين كل صفحتين صفحة بيضاء ، وعدد الأسطر في كل صفحة سبعة عشر سطراً .

---

(٨٤) ابن الفوطي ، مجمع الآداب في معجم الألقاب ج ٤ قسم ٢ ص ٢٤٣

(٨٥) مقدمة كتاب جمهرة النسب تحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فرّاج ص ٤

كتب في الصفحة الأولى مايلي : « كتاب النسب الكبير لابن الكلبي » . ثم أورد الناسخ أسماء القبائل المذكورة في الكتاب وهي : ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان ، وإياد بن نزار ، وقبائل قحطان . وخط هذه الصفحة رديء يختلف عن خط المخطوطة .

أما المخطوطة نفسها فخطها أقرب الى النسخ ، وهو جيد ، واضح في جملته ، قليل النقط ، ضبط بعضه بالشكل ، وفي موضعين من هذه المخطوطة تعليق لعبد المؤمن بن خلف الدمياطي (ت ٧٠٥ هـ) . وهذه النسخة حافلة بالأخطاء ، وواضح أن هذه الأخطاء مردّها الى الناسخ لاالى المؤلّف .

جاء في صدر الصفحة الأولى من هذه المخطوطة مايأتي : « بسم الله الرحمن الرحيم ، عونك ياربّ . قال هشام بن محمد الكلبي : ولد ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان أسداً وضبيعة وفيهم كان البيت . » ، وجاء في ذيل الصفحة الأخيرة : « الحمد لله رب العالمين . وهو آخر كتاب نسب معدّ واليمن الكبير ، تأليف محمد بن السائب الكلبي ، غفر الله له ولجميع المسلمين ، آمين رب العالمين ، كتبه الفقير الى رحمة الله تعالى عمر بن سالم بن محمد بن نجدة ... بن مَخدعة بن عديّ بن نمير بن واقف ، وهو أحد البكّائين من الأوس ... أنصاري ، غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين . وكان الفراغ من نسخه يوم الثلاثاء سلخ ربيع الأول من سنة ستة وعشرون (هكذا) وستمائة ، والحمد لله وحده ، وهو حسبي ونعم الوكيل . »

وفي المتحف البريطاني مختصر لهذه المخطوطة برقم ٢٢٣٧٦ وعدد أوراقه سبع وتسعون ، وناسخه أحد المستشرقين ، وهذه النسخة حافلة

بالأخطاء .

وقد توفي ابن مخدعة ناسخ مخطوطة الإسكوريال عام ٦٢٦ هـ ، ومن هذا نرى أنه أتمّ نسخ المخطوطة في السنة التي توفي فيها .

وقد ثار بين الباحثين خلاف بشأن هذه المخطوطة ، فجعلها بعضهم الجزء الثاني المفقود المتّم لمخطوطة المتحف البريطاني[٨٦] ، وذهب المستشرق بيكر BEKER الى أنها ليست من تأليف ابن الكلبي وإنما هي مختصر لكتابه[٨٧] . والى هذا ذهب أيضاً المستشرق كاسكل الذي استخرج جداوله النسبية من مخطوطتي المتحف البريطاني والاسكوريال[٨٨] . وذهب الشيخ حمد الجاسر الى أن مخطوطة الإسكوريال ليست متممة لنسخة المتحف البريطاني بل هي من كتاب آخر لابن الكلبي في الأنساب هو كتاب « نسب معدّ واليمن الكبير[٨٩] » .

ونلاحظ أولاً أنه ذكر في الصفحة الأخيرة من هذه المخطوطة أن مؤلف الكتاب هو محمد بن السائب الكلبي ، وهو غلط من الناسخ لأن الكلبي محمداً ليس له مؤلفات وقد ذكر في أول المخطوطة أن مؤلف الكتاب هو ابن الكلبي هشام .

---

(٨٦) انظر : جواد علي ، بحث حول جمهرة النسب نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي . المجلد الأول ١٩٥٠ م . وانظر أيضاً بروكلمان ٢ / ٣١

(٨٧) C. H. BEKER . ZDME. 1902 . P . 496

(٨٨) جداول كاسكل Caskel LEIDEN 1966

(٨٩) حمد الجاسر ، مجلة العرب ، الجزآن الخامس والسادس ، تموز وآب سنة ١٩٨٦ ، وانظر أيضاً للباحث نفسه : مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد ٢٧ ، الجزء الأول كانون الثاني ١٩٥٢

ونرى ثانياً أن هذه المخطوطة ليست تتمة كتاب جمهرة النسب ، والأستاذ الجاسر على الحق فيما ذهب إليه ، على أننا نرى أن كلتا المخطوطتين من عمل ابن الكلبي ، ولاخلاف في أن أولاهما هي الجزء الأول من كتاب جمهرة النسب ، أما مخطوطة الإسكوريال فالراجح أنها الجزء الثاني من كتاب « نسب معدّ واليمن الكبير » والذي يُعرف اختصاراً بكتاب « النسب الكبير » ، ونرجح كذلك أنه عين الكتاب الذي ذكره ابن النديم باسم « المنزل » والذي ذكروا أنه أوسع من الجمهرة . ونستدل على أنها من كتابين مختلفين بما يأتي :

١ ـ بين المخطوطتين تداخل إذ تتكرر في كلتيها أنساب قبائل ربيعة وإياد والأوس بن حارثة ، ولو كانت المخطوطة الثانية تتمة للأولى لما وقع هذا التكرار .

٢ ـ مخطوطة المتحف البريطاني هي من رواية السكّري عن محمد بن حبيبَ عن ابن الكلبي ، في حين أننا لانجد في مخطوطة الإسكوريال ذكراً للسكري ولا لابن حبيب وإنما نجد في أولها عبارة : قال هشام بن الكلبي .

٣ ـ نصّ ناسخ المخطوطة الثانية في الصفحة الأخيرة على أن اسم الكتاب هو « نسب معدّ واليمن الكبير » في حين أن المخطوطة الأولى هي الجزء الأول من كتاب « جمهرة النسب » .

وناسخ المخطوطة هو ـ حسبما ذكر في الصفحة الأخيرة منها ـ عمر بن سالم المعروف بابن مخدعة الأوسي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ . وواضح من هذا النص أن ابن مخدعة هو ناسخ المخطوطة لامؤلف الكتاب ، فلا وجه إذاً لنسبة كتاب « معدّ واليمن الكبير » الى ابن مخدعة[٩٠] .

(٩٠) جاء في نشرة أخبار التراث التي يصدرها معهد المخطوطات العربية بالكويت

٢ ـ مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس

رقم هذه المخطوطة ٢٠٤٧ ، وهي تتألف من ثلاث عشرة ورقة ، خطها كوفي قديم ، وهي خالية من ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ ، وهي على أي حال جزء صغير من كتاب وليست كاملة .

جعل بروكلمان[٩١] هذه المخطوطة جزءاً من كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي وذكر أنها في المكتبة الوطنية بباريس ، ولكنه في دائرة المعارف الاسلامية يورد العبارة الآتية : « والمتحف البريطاني يحتفظ بالمجلد الأول من تنقيح شديد الاختصار للمؤلف الذي قام به أبو سعيد علي بن موسى السكري المتوفى عام ٤٦٥ هـ والذي اعتمد على نصوص محمد بن حبيب وابن الأعرابي ومصادر أخرى مستقلة[٩٢] . » وقد أثبت بروكلمان رقم هذه المخطوطة وهو ٢٠٤٧ ، وهو رقم مخطوطة باريس نفسه .

وفي هذا الكلام نظر ، فإذا كان بروكلمان يتحدث عن مخطوطة باريس فما ذكره بشأنها بعيد عن الصواب ، وقد قمت بتصوير هذه المخطوطة ، وهي مبتورة وفيها سقط كثير ولم أجد فيها ذكراً لاسم ناسخها أو لتاريخ نسخها ، بل ليس فيها مايدل على أنها من عمل ابن

= (العدد ١٦ ـ ١٩٨٤) أن الدكتور ناجي حسن مدير مكتبة الأوقاف العامة ببغداد يعمل في تحقيق كتاب « نسب معد واليمن الكبير » معتمداً على النسخة الفريدة الكاملة بخط مؤلفها عمر بن سالم بن محمد بن مخدعة المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، والمخطوطة بمكتبة الاسكوريال . ونرى أن المقصود بها مخطوطة كتاب « نسب معد واليمن الكبير » الذي تحدثنا عنه ، وهو من تأليف ابن الكلبي وليس من تأليف ابن مخدعة ، على مابيّنا

(٩١) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي (المترجم) ج ٢ ص ٣١

(٩٢) انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الفرنسية ، ج ٢ ص ٧٣١

الكلبي . وقد أخطأ بروكلمان حين جعل راوية محمد بن حبيب أبا سعيد علي بن موسى السكري المتوفى سنة ٤٦٥ هـ وإنما هو أبو سعيد الحسن بن الحسين السكّري المتوفى سنة ٢٧٥ هـ . ومن المحتمل أن يكون بروكلمان قد خلط بين مخطوطة باريس ومخطوطة مختصر نسخة الإسكوريال الموجودة في مكتبة المتحف البريطاني .

ويذكر الدكتور جواد علي في مقالته التي نشرها في مجلة المجمع العلمي العراقي[٩٣] . أنه لم يستطع الحصول على صورة مخطوطة باريس ولذلك فهو غير قادر على وصفها او التحدث عنها ، ثم أثبت ماقاله بروكلمان بشأنها في دائرة المعارف الاسلامية ، كما أثبت تعليق البارون دوسلان عليها ، وقد قدّر دوسلان أن ظهورها كان في أواخر القرن الثاني الهجري مستدلاً على ذلك بشكل الخط الذي يعود الى ذلك العهد .

والحق أن هذه المخطوطة ليست جزءاً من جمهرة النسب لابن الكلبي والتحقق من هذا الأمر يسير ، فما علينا إلا الرجوع الى أنساب القبائل المذكورة في مخطوطة باريس ومقارنتها بما في الجمهرة . وحسبنا هنا أن نورد صدر ماجاء في مخطوطة باريس في سياق نسب خلف بن محارب ، وهو أول مانجده فيها : وولد خلف بن محارب طَريفاً ، فولد طريف ذُهلاً وغَنْماً ومالكاً ، ومالك هو الخُضر ، منهم عامر الدار الذي يقول شمّاخ فيه :

وحَلأها عن ذي الأراكة عامرٌ أخو الخُضر يرمي حيث تكوى النواحزُ

وولد غنم بن طَريف ثعلبةَ ومالكاً ، وولد ذُهل بن طريف يَداوة بن

---

(٩٣) مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الأول ، ايلول ١٩٥٠

ذُهل ، وولد يداوةُ نصراً وسعداً ومعاوية .. »

وحين نقارن هذا النصّ بما جاء في جمهرة ابن الكلبيّ (ج ٢ ص ١٠٥ من مطبوعة العظم) نجد الاختلاف واضحاً بينهما ، إذ نجد النص الآتي : « وولد خَلَف بن محارب طريفاً ، فولد طريفٌ ذُهلاً وغَنْماً ، وهم الأبناء ، ومالكاً ، وهم الخضر . قال ابن الكلبي : إذا تحالف الإخوة على أخيهم قيل أبناء ، فتحالف الأصاغر على أخيهم الأكبر وعلى ولده وولدِ ولده ، فمن الخُضر عامر الذي ذكره الشمّاخ ، وكان من أرمى العرب ، وقال بعض الرُّجّاز :

اجتمعوا فأيُّكم يُفاخر نَبّأنيه الخصفي عامرُ

فولد ذهلٌ بذاوة ، فولد بذاوةُ سعداً ـ وهو الصادر ـ ومعاويةَ ، وعبد الله ، وهو الكَيذَبان ، كان كذَبَهم في شيء كانوا بعثوا فيه من الريادة .. »

ويلي هذا كلامٌ طويل عن أبناء خلف بن محارب ، وهو كما نرى ـ يختلف اختلافاً كثيراً عمّا وجدناه في مخطوطة باريس . وكل ذلك يفضي بنا الى أن مخطوطة باريس ليست جزءاً من جمهرة ابن الكلبي ، ولسنا نستطيع التحقق من أنها مختصر لها كما لانستطيع التحقق من أنها من عمل ابن الكلبي ، فليس فيها مايدلّ على ذلك .

طبعاته

طبع الجزء الأول من جمهرة النسب (مخطوطة المتحف البريطاني) حتى الآن طبعات ثلاثاً : أولاها تحقيق المرحوم الأستاذ عبد الستار أحمد فرّاج ، والثانية بتحقيق الأستاذ محمود فردوس العظم ، والثالثة بتحقيق الدكتور ناجي حسن . وسنستعرض في إيجاز عمل كل من هؤلاء

الباحثين .

١ ـ تحقيق الأستاذ عبد الستار فرّاج .

صدر الجزء الأول من هذه المطبوعة عن وزارة الإعلام الكويتية سنة ١٩٨٣ ضمن سلسلة التراث العربي ، بعد وفاة محققها المرحوم الأستاذ فرّاج بسنتين ، وقام بتصحيحها المرحوم الأستاذ محمد خليفة التونسي .

وكان الأستاذ فرّاج قد أعدّ كذلك الجزء الثاني من هذا الكتاب ولكنه لم يطبع حتى الآن .

ويشتمل الجزء الأول المطبوع على نسب قريش بن كنانة ، وهُذيل بن مُدركة . وما اشتمل عليه يساوي نصف ماالحتواه الجزء الأول من مطبوعة العظم على وجه التقريب . وقد اعتمد الأستاذ فرّاج مخطوطة جمهرة النسب المحفوظة في المتحف البريطاني، وقدّم لطبعته بمقدّمة طويلة تحدّث فيها عن مخطوطات الكتاب ومختصراته ، وأثبت مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس بنصّها ، ولفت النظر الى بعض ماوقع في جداول كاسكل من أخطاء ، وعقد موازنات بين مخطوطة الكتاب وبعض الكتب في أنساب ولد بغيض بن ريث.. بن قيس عيلان؛ وتمتاز هذه الطبعة بجودة التحقيق ودقة الضبط ووفرة الحواشي . وقد ذيّل المحقق الكتاب بتعليقات مفيدة وعارض رواية الأصل بروايات المصادر الأخرى . ومن الحواشي الهامة التي أثبتها أنسابُ أمّهات النبيّ عليه السلام منقولة من طبقات ابن سعد ومن كتاب « أمّهات النبيّ » لابن حبيب والذي حققه الدكتور حسين علي محفوظ . وكذلك عني المحقق بنقل كثير ممّا ورد في « مختصر جمهرة الأنساب » ممّا يخالف الأصل أو مافيه اضافات أو تعليقات

عليه . ومن تقول الحواشي كذلك ماأورده من كتاب « المثالب » لابن الكلبي (وهو مخطوط بدار الكتب المصرية) مّما يتّصل بنسب سامة بن لؤي ونكاح المقت وكذلك مانقله من كتاب « أنساب الأشراف » للبلاذريّ .

٢ ـ تحقيق الأستاذ محمود فردوس العظم

صدر الجزء الأول من هذه الطبعة سنة ١٩٨٤ بدمشق ، وصدر الجزء الثاني منها عام ١٩٨٥ ، والجزء الثالث ١٩٨٦ بمراجعة الأستاذ محمود فاخوري .

وقد اعتمدت هذه الطبعة كذلك مخطوطة المتحف البريطاني ، وتناول المحقق في الجزء الأول قبائل خندف بن مضر : « كنانة وقريش ، أسد بن خزيمة ، تميم ، الرباب ، مُزينة ، ضَبّة ، حُميس بن أدّ » . وآخر مافي هذا الجزء المفتريات من بنات هاشم .

وأثبت في الجزء الثاني أنساب قيس عيلان وقبائل ربيعة بن نزار ، ثم أنساب قبيلة إياد بن نزار . وشرع بعد ذلك بإثبات أنساب القبائل القحطانية ولم يتجاوز أنساب الأوس بن حارثة ، وهو الموضع الذي تقف عنده مخطوطة المتحف البريطاني .

أما الجزء الثالث فهو يشتمل على جداول الأنساب التي قام المحقق بعملها ، على غرار جداول كاسكل ، معتمداً على كتاب جمهرة النسب وعددها ١٨٧ لوحة كما يشتمل على فهارس عامة للكتاب .

وقد ذيّل المحقق طبعته بهوامش كثيرة نقلها من شتى المصادر حول الأعلام والأخبار التي وردت في الكتاب ، ولكنه لم يرجع إلى مختصر الجمهرة .

ويؤخذ على عمل الأستاذ العظم - على مابذل من جهد مشكور - بعض الأخطاء في ضبط الأعلام وبعض الهنات النحوية .

٣ - تحقيق الدكتور ناجي حسن

صدرت هذه الطبعة عن مكتبة النهضة العربية ببيروت عام ١٩٨٦ . وهذه الطبعة اعتمدت كذلك نسخة المتحف البريطاني ، وقد قدّم لها المحقق بمقدمة طويلة تناولت تراجم ابن الكلبي وابن حبيب والسكري مع تعريف موجز بالمخطوطة .

وفي نهاية الكتاب أثبت المحقق أسماء المراجع التي استفاد منها في تحقيقه ، ومنها كتاب المقتضب لياقوت الحموي ، وقد ذكر المحقق أنه بصدد تحقيقه وإخراجه .

ويلفت النظر أن المحقق لم يذكر في مراجعه كتاب مختصر الجمهرة ، وهو مرجع لايُستغنى عنه في تحقيق كتاب الجمهرة .

وقد أثبت المحقق حواشي لبيان اختلاف ضبط الأسماء وأكثرها منقول عن المقتضب ، كما أورد تراجم لطائفة من الأعلام المذكورين في الكتاب .

وأثبت في آخر الكتاب فهارس عامة لمحتواه .

ولم تسلم هذه الطبعة كذلك من أخطاء في ضبط الأعلام ليس هنا موضع الحديث عنها .

للبحث صلة

المصادر

- ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، مخطوط .
: نكت الهميان في نكت العميان القاهرة ١٩١١
- ابن الجوزي :صفة الصفوة حيدر آباد ١٣٥٦ هـ
- ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان حيدر أباد ١٣٣٠ هـ
: الإصابة في تمييز الصحابة القاهرة ١٣٢٣ هـ
: تهذيب التهذيب حيدر أباد ١٣٢٥ هـ
- ابن حزم الأندلسي : جمهرة الأنساب تح . هارون القاهرة ١٩٦٢
- ابن خلكان : وفيات الأعيان تح . احسان عباس دار الثقافة بيروت ١٩٧٠
- ابن دريد : الاشتقاق تح . هارون القاهرة ١٩٥٨
- ابن الفوطي : مجمع الآداب في معجم الألقاب تح : مصطفى جواد دمشق ١٩٦٣
- ابن قتيبة : المعارف تح . ثروت عكاشة القاهرة ١٩٦٩
- ابن الكلبي : جمهرة النسب مخطوطة المتحف البريطاني
: نسب معد واليمن الكبير مخطوطة الاسكوريال
: جمهرة النسب تح . عبد الستار فراج الكويت ١٩٨٣
: جمهرة النسب تح . محمود فردوس العظم دمشق ١٩٨٤ - ١٩٨٦
: جمهرة النسب تح . ناجي حسن بيروت ١٩٨٦
- ابن النديم : الفهرست القاهرة ١٣٤٨ هـ
- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ط . دار الكتب والدار المصرية العامة للكتاب ١٩٢٧ ومابعدها .

- الإمام أحمد بن حنبل : المسند تح . أحمد محمد شاكر القاهرة ١٩٤٨
- Beker . ZDMG . 1902
- بروكلمان : في دائرة المعارف الاسلامية (ابن الكلبي)
تاريخ الأدب العربي تر . النجار القاهرة ١٩٦١
- الجاحظ : البيان والتبيين تح . هارون القاهرة ١٩٤٨
- جواد علي : مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ١ ، سنة ١٩٥٠
- حمد الجاسر : مجلة العرب ، الجزآن ٥ و ٦ تموز وآب سنة ١٩٨٦
- الخطيب البغدادي أحمد بن علي : تاريخ بغداد ط الخانجي القاهرة ١٩٣١ م
- الزبيري أبو عبد الله المصعب : نسب قريش تح . بروفنسال القاهرة ١٩٥٣
- السمعاني : الأنساب ط حيدر أباد ١٩٦٢
- الفيروزبادي : القاموس المحيط
- القفطي جمال الدين : إنباه الرواة على أنباه النحاة تح . محمد أبو الفضل ابراهيم القاهرة ١٩٥٠
- الميداني أبو الفضل : مجمع الأمثال القاهرة ١٣٥٢ هـ

كتب الأنساب العربية

الدكتور احسان النص

- ٢ -

مختصرات جمهرة النسب

اعتمد جُلّ مدوّني الأنساب الذين جاؤوا بعد ابن الكلبي على كتاب جمهرة النسب ، وأضاف إليه بعضهم أنساب القبائل التي كانت معاصرة لهم .

وكذلك اختصر كتاب الجمهرة طائفة من العلماء ، وقد وصلنا من هذه المختصرات كتابان ، وكلاهما مازال مخطوطاً ، وهما : « المقتضب من جمهرة النسب » و « مختصر جمهرة النسب » .

أولاً - المقتضب من جمهرة النسب

المؤلف :

مؤلف الكتاب هو ياقوت الحموي[1] ، مؤلف كتاب « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » المعروف اختصاراً بمعجم الأدباء .

وهو شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله . وهو من أصل رومي ، وكانت ولادته - حسبما يذكر ابن خلكان - ببلاد الروم سنة

---

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلّكان ٦ / ١٢٧ ، وشذرات الذهب لابن العماد ج ٥ ، وعقود الجمان لابن الشعّار الموصلي (مخطوط) الورقة ٢٣٧ ، وفي مقدمة معجم الأدباء تح . أحمد فريد الرفاعي .

٥٧٤ هـ ، ووقع في الأسر صغيراً ، ثم ابتاعه تاجر بغدادي يدعى عسكر بن إبراهيم الحموي ، فوضعه في الكُتاب لينتفع به في أعماله التجارية ، ومن هنا قيل لياقوت : ياقوت الحموي . وكان في ياقوت ميل إلى طلب العلم ، وكان يجمع بين التجارة والمطالعة ، وكان مولاه يرسله إلى بلاد شتّى ليتجر له ، ثم حدث سنة ٥٩٦ هـ ماأوجب عتقه وانفصاله عن مولاه ، فاتخذ نسخ الكتب حرفة له ، وأفادته هذه المهنة في إنماء معارفه ، وانصرف منذ ذلك الحين إلى تأليف الكتب .

وقد ذكر ابن خلكان أنه كان يرى رأي الخوارج ويتعصب على عليّ رضي الله عنه ، وقد وقعت بينه وبين بعض أهل الشام مناظرة في سوق دمشق فحمل على عليّ وناله بما لايسوغ فثار به الناس وكادوا يقتلونه ، وذلك سنة ٦١٣ هـ . ونجا بنفسه فاراً إلى حلب ، ثم انتهى إلى خراسان واستوطن مرو وعمل في التجارة ، ولكنه لم يستقرّ فيها ، فقد دعته الأحوال المعيشية والسياسية إلى أن يكثر من التنقل بين البلدان ، وفقد ماله في غمار بعض الأحداث ، ثم انتهى اخيراً إلى حلب وفيها كانت وفاته سنة ٦٢٦ هـ .

ونُقل عن ابن الشعّار في عقود الجمان أنه كان ضنيناً بما يجمع ، فكان ربما سئل عما يعرفه فلا يجيب . ووصف ابن الشعّار هيئته فقال إنه كان أشقر اللون ، أزرق العينين ، وهذا الوصف مردّه إلى أصله الرومي .

ألف ياقوت طائفة من الكتب من أجلّها كتابه معجم الأدباء ، ترجم فيه لكل من صنّف في الأدب أو النحو أو اللغة او غيرها من العلوم ، وهو مرجع لايستغنى عنه في تراجم الأدباء والعلماء .

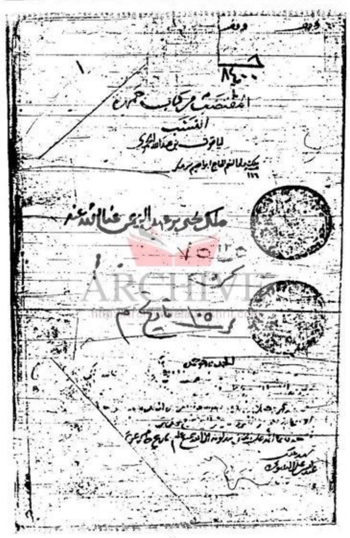
ومنها كتاب « معجم البلدان » ، وهو موسوعة جغرافية ضخمة .

ومن كتبه التي ذكرها ابن خلكان : معجم الشعراء ، والمشترك وضعاً المختلف صقعاً ، والمبدأ والمآل في التاريخ ، وكتاب الدول ، ومجموع كلام ابي علي الفارسي ، وكتاب الأغاني ، وكتاب أخبار المتنبي ، وذكر ابن الشعّار من مؤلفاته أيضاً : كتاب ضرورات الشعر ، وكتاب الأبنية ، ومختصر تاريخ بغداد . وأخيراً كتاب « المقتضب » الذي نحن بصدده وقد وصلنا ، أما سائر كتبه فجلها في حكم المفقود .

الكتاب

مخطوطة هذا الكتاب محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (١٠٥ تاريخ م)[٢] ، وهذه النسخة منقولة عن مخطوطة كتبها ياقوت بخطه ، وعدد صفحاتها ٢٣٤ ، وطول الصفحة ٢٢ سم وعرضها ١٥ سم ، خطها نسخ واضح على الجملة ، ولم يذكر فيها اسم ناسخها ولاتاريخ النسخ . وفي صفحة العنوان ذكر اسم الكتاب واسم المؤلف وصورته : « المقتضب من جمهرة النسب لياقوت بن عبد الله الحموي » وكتب في الصفحة عينها أسماء من تملكوا النسخة ، وكتب تحت العنوان مباشرة اسم أول من تملكها : ملك وليّ النعم الحاج إبراهيم بن عسكر . وفي وسط الصفحة نجد : ملك يحيى بن عبد الرحمن عفا الله عنه ، وتحته رقم ٧٥٣٥ وتحته رقم التسجيل بدار الكتب المصرية وهو ١٠٥ تاريخ م . وفي ذيل الصفحة كتابة محيت أكثر كلماتها .

(٢) جاء في نشرة أخبار التراث التي تصدر في الكويت (العدد ١٠ ، ١٩٨٣) ان الدكتور ناجي حسن مدير مكتبة الأوقاف العامة ببغداد قد حقق هذا الكتاب ودفعه الى الطبع ، ولم أقف عليه مطبوعاً .



المقتضب من كتاب جمهرة
النسب
لياقوت بن عبد الله الحموي

صورة الصفحة الأولى من الكتاب

وينتهي الكتاب بنسب ألهان بن مالك . وفي الصفحة الأخيرة كتب بخط مختلف عن خط الكتاب تعليق لبعض من تملكوا النسخة وصورته : العِزّة لله تعالى ،المؤلف هذا الكتاب (كذا) ياقوت بن عبد الله عتيق .... الحموي .

ويبدو أن الناسخ أغفل اسم مولى ياقوت فلم يذكره أو لعله جهله فترك موضعه فارغاً .

ثم يذكر الناسخ أن هذه النسخة أرسلت إلى أحد القضاة ، واسمه ـ فيما ظهر لي ـ ابراهيم بن الخشاب الجلبي ، ويلي ذلك شعر ركيك النسج .

وهذه النسخة تخلو من الهوامش ـ باستثناء إضافات يسيرة يحتمل أنها استدراكات من المؤلف ـ وكثير من كلماتها ممحوّ تتعذر قراءته ، وفي أعلى بعض صفحاتها ذكر اسم أشخاص كانت وقفاً لهم .

وفي الصفحة ٣٩ نجد عبارة : الجزء الأول من الأنساب ، ثم في أول الجزء الثاني يبدأ نسب عامر بن صعصعة . ولاندري ماالحكمة من هذه التجزئة فهي لاتطابق تجزئة الأصل ، ولعلها من عمل الناسخ .

وقد كتب الناسخ أسماء أصول القبائل بخط كبير .

ثانياً ـ مختصر جمهرة النسب

المؤلّف :

لم يذكر اسم مؤلف المختصر لا على غلاف المخطوطة ولا في داخلها ، وقد بذل الأستاذ حمد الجاسر جهداً مشكوراً لمعرفة مؤلفه ، وكتب بحثين حوله بينهما زهاء أربعة وثلاثين عاماً ، كتب المقالة الأولى سنة ١٩٥٢ م

ونشرها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجلد ٢٧ ، الجزء الأول ، كانون الثاني ١٩٥٢ م) ، وكتب المقالة الثانية في مجلة « العرب » التي يرأس تحريرها (الجزآن ٥ ، ٦ تموز - آب ١٩٨٦ م) .

وصف الأستاذ الجاسر في المقالة الأولى مخطوطة كتاب مختصر الجمهرة وصفاً مسهباً ، واستخلص من تاريخ الفراغ من الاختصار وهو سنة ٦٤٨ هـ المذكور في صفحة ٧٨ وصفحة ٣٣١ ، ومن تاريخ الفراغ من نقل المخطوطة عن خط مؤلفها وهو سنة ٦٦٦ هـ أن المؤلف توفي بين هاتين السنتين ، وأنه بغدادي ، لأنه صرّح بأنه فرغ من الاختصار في بغداد من نسخة المستنصرية ، كما استنتج من صلته بالصاغاني ومن اعتناء اليونيني بنقل كتابه هذا أن المؤلف ذو مكانة علمية بارزة . كما استخلص من الحاشية في ص ١٠ أن المختصر قد اختصر كذلك تذكرة ابن حمدون . واستخلص مما ورد في حاشية الصفحة ٢٦٩ أن له شيخاً يدعى العزّ . على أن هذا كله لم يهده إلى اسم المؤلف ، وإنما اهتدى إلى اسم من نقل الكتاب عن خط مؤلفه - وقد أهمل ذكره في نسخة المخطوطة - فرجّح أنه الحافظ شرف الدين أبو الحسين علي بن محمد بن أحمد الحنبلي البعلبكي المعروف باليونيني - نسبة إلى يونين وهي من قرى بعلبك - المولود سنة ٦٢١ هـ والمتوفى سنة ٧٠١ هـ ، وذلك استناداً إلى ماوجده في هامش صفحة ١٧٦ ، وفي مواضع أخرى من المخطوطة .

وقد أهاب الأستاذ الجاسر ، في مقالته تلك ، بالباحثين أن يحاولوا البحث عن مؤلف الكتاب ، ووجّه نداءه خاصّة إلى الأستاذين الدكتور جواد علي ، والدكتور مصطفى جواد .

وقد استجاب الدكتور مصطفى جواد لندائه فكتب بعد عام كلمة

في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجلد ٢٨ ـ سنة ١٩٥٣ هـ) قطع فيها أن مؤلف المختصر هو كال الدين أبو البركات المبارك بن أبي بكر أحمد بن حمدان المعروف بابن الشعّار الموصلي المتوفى سنة ٦٥٥ هـ ، مؤلف كتاب « عقود الجمان في شعراء الزمان » ، وقد انتهى إلى هذا الرأي لما وجده في أخباره من عناية بتأليف الكتب طوال خمسين عاماً ، ولأنه توفي بين سنتي ٦٤٨ هـ و ٦٦٦ هـ ولأن له شيخاً يعرف بالعزّ ، وقد رجّح أن شيخه هو عزّ الدين علي بن محمد المعروف بابن الأثير والمتوفى سنة ٦٣٠ هـ ، وهو موصليّ أيضاً ، شأن المؤلف ، أو هو ـ مع بعض التسامح ـ عزّ الدين أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن عبد الله الأنصاري الحموي الشافعي الأديب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ .

وقد عقّب الأستاذ الجاسر على مقالة الدكتور مصطفى جواد بكلمة نشرها في المجلد ٢٩ سنة ١٩٥٤ م من مجلة مجمع اللغة العربية ، فذكر أنه وقف على كتاب « المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطيب المتنبي » الذي ألفه أبو العباس عزّ الدين أحمد بن علي بن معقل الأزديّ المهلّبي الحمصي المولود سنة ٥٦٧ هـ والمتوفى سنة ٦٤٤ هـ ، والذي رحل إلى بغداد وأخذ النحو عن أبي البقاء العكبري ، ورجّح أنه هو شيخ مختصر الجمهرة ، ولكنه لم يوضح في كلمته تلك دواعي هذا الترجيح .

وبعد نيف وثلاثين عاماً كتب الأستاذ الجاسر ـ مدّ الله في عمره ـ مقالة في مجلة « العرب » التي تصدر بمدينة الرياض (ج ٥ ، ٦ ، تموز ، آب ١٩٨٦ م) أعاد فيها بعض ماذكره في مقالته الأولى ، ثم ذكر أنه كان قد توهّم مؤلف المختصر بغداديّ لأنه اختصر الكتاب من نسخة وجدها في المدرسة المستنصرية وأخرى رآها عند الصغاني لـمّا قدم بغداد ، ثم ذكر مارجّحه في تعقيبه على مقالة الدكتور مصطفى جواد من أنّ شيخ مؤلف

المختصر هو عز الدين أحمد بن علي الأزديّ الحمصي لأنه أثبت في كتابه « المآخذ » نقولاً أثبتها مختصر الجمهرة في كتابه . وقد جزم الأستاذ الجاسر في هذه المقالة ـ أو كاد ـ أن مؤلف المختصر هو المبارك بن يحيى الغسّاني الحمصي ، واستند في أخذه بهذا الرأي إلى الأمور الآتية :

١ ـ وفاة المختصر بين سنتي ٦٤٨ و ٦٦٥ هـ ، والمبارك توفي سنة ٦٥٨ هـ .

٢ ـ اعتناء اليونيني بالكتاب اعتناء برز أثره فيما كتبه أخوه العالم المؤرّخ في الثناء عليه .

٣ ـ المؤلف وشيخه أحمد بن معقل الازدي كلاهما من مدينة حمص ، وهما متعاصران .

وقد أثبت الأستاذ الجاسر ترجمة المبارك بن يحيى منقولة من كتاب « ذيل مرآة الزمان » الذي ألّفه موسى بن محمد بن أحمد اليونيني المتوفى سنة ٧٢٦ هـ وصورتها : « المبارك بن يحيى بن المبارك بن مُقبل ، أبو الخير ، مخلص الدين الغسّاني الحمصي ، كان من الفضلاء المشهورين بمعرفة الأدب والأنساب وأيام الناس ، سنّي المذهب ، اختصر كتاب « الجمهرة في الأنساب » لابن الكلبي اختصاراً حسناً دلّ على غزارة فضله ومعرفته ، وله كتاب « المشجّر » في النسب أيضاً ، وغير ذلك من جموع مفيدة . ولما ورد التتر إلى الشام في هذه السنة [سنة ٦٥٨ هـ] خرج من حمص مجفلاً في شهر ربيع الآخر ولجأ إلى جبل لبنان يعتصم في بعض القرى الوعرة التي بالجبل فأدركته منيته ، وقد نيّف على الستين سنة من العمر ودفن حيث توفي رحمه الله . »[٣] .

(٣) انظر : ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ٣٦ .

وقد ترجم للمؤلف ـ فضلاً عن اليونيني ـ الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات[٤] ، وابن شاكر الكتبي في « عيون التواريخ »[٥] ، والمقريزي في كتاب « السلوك »[٦] ، وهؤلاء جميعاً نقلوا ترجمته من كتاب اليونيني فليس فيما ذكروه أي إضافة إلى ما في كتابه ، وفي كتاب « السلوك » ورد اسم المترجم له هكذا : المبارك بن يحيى بن المبارك بن الفضيل ، ويبدو أن كلمة « الفضيل » محرفة عن (مقبل) .

وقد ترجم موسى اليونيني للعزّ ، شيخ مختصر الجمهرة ، في كتابه « ذيل مرآة الزمان » ، فهو عز الدين أبو العباس أحمد بن علي بن معقل الأزدي المهلبي الحمصي ، كان شاعراً مقتدراً ، عالماً بالأدب والأصول والفقه على رأي الإمامية ، غالياً في التشيّع ، وله ديوان مختص بمدح آل البيت لكنه حشاه بثلب الصحابة والتعريض بهم ، وكان من شعراء الملك الأمجد صاحب بعلبك ، وانتقل إلى حماة مدة ثم عاد إلى بعلبك وتزهّد إلى أن توفي سنة ٦٤٤ هـ[٧] .

وحين ننظر في ترجمة كل من عز الدين بن معقل وتلميذه المبارك بن يحيى يلفت نظرنا التباين المذهبي بين الرجلين ، فابن معقل شيعي غالٍ في التشيع ، والمبارك سنّي المذهب ، وهو أمر مستغرب ، والأدنى إلى المعقول أن يكون المبارك شيعياً ، وقد ذكر الأستاذ الجاسر مايؤيد هذا ، فقد ذكر في نهاية مقالته الأخيرة أنه وجد في كتاب ذيل

(٤) الوافي بالوفيات ، المخطوط ، المجلد ٢٥ ، الورقة ٢٦ .

(٥) عيون التواريخ الجزء ٢٠ ص ٢٤٤ .

(٦) السلوك ١ / ٤٤١ .

(٧) ذيل مرآة الزمان ج ٣ ص ١١ و ١٥٤ ، وانظر العبر للذهبي ٥ : ١٨٢ ـ ١٨٣ .

مرآة الزمان[٨] في حوادث سنة ٦٥٨ ترجمة مختصرة للمبارك تغاير ترجمته السابقة وجاء فيها : « الشيخ مخلص الدين المبارك بن يحيى بن معقل الغساني الحمصي ، كان فاضلاً أديباً وله معرفة تامة بالأنساب ، وهو أحد مشايخ الشيعة ، توفي في ربيع الآخر بجبل لبنان ، وكان قد هرب من حمص من التتر ، فأدركه أجله ، وله معرفة بالأدب وله نظم .... الخ » .

والمهمّ في ترجمة المبارك بن يحيى أنه اختصر كتاب الجمهرة لابن الكلبي ، فكذلك نرى أن أدلة كثيرة توافرت على أن مؤلف المختصر هو المبارك بن يحيى الغسّاني الحمصي ، وأنا أوافق الاستاذ الجاسر فيما انتهى إليه .

الكتاب

بين أيدينا مخطوطتان لكتاب المختصر ، إحداهما محفوظة بمكتبة راغب باشا بمدينة اسطنبول برقم ٩٩٩ ، والثانية محفوظة في مكتبة جامعة برنستون في الولايات المتحدة[٩] .

أ ـ مخطوطة راغب باشا

كتب على غلاف هذه المخطوطة بخط كبير « كتاب التبيين في أنساب القرشيين » لموفق الدين بن قدامة ، وهذا خطأ مردّه إلى أن المؤلف أثبت في طرّة الكتاب أسماء الكتب التي نقل منها حواشيه ،

---

(٨) المصدر عينه ج ١ ص ٣٨٥ .

(٩) ذكر الأستاذ حمد الجاسر في مقالته الثانية أن الدكتور عبد الرحمن العثيمين مدير مركز البحث العلمي في جامعة أم القرى وجد هذه المخطوطة في مكتبة جامعة برنستون فصوّرها على شريط ميكرو فلم وأرسلها الى الأستاذ الجاسر .

وآخرها كتاب التبيين ، فظن بعضهم أنه اسم الكتاب فأثبته في أعلى الصفحة . وتاريخ نسخ هذه المخطوطة هو عام ٦٦٥ هـ ، وعدد ورقاتها ١٦٧ في كل ورقة صفحتان ، وهي في جزأين أولها عدد صفحاته ١٧٨ والثاني ١٥٢ صفحة ، وفي كل صفحة تسعة عشر سطراً ، وهي مكتوبة بخط نسخ واضح جيد والكلمات مضبوطة بالشكل .

وتمتاز هذه المخطوطة بوفرة هوامشها ، فإن مؤلفها أثبت في الهوامش تعليقات وإضافات استمدّها من مصادر شتى ووضع لهذه المصادر رموزاً بالمداد الأحمر ذكرها في الصفحة الأولى . ومن هذه المصادر : الصحاح للجوهري ، والمعارف لابن قتيبة ، والجمهرة لابن دريد ، وجمهرة الأنساب لابن حزم ، والاشتقاق لابن دريد ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والكامل للمبرد ، وتاريخ الطبري ، وهي زهاء عشرين مرجعاً .

وقد وصف الأستاذ الجاسر هذه المخطوطة وصفاً مفصّلاً في مقالتيه اللتين أشرت إليهما آنفاً ، وذكر أن كتاب المختصر وقف عليه عالم محقّق هو شرف الدين أبو الحسين علي بن محمد بن أحمد اليونيني البعلبكي (٦٢١ ـ ٧٠١ هـ) فنقله عن خط مؤلفه نقلاً دقيقاً ، ولم يكتف بذلك بل قابله بنسخة جمهرة النسب التامة التي نقلها ياقوت الحموي بخطه ، وأشار إلى مواضع الاختلاف بين النسختين ، ونبّه على بعض ماوجده في المختصر من أخطاء . وأضاف كذلك إلى الحواشي تعليقات استمدها من كتاب « الإكمال » لعبد الغني المقدسي ، وعن الأمير ابن ماكولا[١٠] .

(١٠) هذا ماجاء في حاشية ص ٣٣٠ من مخطوطة المختصر ، وفيا ذكره اليونيني نظر فإن كتاب « الإكال » هو من تأليف الأمير ابن ماكولا وعنوانه : « الإكال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب » أما كتاب المقدسي فاسمه : « الكمال في أسماء الرجال » وليس له كتاب باسم الإكال .

وقد فرغ من نقل الحواشي بعد أن أتمّ نقل الكتاب لست عشرة ليلة خلت من شهر الله المحرّم سنة ست وستين وستمئة .

واليونيني هو عليّ بن محمد بن أحمد بن عبد الله اليونيني شرف الدين أبو الحسين ، ولد سنة ٦٢١ هـ وتوفي سنة ٧٠١ هـ . سمع من ابن الصباح وابن الزبيدي والأربلّي وغيرهم ، وعني بالحديث وضبطه ، وقرأ البخاري على ابن مالك تصحيحاً ، وسمع منه ابن مالك رواية ، وأملى عليه فوائد مشهورة ، وكان عارفاً باللغة حافظاً لكثير من المتون ، عارفاً بالأسانيد ، وكان شيخ بلاده في وقته وكان طلاب العلم يرتحلون إليه . دخل دمشق مراراً وحدّث بها ، قال فيه الذهبي : « حصل الكتب النفيسة وماكان في زمنه أحدّ مثله . »[١١] .

وكان والده وأخوه موسى عالمين مرموقين في عصرهما ، فأبوه هو محمد بن أحمد اليونيني وهو من سلالة جعفر الصادق ، من حفّاظ الحديث ، ولد في يونين سنة ٥٧٢ هـ وتوفي في بعلبك سنة ٦٥٨ هـ ، وكان مقرّباً من ملوك عصره كالأشرف والكامل وله معهما ومع غيرهما أخبار كثيرة[١٢] .

أما أخوه موسى بن محمد قطب الدين فكان مؤرّخاً وهو في الأصل من يونين ، وقد ولد بدمشق سنة ٦٤٠ هـ وتوفي سنة ٧٢٦ هـ ، وصار شيخ بعلبك بعد وفاة أخيه علي . من كتبه : « مختصر مرآة الزمان » ، و

(١١) ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٣ / ٩٨ . ط . بيروت ، ذيل العبر : ١٨ ، تذكرة الحفاظ : ١٥٠٠ .

(١٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ / ٢٢٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٥ / ٢٩٤ ، العبر ٥ : ٢٤٨ ، تذكرة الحفاظ : ١٤٣٩ ـ ١٤٤١ .

« ذيل مرآة الزمان » وهو مطبوع[١٣] .

ونسخة اليونيني هذه هي التي حفظت بمكتبة راغب باشا ، وقد تناقلتها الأيدي حتى وصلت إلى خزانة الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ ـ ١٠٩٣ هـ) مؤلف كتاب « خزانة الأدب » فكتب في طرّتها مايأتي : « هذا كتاب مختصر جمهرة ابن الكلبي . لم أعرف مصنفه ، وقد أنعم الله به على عبده الفقير إليه في جميع حالاته عبد القادر بن عمر البغدادي ... ثم رأيت في ترجمة بني دارم قد صرّح بكنيته وهو أبو جعفر . » . وقد تبادر إلى ظن البغدادي أن أبا جعفر هو مؤلف المختصر وإنما هي كنية محمد بن حبيب راوي كتاب الجمهرة .

وفي هوامش الكتاب نقول من كتب أخرى غير التي ذكرت في طرّة الكتاب منها « التذكرة الحمدونية » لمحمد بن الحسن بن حمدون البغدادي المتوفى سنة ٥٦٦ هـ ، و« أسباب النزول » للواحدي . وثمة هوامش اثبتها المؤلف ـ أو الناسخ ـ ولم يذكر مأخذها .

أثبت المؤلف مايقارب صفحتين من كتاب الجمهرة بنصّه ثم قال : « الى هنا نقل مافي أول كتاب الجمهرة نقل المسطرة و مابعد هذا نقل اختصاراً ، وبالله التوفيق . » .

ونجد في ذيل الصفحة الأخيرة من الجزء الأول مايأتي : « هذا آخر ما علّقته من النصف الأول من كتاب الجمهرة في بغداد المحروسة من نسخة بالمستنصرية مقابلة أكثرها بنسخة ياقوت . وكان فراغ هذا في المحرّم سنة ثمان وأربعين وستمئة ، والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد نبيّه

(١٣) الزركلي : الأعلام ٨ : ٢٨ ، ذيل العبر : ١٤٥ ـ ١٤٦ .

وآله وسلامه . » .

ثم نجد بعد ذلك تذييل الناسخ اليونيني وهذا نصه :

« آخر الجزء الأول من مختصر كتاب جمهرة النسب الذي هو عن أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي . نجز يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر رمضان المبارك سنة خمس وستين وستمئة ، ببعلبكّ حرسها الله تعالى ، والحمد لله وحده ، وصلواته وسلامه على سيّدنا محمد النبي وآله وصحبه أجمعين . » .

وآخر مانجده من الأنساب في الجزء الأول نسب إياد بن نزار

وفي أول الجزء الثاني (ص ١٨٠) نجد مايأتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، صلّى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلّم . نسب قحطان فيه خلاف ، وقد ذكر في كتاب الجمهرة أحد الآراء فيه في أواخر أنساب حمير ، وهو رأي من ينسبه إلى إسماعيل عليه السلام ، فإنه جعله قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ... » .

وجاء في نهاية الجزء الثاني (ص ٣٣٠ ـ ٣٣١) مايأتي :

« كان في آخر نسخة ياقوت التي قابلتُ بها ماصورته : كان على الأصل ماصورتُه : قال صالح بن محمد بن يزداد ـ ومن خطه نقل هذا الكتاب أجمع ـ : الى هنا انتهى ماوجدته بخط السكّريّ وكان ماحكاه عن يحي بخط نزل في آخر المجلس التاسع ، وقد كان اندرس فيه مواضع كثيرة واشتبه ذلك وخَفي فأثبتُّ ماوجدتُه بيّناً من ذلك ، وتمّ الكتاب المعروف بجمهرة النسب عن ابن الكلبي رواية ابن حبيب عنه ، رواية السكّري عنه ، وذلك بالمنزل المعروف بالزّعقة من طريق ديار مصر في العشرين

من ذي الحجّة سنة عشر وستمئة وأنا متوجّة الى مصر . وكتب ياقوت بن عبد الله مولى عسكر الحموي . والحمد لله رب العالمين وصلاتُه على سيدنا محمد وآله الطاهرين . فُرغ من هذا المختصر في المجلّدين في أوائل سنة ثمان وأربعين وستمئة ببغداد المحروسة . والحمد لله وحده والصلاة على محمد وآله . » .

ويلي ذلك تذييل اليونيني وصورتُه :

« آخر الجزء الثاني من مختصر اختَصر من كتاب الجمهرة لابن الكلبي ، وهو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، رواية أبي جعفر محمد بن حبيبَ مولى بني هاشم عنه ، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الرحمن السُكري عنه . نقلتُ الجزأين من خط المختصِر في مدة آخرها يوم الجمعة لستٍّ بقين من ذي الحجّة سنة خمس وستين وستمئة . الحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامُه على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين . » .

وكتب إلى جانب الصفحة : « قابلته بأصل المختصِر رحمه الله حرفاً بحرف . » .

صورة الصفحة الأولى من المختصر

وقد استخلص الأستاذ الجاسر أن ناقل المختصر عن خط مؤلفه هو الحافظ شرف الدين اليونيني من عبارة وردت في حاشية المختصر ص ١٧٦ ، وقد طمست فيها بعض الكلمات وجاء فيها : « كتبه علي بن محمد بن أحمد بن محمد ... بن عيسى بن أحمد بن أحمد بن محمد بن محمد ... اليونيني في يوم الخميس سابع شهر رمضان المعظم سنة ... وجدت فيه أشياء حررّتها ونبّهت عليها .. الخ » وفي هامش ص ٣٣٠ نصّ على سنة نسخ الهوامش وهي سنة ٦٦٦ هـ .

ومما يدعو إلى العجب أن مختصر الجمهرة لم يذكر اسمه في آخر مختصره - على خلاف المعهود - كما أن اليونيني ناقل المختصر لم يذكر كذلك اسمه في نهاية نسخته .

وقد نصّ المختصِر في ص ١٧٦ من المخطوط أنه كتب المختصَر في السابع من شهر رمضان ، ثم ذكر في ص ٣٣٠ أنه فرغ من النقل لست عشرة ليلة خلت من شهر الله المحرّم ، وتعليل هذا الاختلاف في تحديد التاريخ - فيما يبدو لي - أنه فرغ من نقل نص المختصَر سنة ٦٦٥ هـ في شهر رمضان ، وأنه فرغ من نقل هوامشه في المحرم من سنة ٦٦٦ هـ ، وعبارته في النص الآتي تؤيّد ماذهبت إليه فهو يقول : « جميع ماعليه من الحواشي نقلته من خط مختصِر الأصل أيضاً إلاّ ماهو عن الأمير ابن ماكولا رحمه الله[١٤] ، **ومن كتاب الإكمال** للحافظ عبد الغني المقدسي ، رضي الله عنه ، في مدة آخرها يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من شهر الله المحرّم سنة ست وستين وستمئة » .

---

(١٤) لم يذكر اليونيني كتاب ماكولا الذي رجع إليه ، وقد رجحنا أنه كتاب « الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف المختلف في الأسماء والكنى والأنساب » وقد نشر في حيدر آباد سنة ١٩٦٢ والأمير ابن ماكولا توفي سنة ٤٣٥ هـ .

ويتضح مما تقدم أن حواشي المختصر هي في جلّها من عمل مؤلفه إلا أن اليونيني أضاف طائفة من الحواشي مستمد من كتاب الإكمال للأمير ابن ماكولا ومن كتاب الكمال للمقدسي .

وبالرجوع الى هوامش المختصر نستخلص أنه كانت بين أيدي العلماء وقتئذ عدة نسخ من كتاب الجمهرة ، منها نسخة ياقوت التي فرغ منها بالزعقة وهو في طريقه الى مصر سنة ٦١٠ هـ ، وهي النسخة التي نقلها ياقوت عن نسخة بخط صالح بن محمد بن يزداد والمنقولة عن نسخة السكري المروية عن ابن خبيب .

وقد وقف مختصر الجمهرة على هذه النسخة سنة ٦٤٨ هـ وقابل مختصره بها .

ونسخة أخرى وجدها المختصر في المدرسة المستنصرية ببغداد .

كما ذكر في صفحة ١٥٦ أنه اطّلع على نسخة ثالثة كانت بحوزة رضي الدين الصاغاني ، مؤلف العباب ، والمتوفى سنة ٦٥٠ هـ .

ب ـ نسخة جامعة برنستون

وصف الأستاذ حمد الجاسر هذه المخطوطة في مقالته في مجلة العرب (ج ٥ ، ٦ سنة ١٩٨٦) فذكر أنها لاتفضل نسخة راغب باشا ، بل هي دونها ، ومن الملاحظات التي أوردها بشأنها أنها تخلو من الحواشي الهامة التي نجدها في نسخة راغب باشا ، وهي ليست مثلها في الدقة من حيث الضبط بالحركات والنقط ، وهي الى ذلك خالية من ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ ، فضلاً عن أن فيها نقصاً في مواضع عدة وتخليطاً في بعض التعليقات .

عدد أوراق هذه المخطوطة ١٩٠ وفي كل ورقة صفحتان ، في كل صفحة خمسة وعشرون سطراً ، وقد كتبت بخط نسخ حسن ، وكثير من كلماتها مشكولة .

منهج المؤلف في الاختصار

لم يلتزم مؤلف المختصر طريقة ابن الكلبي في تسلسل الأنساب ، فابن الكلبي يذكر من خلفه الأب من الولد ثم يذكر أولاد كل ولد على الترتيب مع ذكر أمهات الأولاد فيقول مثلاً :

« فولَدَ مدركةُ بن الياس خُزَيمةَ وهُذَيلاً ـ وأمهما سلمى بنت أسلَم بن الحاف بن قُضاعة ، [وأخوهما لأمهما تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة][١٥] وغالباً ، وسعداً وقيساً ، درجوا لاأعقاب لهم ، وأمهم ليلى بنت السَّيِّد بن الحاف بن قضاعة .

فولَدَ خُزَيمةُ بن مُدركة : كِنانةَ ـ وأمُّه عَوانةُ بنتُ سعد بن قيس ، ويقال بل هِندُ بنتُ عمرو بن قيس بن عَيلانَ ـ وأسَداً وأسَدةَ ، فجُذامُ تُنسَب إلى أسَدةَ ، وعبدَ الله والهونَ ـ وأمُّها بَرَّةُ بنتُ مُرّ ، أختُ تميم بن مُرّ .

فولَدَ كِنانةُ النَّضْرَ ، وهو قيسٌ ، ونُضَيرا ، ومالكاً ، ومِلكانَ ، وعامراً ، وعَمْراً ، والحارث ، وعَزوان[١٦] ، وسعداً ، وعَوْفاً ، وغَنْماً ، ومَخْرَمَةَ ، وجَرْولاً ، بني كِنانة ـ وأمُّهم بَرَّةُ بنتُ مُرّ ، أخت تميم بن مُرّ ، خَلَفَ عليها كنانةُ بعد أبيه خُزَيمة ـ وعبدَ مناة ـ وأمُّه الذَّفْراءُ ، وهي

---

(١٥) هذه العبارة أضافها الأستاذ عبد الستار فرّاج من المقتضب .

(١٦) كذا في المخطوطة ، وفي المقتضب : عزوان ، وفي نسب قريش لمصعب الزبيري (ص ١٠) : غزوان .

فَكِهةُ بنتُ هَنِيّ بن بَلِيّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة ، وأخوه لأمّه عليُّ بن مَسعود الغَسّانيُّ ، فحَضَن عليٌّ بن مسعود بنِ مازن بن ذئب أولادَ عبدِ مناة ، فنُسِبوا إليه[١٧] » .

وقد اختصر المؤلّف هذا الكلام على النحو الآتي :

« خُزَيمة وهُذَيل ابنا مُدركة بن الياس بن مُضَر . جُذام تنسب إلى أسدَة بن خُزيمة ، أخي أسد وكنانة وعبد الله والهون بني خُزيمةِ بن مدركة . النَضْر بن كنانة هو قيس ، أمّه وأمُّ جماعة من إخوته بَرّةُ بنت مُرّ ، أخت تميم بن مُرّ ، خلف عليها كنانةُ بعد أبيهِ خُزيمة ، وهي أمُّ عبد الله والهون ابني خُزيمة . علي بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عمرو بن حارثة بن عديّ بن عمرو بن مازن بن الأزد الغسّاني حضَن بني أخيه لأمّه عبد مناة بن كنانة فنُسبوا إليه . أمها فَكِهة بنت هَنِيّ بن بَلِيّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة[١٨] » .

وهذه الطريقة في الاختصار لاتوضّح بدقة تسلسل النسب من الآباء إلى الأبناء ، على أنه اتّبع بعد ذلك طريقة ابن الكلبي وحذف بعض التفصيلات غير الضرورية كأسماء الأمهات وبعض الأخبار والأشعار ، وعُني عناية خاصة بذكر أسماء المشهورين في كل قبيلة .

وحين نوازن بين كتابي المقتضب والمختصر نجد أن ثانيهما يفضل الأول في أنه أكثر تفصيلاً وأنه يحتوي على هوامش كثيرة مفيدة .

● ● ●

(١٧) الجمهرة ، تح : فرّاج ص ٧٧ ـ ٧٩ .
(١٨) مخطوطة المختصر ، ص ٣ .

كتاب « نسب معدّ واليمن الكبير »
لابن الكلبي

تحدثت عن هذا الكتاب وعن مخطوطته في المقالة الأولى التي تناولت فيها كتب الأنساب العربية (الجزء الرابع ، المجلد الرابع والستون ، تشرين الأول ١٩٨٩) ، وقد انتهيت فيها إلى ماانتهى إليه العلاّمة الأستاذ حمد الجاسر من أن مخطوطة الإسكوريال ليست متممة للجزء الأول من كتاب « جمهرة النسب » وإنما هي - على الراجح - الجزء الثاني من كتاب « نسب معدّ واليمن الكبير » ، والذي يعرف اختصاراً باسم « النسب الكبير » ، وكلاهما لابن الكلبي ، وذكرت ثمّة ما يؤيّد هذا الترجيح .

وأتحدث هنا عن هذا الجزء بعد أن طبع مرتين ، وكلتا الطبعتين ظهرت عام ١٩٨٨ ، حقق إحداهما الدكتور ناجي حسن وطبع الكتاب في بيروت في جزأين ، وحقق الثانية الأستاذ محمود فردوس العظم وطبع كتابه بدمشق (طبع دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر) في ثلاثة أجزاء .

وقد تحدثت آنفاً عن مخطوطة الكتاب وأضيف هنا شيئاً من التفصيل .

فقد كتب على صفحة الغلاف بخط رديء مغاير لخط المخطوطة ماصورته : فهرست الكتاب . ولد ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان . تيم الله بن ثعلبة . ذُهل بن ثعلبة . اللافظة . حنيفة . عجل . يشكر . تغلب بن وائل . بكر بن وائل . عَنْز بن وائل . النِمر . عفيلة بن قاسط (غفيلة) . عبد القيس . صُباح . عميرة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

أسد بن ربيعة . يذكر بن عَنَزة . يَقدُم . ضُبيعة . دعميّ . إياد . قحطان : الأشعر . كندة . مذحج . وهب بن ربيعة . امرؤ القيس بن ربيعة . أبو كرب بن ربيعة . بهدلة . العاتك بن معاوية . امرؤ القيس بن الحارث بن معاوية . مالك بن الحارث . الطمح بن الحارث . ذُهل بن معاوية بن الحارث . عمرو بن معاوية . بدا بن الحارث . ثور بن مرتع . أشرس . عاملة . جُذام . لخم . طيىء . مالك بن أدد وهو مذحج . مراد . الأشعر . بجيلة . خثعم . الأوس . الخزرج . خزاعة . أسلم بن أفصى . ملكان بن أفصى . مالك . بارق بن الأزد . لهب . غامد . شجاعة . زهران . همْدان . بكيل . أرحب . ألهان . حمير . كلب . عُذرة . أسد بن بكر بن وائل . القين . جَرْم . بهراء . بليّ . مهرة . سعد هُذيم . جُهينة . أنمار[١٩] .

وظاهر أن من أثبت هذا الفهرس ليس له بصر بالأنساب ، وقد أثبت أسماء القبائل كيفما اتفق له فأثبت البطون وأهمل القبائل الأصول التي تفرّعت منها البطون ، وهذا الفهرست لايُعوّل عليه في معرفة القبائل المذكورة في المخطوطة .

خط المخطوطة واضح في الجملة ، ضبط كثير من كلماته بالنقط والشكل ، وتكاد المخطوطة تكون خلواً من الهوامش .

---

(١٩) بين ماأثبتّه هنا وبين ماأثبته الأستاذ المظم بعض الاختلاف ، ولو أن الأستاذ المظم رجع الى المخطوطة لاتضح له وجه الصواب في أسماء القبائل التي أشكل عليه قراءتها لرداءة الخط ، مثل قوله بعد (مذحج) : [وهؤلاء ولده] ، والصواب : [وهب بن ربيعة] ، فامرؤ القيس بن ربيعة ليس من ولد مذحج . وكذلك قوله : [الهواتك بن معاوية] وصوابه : [العاتك بن معاوية] .

وتشتمل المخطوطة على الأنساب الآتية :

١ ـ ربيعة بن نزار من صفحة ١ حتى ص ٧٨

٢ ـ إياد بن نزار من صفحة ٧٨ حتى ص ٨٤

٣ ـ قحطان من صفحة ٨٥ حتى نهاية المخطوطة .

وسأقصر حديثي هنا على طبعة الأستاذ العظم .

قدّم للكتاب الأستاذ روكس بن زائد العُزيزي . وقد آثر الأستاذ العظم ـ صنيعه في الجمهرة ـ أن يكتب الكتاب بخطه ، تحاشياً لأخطاء الطباعة ، وأضاف إليه حواشي وتعليقات كثيرة ، وحرص على ضبطه بالشكل .

ذكر المحقق في مقدمته أنه استعان بكتابي « المقتضب » و « المختصر » لاستكمال ماوجده من نقص في المخطوطة ، ووضع ماأضافه بين حاصرتين .

وقد جعل كتابه ثلاثة أجزاء ، اشتمل الجزء الأول منها على مايأتي :

١ ـ نسب ربيعة بن نزار من ص ١ حتى ص ٥٥

٢ ـ نسب إياد بن نزار من ص ٥٥ إلى ص ٦٠

٣ ـ نسب طائفة من القبائل القحطانية وهي : كندة ، عاملة ، لخم ، خولان ، طيء ، مذحج ، الحارث بن كعب ، النخع ، حرب بن علة ، سعد العشيرة ، مُراد ، عَنْس ، الأشعر ، مالك بن زيد بن كهلان ، أنمار ، خثعم . من ص ٦٠ الى ٤٢٤

وأتمّ في الجزء الثاني أنساب القبائل القحطانية وهي :

الأزد ، هَمْدان ، ألهان ، حِمْير ، قضاعة .

وفي الجزء الثالث استوفى القبائل القحطانية وهي : بهراء ، بَلِيّ ، مهرة ، أسلم بن الحاف بن قضاعة ، عُذرة ، سعد هذيم ، جهينة ، نَهْد بن زيد .

ثم أضاف إلى الأنساب لوحات نسبية (مشجرات) للقبائل التي ورد ذكرها في الكتاب ، وختم الكتاب بفهارس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار والأعلام والأقوام والأمثال وغيرها ، ثم ذكر المصادر والمراجع التي استعان بها .

وبلغت صفحات هذا الجزء ٨٥٣ صفحة .

وقد قام الأستاذ رياض مراد بإعداد الحواشي والتعليقات والمراجع .

من الواضح أن الأستاذ المحقق قد بذل جهداً مشكوراً ولقي عناء كثيراً في تحقيق المخطوطة واستكمال نواقصها ، وتصحيح ما فيها من الأخطاء النحوية ، وهي كثيرة ، وتصحيح ما وقع فيها من أخطاء وتحريف في أسماء القبائل ، وإضافة التعليقات الكثيرة إليها .

ومع تقدير الجهد العظيم الذي بذله المحقق في تحقيق المخطوطة المليئة بالأخطاء النحوية والتصحيف والتحريف لم يخل صنيعه من بعض الهنات التي أرجو أن يتداركها في طبعة مقبلة ، ومنها على سبيل المثال :

في ص ٣ سطر ٨ ضبط (عنزة) بكسر العين وسكون النون والصواب بفتحها (عَنَزة) .

وفي ص ٢٥ البيت الأول : فتاتي أهل تدمر والصواب : آل تدمر .

وفي ص ٣٦ ورد اسم الأخطل في المخطوطة مرتين برسم : عتّاب ، وهو خطأ ، وقد صححه المحقق فجعله : غياثاً : في المرة الأولى ، وهو الصواب ، وكان يحسن تصحيحه في المرة الثانية ايضاً ، لأن المصادر تجمع على ان اسمه غياث ، وعتّاب تصحيف من الناسخ ، وانما وقع الخلاف في اسم أبيه أهو غوث ـ وهو الأرجح ـ أم عوف .

على أن هذه الهنات هيّنة لايعتدّ بها بالقياس الى الجهد الكبير الذي بذله المحقق والكمال لله وحده .

المصادر

- ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة بيروت
- ابن خلكان : وفيات الأعيان تح . احسان عباس دار الثقافة بيروت ١٩٧٨ م
- ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ تح . فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨٠ م
- ابن الشعّار الموصلي : عقود الجمان (مخطوط)
- ابن كثير : البداية والنهاية القاهرة ١٣٥٨ هـ
- ابن الكلبي : ١ ـ جمهرة النسب تح . محمود فردوس العظم دمشق ١٩٨٤ م
  ٢ ـ نسب معد واليمن الكبير (مخطوط)
  ٣ ـ نسب معد واليمن الكبير تح . محمود فردوس العظم دمشق ١٩٨٨ م
- حمد الجاسر : ١ ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٢٧ كانون الثاني ١٩٥٢ م
  ٢ ـ مجلة العرب ج ٥ و ٦ تموز ١٩٨٦ م
- خير الدين الزركلي : الأعلام
- الصلاح الصفدي : الوافي بالوفيات (مخطوط) مجلد ٢٥
- العماد الأصفهاني : شذرات الذهب القاهرة ١٣٥٠ هـ
- مؤلف مجهول : مختصر جمهرة النسب (مخطوط)

- المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك دار الكتب المصرية ١٩٣٤ م
- نشرة أخبار التراث معهد المخطوطات - الكويت
- ياقوت الحموي : ١ - معجم الأدباء تح . الرفاعي القاهرة ١٩٣٦ م
  ٢ - المقتضب من جمهرة النسب (مخطوط)
- اليونيني موسى بن محمد :ذيل مرآة الزمان حيدر آباد ١٩٥٤ م

استدراك

وقعت في المقالة المنشورة في الجزء الرابع المجلد الرابع والستون حول كتب الأنساب العربية أخطاء نلفت النظر إليها وهي : ص ٥٤٥ لكثرة استعانة عمر بن الخطاب به في أقضيته وصوابها : لكثرة روايته أقضية عمر بن الخطاب . ص ٥٦٥ السطر الأول لم يعدم وصوابها : لم يعدم وفي الصفحة عينها كلام ابن حنبل : ماظننت أني آخذ الحديث عنه وصوابها : ماظننت أن أحداً يأخذ الحديث عنه

للبحث صلة

كتب الأنساب العربية

(٣)

الدكتور إحسان النص

كتاب النسب
لأبي عبيد القاسم بن سَلاّم (١٥٧ ـ ٢٢٤ هـ)

هذا الكتاب هو قيد الطبع الآن في بيروت ولذا نرجئ الحديث عنه الى حين الفراغ من طبعه .

كتاب نسب عدنان وقحطان
لأبي العبّاس المبرّد (٢١٠ ـ ٢٨٥) هـ

المؤلف*

أبو العبّاس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثُّمالي ، وثُمالة أحد بطون بني نصر بن الأزد[١] ، فهو على هذا عربي صريح النسب من قحطان . وثمة خبرٌ أورده ابن النديم يشكّك في صحة انتمائه العربي[٢] ، ولا يبعُد أن يكون بعض خصومه من نحاة الكوفة قد افتعل هذا الخبر للطعن في

● نشر القسمان الأول والثاني في مجلة المجمع (مج ٦٤ ، ج ٤ / مج ٦٥ ، ج ٣) .

☆ ترجمته في مصادر كثيرة منها : بغية الوعاة للسيوطي ١١٦ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٤ / ٣١٣ ، وأخبار النحويين البصريين للسيرافي ٩٦ ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١٠٩ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣ / ٣٨٠ ، ولسان الميزان لابن حجر ٥ / ٤٣٠ ، ونزهة الألباء للأنباري ٢٧٩ ، ومعجم الأدباء لياقوت ١٩ / ١١١ ، والإنباه للقفطي ٣ / ٢٤١ ، وشذرات الذهب ٢ / ١٩٠ ، والفهرست لابن النديم ٨٨ .

(١) جمهرة الأنساب ص ٣٧٧ .

(٢) الفهرست ص ٨٨ .

عروبته . ومّما يؤيّد انتماءه الى ثمالة أن الشاعر عبد الصمد بن المعذل حين هجاه جعله من ثمالة فقال :

سألنا عن ثُمالة كلّ حيٍّ فقال القائلون : ومَن ثُماله
فقلت : محمدُ بن يزيد منهم فقالوا : زدتنا بهمُ جَهاله[٣]

عُرف محمد بن يزيد بلقبه المبرِّد ـ بكسر الراء ـ فما يذكره القدماء إلاّ بلقبه ، ويذكرون في سبب تلقيبه به أنه لّما صنّف المازني كتاب « الألف واللام » سأله عن دقيقه وعويصه ، فأجابه بأحسن جواب ، فقال له المازني : قُم ، فأنت المُبرِّد . أي المثبّت للحق . فحرّفه خصومه من الكوفيين فجعلوه بفتح الراء[٤] . وكانت الخصومة بين العلماء ربّما حملتهم على تلقيب خصومهم بألقاب التشنيع والتقبيح ، وفي سبب تلقيبه بالمبرد أقوال أخرى لانقف عندها[٥] .

وثمة خلاف في سنة مولده وسنة وفاته ، والجمهور على أنه ولد بالبصرة سنة عشر ومئتين وعلى أنه توفي سنة خمس وثمانين ومئتين ، في خلافة المعتضد . وعلى هذا تكون سنّه عند وفاته خمساً وسبعين .

ومن عجب أن القفطي يثبت تاريخ مولده ووفاته على هذا النحو نقلاً عن أبي سعيد السيرافي ثم يضيف الى ذلك قوله على لسان السيرافي ـ : « وله تسع وسبعون سنة » وهذه العبارة الأخيرة لم ترد في كتاب السيرافي ، ويبدو أن القفطي لفق بين رواية السيرافي هذه ورواية عبد الله بن سعد القطربلي في تاريخه ونصّها :« مات أبو العبّاس المبرّد يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة خمس وثمانين ومئتين ، وله

(٣) معجم الأدباء : ١٩ / ١١٦ .
(٤) معجم الأدباء ١٩ / ١١٢ .
(٥) انظر : إنباه الرواة للقفطي ٣ / ٢٤٦ .

تسع وسبعون سنة . »[٦]

أخذ المبّرد عن طائفة من علماء النحو واللغة بالبصرة منهم أبو عمر الجَرْمي ، وأبو عثمان المازني ، وقد قرأ عليهما كتاب سيبويه ، وأبو حاتم السجستاني . وأخذ عنه طائفة من العلماء منهم أبو بكر الصَولي ، ونفطويه ، والزَجّاج ، وابن السرّاج .

بعد أن استوفى المبّرد نصيبه من المعرفة النحوية واللغوية والأدبية انصرف الى التدريس في حلقات البصرة والى تصنيف الكتب . وكان من أعلم الناس بكتاب سيبويه ، وقد قرأ عليه كثيرون وصنّف حوله طائفة من الكتب .

استدعاه المتوكل الى سُرّ من رأى سنة ست وأربعين ومئتين ليحكم بينه وبين وزيره الفتح بن خاقان في قراءة آية من القرآن ، فقال ماأرضاهما جميعاً ، فأفاضا عليه من رفدهما[٧] . ولما قُتل المتوكل سنة سبع وأربعين ومئتين صار المبّرد الى بغداد ، ولم يكن معروفاً لعلمائها ، ولكن شهرته مالبثت أن ذاعت وانعقدت حلقته في مسجدها واختلف إليه الناس ينهلون من علمه ، ومن أشهر من أخذ عنه ثمة إبراهيم بن السّريّ الزجّاج النحوي الكوفي الذي أعجب بسعة علمه ففارق حلقة شيخه ثعلب وصار الى حلقة المبّرد ولزمه .

كان المبّرد علماً من أعلام النحو واللغة في عصره ، قال فيه أبو بكر بن أبي الأزهر : « كان أبو العباس محمد بن يزيد من العلم وغزارة

(٦) انظر : الإنباه ٣ / ٢٤٧ و ٣ / ٢٥١ .

(٧) طبقات الزبيدي ١٠٩ والمصدر السابق ٣ / ٢٤٣ .

الأدب وكثرة الحفظ وحسن الإشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان وملوكية المجالسة وكرم العشرة وبلاغة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجودة الخَط وصِحّة القريحة وقرب الإفهام ووضوح الشرح وعذوبة المنطق على ما ليس عليه أحد ممّن تقدّمه أو تأخّر عنه . »[٨] ، وقال السيرافي : « سمعت أبا بكر بن مجاهد يقول : مارأيت أحسنَ جواباً من المبّرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قولٌ لمتقدم . » ، وقال فيه تلميذه نفطويه : « مارأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد من المبّرد وأبي العبّاس بن الفُرات . »[٩] .

ولحضور بديهته وفصاحة لسانه كان خصمه ثعلب يتحاشى مناظرته ، وقد سُئل خَتَن ثعلب أبو عبد الله الدينوري عن سبب ذلك فقال : « لأن المبّرد حسن العبارة حلو الإشارة فصيح اللسان ظاهر البيان ، وثعلب مذهبه مذهب المعلمين ، فإذا اجتمعا في محفل حكم للمبرد على الظاهر الى أن يُعرف الباطن[١٠] .

للمبرد مصنَفات كثيرة تُربي على الأربعين أجلُّها كتاب « الكامل في اللغة والأدب » وهو معرض لثقافته الواسعة في اللغة والنحو والأدب والأخبار . وجُلّ مؤلفاته في النحو وكثير منها يتّصل بكتاب سيبويه ، ومن مصنفاته : « المقتضب » في النحو ، و « التعازي والمراثي » و « المدخل الى كتاب سيبويه » و « الاشتقاق » و « إعراب القرآن » و

(٨) طبقات النحويين للزُّبيدي ص ١٠١ ، وقد أورد القفطي في الإنباه ٣ / ٢٤٢ هذا الكلام بنصه ولكنه لم يعزه الى قائله .

(٩) معجم الأدباء ١٩ / ١١٢ .

(١٠) المصدر السابق ١٩ / ١١٨ .

« معاني القرآن » و « طبقات النحويين البصريين وأخبارهم » و « نسب عدنان وقحطان » وهو موضع بحثنا ، و « رسالة البلاغة » ، و « العروض » و « القوافي » و « الفاضل والمفضول » و « مااتفقت ألفاظه واختلفت معانيه في القرآن » .

الكتاب

إن إطلاق لفظ كتاب على هذا المؤلَّف هو ضرب من التجوّز لأنه في واقع الأمر لايعدو أن يكون رسالة عدد صفحاتها أربع وعشرون ، وقد نشرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر عام ١٩٣٦ م . بتحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي .

ولكن للرسالة ـ على إيجازها ـ قيمة في كونها تقدّم ملخّصاً مفيداً لأنساب العرب يغني الباحث غير المتخصص من الرجوع الى كتب الأنساب المطوّلة ، مع توخي الدقة واستيفاء ذكر القبائل ذات الشأن والبطون المتفرّعة منها .

حقّق الرسالة الأستاذ الميمني ، وهو أوسع علماء الهند اطّلاعاً على التراث العربي وعنايةً به واحتفاءً بتحقيق آثاره ، مع التمكّن من الأداء العربي السليم . ولجامعة عليگرة الهندية التي عمل أستاذاً فيها حقبة من الزمن فضل لايجحد في العناية بالتراث العربي والاسلامي .

وفي مقدمة الرسالة يتحدث الأستاذ الميمني عن مخطوطات الرسالة ، فقد عثر الأستاذ معظم حسين ، الأستاذ بجامعة دهاكه الهندية ، في مكتبات اسطنبول (مكتبة جامع ولي الدين بايزيد المخطوط رقم ٣١٧٨ ، ومكتبة عاطف أفندي رقم المخطوط ٢٠٠٣) على نسختين من هذه الرسالة ضمن مجموع يضمّ طائفة من الرسائل ، وجهه لدى عودته الى الهند في

اصلاح مـافيهما من التحريف والتصحيف ، ولكنـه عجـز عن ذلـك ، فـأنفـذهمـا الى المجمع العلمي بـدمشق (مجمع اللغـة العربيـة اليوم) ليتولّى تصحيحهما وتحقيق الرسـالـة ، ووكل المجمع أمر التحقيق الى الأسـتـاذ عبـد القادر المغربي ، فلمّا نظر في المصوّرتين وعاين مافيهما من الأخطاء أعرض عن تحقيق الرسالة .

ثم بدا للأستاذ معظم حسين أن يرسل مصورتي الرسـالـة الى الأسـتـاذ الميمني فلما نظر فيهما وجد أن تصحيح مافيهما من أخطاء يجشمه من الجهـد مالاطاقة له به ، فأعرض عن الأمر ، الى أن عزم على الارتحـال الى البلاد العربية سنة ١٣٥٥ هـ فانكب على تحقيق الرسالة ورجع الى مختلف مظانّ التحقيق حتى استطاع أن يصحّح مـافي الأمّين من أخطـاء ، ولم تفتـه إلاّ كلمات يسيرة لم يهتد الى وجه الصواب فيها .

وكان الأسـتـاذ الميمني على علم بوجـود نسخـة أخرى من هـذا المجمـوع الذي يتضمّن هذه الرسالة في مكتبة الإسكوريال بإسبـانيـا رقمهـا ١٧٠٠ ، وكان المستشرق الإيطالي دلاّفيدا قد طبع رسالتين منه في الخيل وذكر أن النسخة صحيحة للغـايـة وعليهـا نصوص السماع ، ولكن الأسـتـاذ المحقّق لم يتسنّ له الحصول عليها ، فحقّق الرسالة اعتماداً على الأصلين اللذين وجدا في خزائن اسطنبـول ، ومـع أن المستشرق الألمـاني آتـوشبيز وعـد الأسـتـاذ بموافاته بصورة عن نسخة الاسكوريال فإنـه لم ينتظر إرسالهـا لأنـه كان على أهبة السفر الى البلاد العربية فلم يقف عليها .

ثم إنـه عثر في دار الكتب المصريـة على نسختين أخريين من هـذا المجموع ولكنهما كانتا كثيرتي التصحيف ، واستظهر الأسـتـاذ أنها منقولتـان عن نسختي اسطنبول . وقد حقق العلاّمـة الشنقيطي بعض مـافي النسخـة

الأولى من أخطاء فعارض الأستاذ الميمني نسخته بهاتين النسختين وأشار الى مواضع المعارضة في حواشي الرسالة .

وقد ذيل الأستاذ المحقق الرسالة بهوامش مفيدة تتناول تعريفاً موجزاً بمن ورد ذكرهم في الرسالة من العلماء مع الإحالة الى مراجع الترجمة ، كما تتناول ذكر المصادر التي رجع إليها في ضبط أسماء الأشخاص والقبائل .

والرسالة برواية أبي الحسين هلال بن المحسّن بن إبراهيم(١١) ، سماعاً عن أبي الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي(١٢) ، عن أبي بكر محمد بن السّريّ السّرّاج(١٣) ، عن أبي العبّاس المبّرد .

بدأ المبّرد بذكر نسب مضر بن معدّ بن عدنان ونسب ولديه خندف وقيس ، وعدّد قبائل كل منهما على وجه الإيجاز بادئاً بقريش - على عادة النسّابين - . وقد عدّد بطون قريش وذكر الرجال البارزين في كل بطن من بطونها . ومن عجب أنه أطال شيئاً ما في ذكر بطون عبد شمس والبارزين من رجالها في حين أنه لم يقف عند بطن بني هاشم ولم يذكر من تفرّع منه وأعلام رجاله وفي مقدمتهم محمد رسول الله (ﷺ) مع أن

---

(١١) هلال بن المحسّن الصابىء ، كان أبوه وأجداده من الصابئة ، وقد أسلم في أواخر حياته ، وهو مؤرخ أديب من مؤلفاته « تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء » و « ذيل تاريخ ثابت بن سنان » . توفي سنة ٤٤٨ هـ .

(١٢) علي بن عيسى هو النحوي المشهور أبو الحسن الرمّاني ، صاحب المصنفات المشهورة في النحو والاعتزال والمباحث القرآنية . توفي سنة ٣٨٤ هـ .

(١٣) محمد بن السريّ المعروف بابن السرّاج من أئمة العلماء في النحو والأدب . قيل فيه : « مازال النحو مجنوناً حتى عقّله ابن السرّاج بأصوله » . من كتبه : « الأصول في النحو » و « شرح كتاب سيبويه » ، وكان من تلاميذ المبرد الملازمين له . توفي سنة ٣١٦ هـ .

من عادة مؤلفي كتب الأنساب أنهم يطيلون الوقوف عند نسب الرسول عليه السلام ، وكان المبرد في زمن العباسيين ومع ذلك لم يذكر نسبهم .

ثم انتقل الى قبيلة كنانة وبطونها ، فأسد ، فهُذيل ، فسائر بطون خندف بنت مضر . فلمّا فرغ منها ذكر بطون قيس عيلان والمشهورين من رجالها . وقد استغرق ذكر قبائل مضر ثلاث عشرة صفحة .

وانتقل بعدئذ الى ربيعة بن نزار فذكر أشهر قبائلها وبطونها والمشهورين من رجالها على وجه الإيجاز .

ثم انتقل بعدُ الى اليمن فعدّد القبائل القحطانية المشهورة وبطونها ، صنيعه في القبائل العدنانية .

والرسالة ، على إيجازها المسرف ، لم تخل من بعض الأبيات الشعرية التي وردت فيها أسماء طائفة من القبائل والبطون وأعلام الرجال ، ولم يحاول المبرد استيفاء أسماء قبائل عدنان وقحطان والبطون المتفرّعة منها وانما اقتصر على المشهور منها .

ضبط المحقّق أسماء القبائل والأشخاص ضبطاً جيداً مستعيناً بطائفة من المراجع ، منها الاشتقاق لابن دريد ، والمعارف لابن قتيبة ، والإصابة لابن حجر . وربما أشار في الحواشي الى الخلاف بين المصادر في ضبط الأسماء .

كتاب
العِقد الفريد
لابن عبد ربه (٢٤٦ - ٣٢٨) هـ

المؤلف*

أبو عمر ، أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدير بن سالم القرطبي ، كان جدّه سالم مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي .

ولد بقرطبة سنة ٢٤٦ هـ ، ولمّا نشأ انكبّ على المطالعة والدرس والنهل من مختلف المعارف ، فدرس التفسير والحديث وعلوم القرآن والفقه والأدب والنحو وغيرها من العلوم ، أخذ عن جماعة من الأشياخ منهم محمد بن عبد السلام الخُشَني وابن وضّاح وبَقِيّ بن مَخْلَد .

وكان الى ذلك ولعاً بالغناء والموسيقا ، يأخذ بنصيب من المتع وأسباب اللهو التي كانت فاشية في بيئته .

لازم الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموي الذي تولى الخلافة في قرطبة سنة ٢٧٥ هـ ونادمه حقبة من الدهر ومدحه بطائفة من المدائح ، وبعد وفاته سنة ٣٠٠ هـ اتصل بخلفه حفيده عبد الرحمن الناصر الذي لُقّب بأمير المؤمنين فلازمه ومدحه .

نسك ابن عبد ربه في أواخر حياته فنقض ما قاله في صباه من

---

* من مصادر ترجمته : يتيمة الدهر للثعالبي ١ / ٣٦٠ ، معجم الأدباء لياقوت ٤ / ٢١١ ، بغية الملتمس للضبيّ ١٣٧ ، وفيات الأعيان لابن خلّكان ١ / ١١٠ ، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ٣٨ ؛ مجلة مجمع اللغة العربية ١٥ : ٤٨٨ .

الشعر في اللهو والغزل بقصائد سمّاها « الممحّصات » ، توفي بعد إصابته بالفالج سنة ٣٢٨ هـ .

تجلّت ثقافته المتنوّعة في كتابه « العقد الفريد » ، وكان الى ذلك من شعراء عصره وأدبائه اللامعين . قال فيه الحميدي : « كانت لأبي عمر بالعلم جلالة ، وبالأدب رياسة وشهرة ، مع ديانته وصيانته . »[١٤] . ويذكر ياقوت أن المتنبي سمع شيئاً من شعره فأبدى إعجابه به وقال : « يابن عبد ربه ، لقد يأتيك العراق حبواً . »[١٥]

الكتاب

كتاب العقد الفريد من كتب الاختيارات ، فقد جمع ابن عبد ربه محتواه من كتب الأدب والتاريخ ومّما سمعه من العلماء والأدباء ، وقدّم لكل كتاب منه بمقدمة من إنشائه ، وضمّن الكتاب الكثير من شعره . وقد أقرّ المؤلف في مقدّمة كتابه بإنّ عمله في الكتاب قائم على الاختيار فقال : « وقد ألفت هذا الكتاب وتخيّرت جواهره من متخيّر جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجوهر ولُباب اللباب ، وأنالي فيه تأليف الأخبار ، وفضل الاختيار ، وحسن الاختصار ، وفرش في صدر كل كتاب . وماسواه فمأخوذ من أفواه العلماء ، ومأثور عن الحكماء والأدباء . واختيار الكلام أصعب من تأليفه ... »[١٦] .

وقد عُدّ كتاب العقد من أمهات الكتب الأدبية لجودة اختياراته وحسن تأليفه وضخامة محتواه . وكانت غاية ابن عبد ربه من تأليفه نقل

---

(١٤) معجم الأدباء ٤ / ٢١٥ .

(١٥) المصدر السابق ٤ / ٢٢٣ .

(١٦) العقد ١ / ٣ .

ذخائر الأدب المشرقي الى أهل الأندلس ، على نقيض صنيع المؤلفين الأندلسيين الذين عنوا بأدب الأندلس ، ولهذا عاب بعض المشارقة كتاب العقد لأنهم وجدوا فيه أدبهم لاأدب أهل الأندلس الذي كانوا ينتظرون أن يجدوه فيه ، فروي عن الصاحب بن عبّاد قوله حين نظر فيه : « هذه بضاعتنا رُدّت إلينا ، ظننت أن هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم وإنما هو يشتمل على أخبار بلادنا ، لاحاجة لنا فيه . »(١٧) .

وقد اختار المؤلف طريقة طريفة في تصنيف كتابه ، فجعله عِقداً وجعل كل باب من أبوابه جوهرة من الجواهر ، قال : « وسمّيته كتاب العقد الفريد لما فيه من مختلف جواهر الكلام ، مع دقة السّلك وحسن النظام ، فجزّأته على خمسة وعشرين كتاباً ، كل كتاب منها جزآن ، فتلك خمسون جزءاً في خمسة وعشرين كتاباً ، وقد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد . »(١٨) .

ولانودّ أن نطيل الوقوف عند أبواب الكتاب وموضوعاته ، وإنما يعنينا هنا حديثه عن أنساب العرب ، وقد تضمّنها كتاب « اليتيمة » (في الجزء الثالث من الكتاب) .

استهلّ المؤلف حديثه عن أنساب العرب ببيان شأن النسب الذي هو « سبب التعارف وسلّم الى التواصل ، به تتعاطف الأرحام الواشجة ، وعليه تحافظ الأواصر القريبة .. »(١٩) ، وببيان وجوب العناية بمعرفة الأنساب وإيراد الأقوال المتصلة بهذا الشأن .

(١٧) معجم الأدباء ٤ / ٢١٤ .

(١٨) مقدمة مؤلف العقد ١ / ٥ .

(١٩) العقد ٣ / ٣١٢ .

ثم تحدّث عن أصول ، أنساب الأمم ولكنه لم يطل في بيان ذلك وإنما اكتفى بذكر أبناء نوح الثلاثة : سام وحام ويافث ، وبيّن تفرّع الأمم كلها منهم ، فمن سام ، العرب والفرس والروم ، ومن حام : السودان والبربر والنبط ، ومن يافث : الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج .

ثم انتقل الى ذكر أنساب العرب بادئاً بقريش . والمنهج الذي سار عليه يخالف منهج ابن الكلبي وعلماء النسب ، فهو لايذكر الأنساب متسلسلة من الآباء الى الأبناء وانما يذكر المشهورين في كل بطن من البطون ، مضيفاً الى ذلك مايتّصل بأنساب كل بطن من أخبار وأشعار . وفي أثناء حديثه عن الأنساب وقف وقفات قصيرة عند فضل بني هاشم وقريش على سائر العرب وفضل العرب على سائر الأمم ، كما وقف وقفة قصيرة عند علماء النسب ، وعني بتفصيل بيوتات العرب المضرية واليمنية ، وفسّر معاني الألفاظ الدالّة على الجماعات القبلية كالأرحاء والجماجم . وهو يحرص على إسناد الأخبار الى رواتها فيروي عن ابن الكلبي وأبي عبيدة والهيثم بن عديّ وابن الأعرابي وغيرهم ، فكانت أخباره مستمدّة من مصادر شتى ولم يعتمد على كتاب ابن الكلبي وحده .

على أننا قد نقف على بعض الأخطاء في حديثه عن الأنساب ، لأن ابن عبد ربه لم يكن من علماء النسب وانما كان ينقل ما في كتب الأنساب ، ومن ذلك أنه يذكر في سياق حديثه عن الجماجم والأرحاء أن « الرجل من عبد القيس ينسب شيبانياً وجَرمياً وبكريّاً »[٢٠] ، وليست هذه القبائل الثلاث : شيبان وجَرم وبَكر من بطون عبد القيس

(٢٠) العقد ٣ / ٣٣٦ .

الربعية ، فشيبان بطن من بكر ، وبكر ينتمي الى وائل بن قاسط وهي تجامع عبد القيس في انتمائها الى ربيعة بن نزار ، أما جرم فهي قبيلة يمنية لاصلة لها بربيعة[٢١] .

كذلك وقع محققو الكتاب في بعض الأخطاء في ضبط أسماء بعض القبائل والبطون ، ومن ذلك ضبطهم لأحد بطون بني أسد بلفظ « قُعيس بن الحارث بن ثعلبة[٢٢] » والصواب « قُعين » ، وهو من أشهر بطون بني أسد ، وهو ماورد في الأصل المنقول عنه ، وقد خطّأه المحققون وفضلوا عليه ماوجدوه في طبعة غير محققة من تاريخ الطبري ، (وقد ضبطت على الصواب في الطبعة التي حققها محمد أبو الفضل إبراهيم) ولو أنهم رجعوا الى أي كتاب في الأنساب لاهتدوا الى وجه الصواب . ومن أخطاء المؤلف ـ أو أخطاء المحققين ـ كذلك نسبة جرير بن عطية الشاعر الى بني كلب بن يربوع والصواب : كليب بن يربوع[٢٣] . وقد نسب المؤلف كُثيّراً الشاعر الى بني نهشل بن دارم بن تميم[٢٤] ، ولم يقل بهذا أحد من علماء النسب ، وهو في قول جميع من ترجموا له من قبيلة خزاعة[٢٥] . والخلاف إنما وقع في نسب خزاعة ، فمن علماء النسب من يجعلها مضرية من قمعة بن اليأس بن مضر ومنهم من ينسبها الى اليمن . وقد ذكر

(٢١) يحتمل أن يكون محقق المطبوعة لم يقرأ المخطوطة على وجهها أو يكون الناسخ قد صحّف في أسماء هذه القبائل ، ولايبعد أن تكون « شيبانياً » محرفة عن شَنّيّاً ، وشنّ قبيلة كبيرة في عبد القيس ، وكذلك يرجح أن يكون لفظ « بكرياً » مصحفاً عن « نكرياً » ، وَنكرة بن لُكيز بطن ضخم من عبد القيس .

(٢٢) العقد ٣ / ٣٤٠ .

(٢٣) انظر : العقد ٣ / ٣٤٨ .

(٢٤) المصدر السابق ٣ / ٣٤٩ .

(٢٥) انظر : الأغاني ٩ / ١ ، وجمهرة ابن حزم ص ٢٣٨ .

المؤلف الصواب في نسب كُثيّر في كلامه على أنساب خزاعة[٢٦] .

ومن أخطاء الضبط كذلك ماورد في نسب ربيعة بن نزار وهو قولهم : « ومن بني يقدم بن عنَزة : سيد بني بغيض الشاعر .[٢٧] » والصواب : « ومن بني يقدم بن عنزة رشيد بن رُمَيض الشاعر . » . ولست هنا بصدد استقصاء أخطاء المؤلف والمحققين فاقتصرت لذلك على ذكر طائفة منها .

وقد توخّى ابن عبد ربه الإيجاز في ذكر أنساب القبائل العربية لأن كتابه ليس وقفاً على الأنساب وحدها ، وختم حديثه عن أنساب العرب بأقوال الشعوبية في التسوية بين العرب وسائر الأمم ومفاخرتهم العرب وردّ ابن قتيبة عليهم في كتابه « تفضيل العرب » وردّ الشعوبية عليه وردّ العرب على الشعوبية .

كتاب
جمهرة الأنساب
لابن حَزم الأندلسي (٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ)

المؤلف*

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن مَعدان بن سفيان بن يزيد . فارسي الأصل ، كان جدّه يزيد

(٢٦) العقد ٣ / ٣٨٣ .

(٢٧) العقد ٣ / ٣٥٧ .

☆ من مصادر ترجمته : جذوة المقتبس للحُميدي ٢٩٠ ؛ وبغية الملتمس للضبي ٣٠٣ ؛ والصلة لابن بشكوال ٢ / ٤١٥ ومعجم الأدباء لياقوت ١٢ / ٢٣٥ ؛ ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣ / ٣٢٥ ؛ ونفح الطيب للمقّري ٢ / ٢٨٣ ؛ وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣ / ٣٢١ ؛ ولسان الميزان لابن حجر ٤ / ١٩٨ .

الفارسي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي ، فهو قرشيّ بالولاء . كان جدّه يزيد أول من أسلم من أجداده وكان جدّه خلف أول من دخل الأندلس واستقرّ فيها . وقد استقرّت أسرته لدى نزولها الأندلس في قرية « مَنْت لِيشم[٢٨] » ، إحدى قرى كورة لَبْلة ، في غربي الأندلس ، على ساحل البحر الأعظم (المحيط الأطلسي) وقد ولد جدّه سعيد بمدينة « أونبة » ثم انتقل الى قرطبة ، واستقرّت معه أسرته في هذه المدينة ونال رجالها جاهاً بعيداً فيها لانصرافهم الى العلم ومشاركتهم في الحياة السياسية .

وفي مدينة قرطبة ولد ابن حزم سنة ٣٨٣ هـ أو سنة ٣٨٤ هـ ، وقد تبوأ أبوه أحمد بن سعيد منصب الوزارة لدى المنصور بن أبي عامر وابنه المظفّر بعده . فكذلك نرى أن ابن حزم نشأ في بيت جاه وعلم ومنزلة رفيعة ، وقد انصرف منذ حداثة سنه الى طلب العلم ثم أهّلته منزلة أسرته السياسية لتبوؤ المناصب السياسية فجعله الخليفة الأموي المستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام وزيراً له حينما بويع سنة ٤١٤ هـ ، ولكن خلافة المستظهر لم تطل مدّتها فقد قتل بعد أسابيع من ولايته وسجن ابن حزم مدّة بسبب صلته بالخليفة ، على أن خلفه الخليفة المعتدّ بالله هشام بن محمد عرف له فضله ومكانته فاتخذه وزيراً له ليستعين بخبرته السياسية .

وفي أثناء توليه الوزارة للمعتّد بالله اتخذ ابن حزم قراراً غيّر مجرى حياته ومصيره ، فقد تخلى عن الوزارة وعن العمل السياسي لينصرف الى طلب العلم والى التصنيف .

---

(٢٨) ضبطها ياقوت في معجم البلدان « مَنْلِجَتْم » والضبط الأول نراه أدنى الى الصحة لأن « منت » تقابل لفظ Monte بمعنى « جبل » ، أما ليشم فلم نهتد الى أصلها الاسباني .

وكانت ثقافته متنوعة الآفاق : دينية وفلسفية وأدبية وتاريخية ، ولكن عنايته اتجهت الى العلوم الدينية خاصة ، ومالبث أن برّز فيها وأصبح علماً من أعلامها ، ونال فيها مالم ينله أحد قط قبله بالأندلس . حتى قال فيه القاضي صاعد : « كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الاسلام وأوسعهم معرفة ، مع توسّعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار . »(٢٩) .

انصرف في أول أمره الى فقه المالكية ، وقرأ موطأ مالك ، ولكنه انصرف عنه بعد حين الى مذهب الشافعي وانحرف عن المذهب المالكي الشائع في بلاد الأندلس والمغرب آنذاك ، ولذلك تعرّض له كثير من فقهاء المالكية وعيب بالشذوذ عن الجماعة . على أن ابن حزم مالبث أن بدا له فمال الى المذهب الظاهري الذي أسسه داود بن علي بن خلف الأصبهاني (٢٠١ ـ ٢٧٠ هـ) وأصبح من أشد المتعصّبين له ، وناضل عنه أشد نضال ، وألّف الكتب في شرح أصوله . ولكنه خالف داود بن علي في بعض ماذهب إليه واتّخذ لنفسه مذهباً انفرد به وألف الكتب في شرحه وبيان أصوله ، وكان يفخر بمذهبه ويتمسّك به أشدّ تمسّك ، ومن شعره في بيان مذهبه قوله :

ألم تَرَ أنيّ ظاهريٌّ وأنني على مابدا حتى يقومَ دليلُ

وقد ردّ عليه فيما بعد الفقيه المالكي أبو بكر ابن العربي (٤٦٨ ـ ٥٤٣ هـ) في كتابه « العواصم من القواصم . » . وكان لابن حزم مريدون وتلامذة يلازمونه ويتحمّسون لمذهبه ومنهم الوزير أبو محمد بن العربي الذي يذكر أنه سمع من ابن حزم جلّ مصنّفاته وله إجازات بها .

---

(٢٩) الصلة لابن بشكوال ٢ / ٤١٥ .

كان ابن حزم مجترئاً على الأئمة والعلماء ، نزّاعاً الى مناظرتهم ومجادلتهم ، وقد وقعت مناظرات بينه وبين طائفة من العلماء والفقهاء ومنهم أبو الوليد سليمان بن خَلف الباجّي الفقيه المالكي ، وكانت في ابن حزم حدّة وعنف عند الجدل ، ولهذه الأسباب كلها نفر منه العلماء والفقهاء وأخذوا يشنّعون عليه ويؤلبون عليه الملوك والأمراء ، حتى نفروا منه وأقصوه عن مجالسهم .

وبسبب مذهبه هذا وتعرّضه لأئمة المذهب المالكي وغيرهم وتشيّعه لبني أمية مواليه أمر المعتضد بن عبّاد ، صاحب إشبيلية ، بإحراق كتبه ، فأحرق جانب كبير منها . ولم يفتّ هذا في عضد ابن حزم وظلّ مقيماً على مذهبه وعلى تصنيف الكتب وقال يتحدّى خصومه :

وإن تُحرقوا القرطاسَ لا تحرقوا الذي ... تضمّنه القرطاسَ بل هو في صدري
يسيرُ معي حيث استقلّت ركائبي ... وينزلُ إن أنزِلْ ويُدفَنُ في قبري
دعوني من إحراق رَقٍّ وكاغَدٍ ... وقولوا بعِلمٍ كي يرى الناسُ من يدري
وإلاّ فعودوا في المكاتب بَدْأةً ... فكم دون ما تبغُون لله من سِترِ[٣٠]

على أن ابن حزم اضطرّ الى النزوح عن قرطبة بعد أن أُقصي عن مجالس الملوك وتألّب عليه جمهور العلماء والفقهاء ، فعاد الى موطن أسرته في غربيّ الأندلس ولازمها حتى وفاته سنة ٤٥٦ او ٤٥٧ هـ .

خلّف ابن حزم عدداً وافراً من المصنّفات لا يفوقه في كثرتها إلا ابن جرير الطبري - فيما ذكروا - . وتتناول مصنّفاته مختلف جوانب المعرفة ، إلا أن أكثرها في الفقه وعلوم الدين . وقد نقد بعض القدامى ابن

(٣٠) معجم الأدباء ١٢ / ٢٥٢ .

حزم - ومنهم صاعد بن أحمد الجيّاني وحيّان بن خلف الأندلسي - في طائفة من مؤلفاته ولاسيا المنطقية منها ، فذكروا أنه خالف أرسطوا مخالفة من لم يفهم أغراضه ولم يتعمّق مراميه .

نقل عن أبي رافع ابنه أن مبلغ تآليف أبيه في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل والتاريخ والنسب وكتب الأدب وغيرها نحو أربعمئة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة[٣١] . ومن كتبه المطبوعة : « الفصل في الملل والأهواء والنحل » و « جمهرة الأنساب » الذي نحن بصدده ، و « أصحاب الفتيا » وقد نشر في ذيل « جوامع السيرة » المحقق ، و « أسماء الصحابة والرواة » وقد نشر في ذيل « جوامع السيرة » و « حجّة الوداع » و « جوامع السيرة » وقد نشرته دار المعارف سنة ١٩٥٦ بتحقيق الدكتور احسان عباس والدكتور ناصر الدين الأسد . و « ملخّص إبطال القياس » و « فضائل الأندلس » و « أسماء الخلفاء والولاة » في ذيل جوامع السيرة . و « طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاّف » ، و « الإحكام في أصول الأحكام » في ثماني مجلّدات و « مداواة النفوس » و « القراءات المشهورة في الأمصار » و « المُحلّى بالآثار في شرح المجلّى بالاختصار » وهو من أوسع كتبه الفقهية في أحد عشر جزءاً »و « مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات » و « مسائل أصول الفقه » و « نقط العروس في تواريخ الخلفاء » . ويذكرون أن أوسع كتبه هو كتاب « الإيصال الى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام » وهو في أربع وعشرين مجلّدة ، ولم يصل إلينا[٣٢] .

---

(٣١) معجم الأدباء ١٢ / ٢٣٨ .

(٣٢) معجم الأدباء ١٢ / ٢٤٢ .

الكتاب

كتاب « جمهرة الأنساب » من أهم كتب الأنساب العامة لاستيعابه أنساب العرب كافّة ودقّته وجودة ترتيبه ، مع توخّي الإيجاز وطرح مالاغناء فيه .

وقد استمدّ ابن حزم مادة كتابه من مصادر شتى أهمّها « جمهرة النسب » لابن الكلبي ، كما يتّضح من الموازنة بين الكتابين ، على أنه لايذكر ابن الكلبي في كتابه إلا في مواضع قليلة ، شأنه حين تحدّث عن العرب العاربة (ص ٤٨٦) . وحين يضيف الى مأأخذه أشياء من عنده فهو ينسبها الى نفسه فيقول : « قال عليّ » .

ومنهجه في كتابه يوافق منهج ابن الكلبي في جمهرته في اتباع طريقة التفريع من الآباء الى الأبناء بالتسلسل والترتيب ، ولكنه جرى على استعمال صيغة « وَلَدُ فلان » على الابتداء ، في حين أن ابن الكلبي جرى على استعمال صيغة « وَلَدَ » الفعلية وجعل الاسم بعدها مفعولاً لها . وهو يبدأ بذكر اسم القبيلة وماتفرّع عنها من بطون وأفخاذ ثم يقف عند كل بطن ويذكر المشهورين من رجاله .

ومن منهجه أنه بدأ بذكر أنساب العدنانية بادئاً بقريش ، وحين ذكر أنساب القحطانية بدأ بالأنصار قال : « وابتدأنا من ولد عدنان بقريش لموضعه عليه السلام منهم وابتدأنا من قريش بالأقرب فالأقرب منه عليه السلام ، ثم الأقرب فالأقرب من قريش ، وابتدأنا من ولد قحطان بالأنصار ، رضي الله عنهم ، لأنهم أولى الناس بذلك »[٣٣] . وذلك

---

(٣٣) مقدمة المؤلف ص ٦ .

هو نهج جلّ مؤلّفي كتب الأنساب في تقديم نسب الرسول عليه السلام على سائر الأنساب .

على أن ابن حزم يختلف عن ابن الكلبي في إهماله ذكر من لم ينسل من العرب ، ويوضح نهجه هذا فيقول : « قال عليّ : شرطنا أن لانذكر من ولادات أوائل القبائل وأوساطها إلاّ من أنسل من العرب ، أما من انقرض نسبه فلا معنى لذكره ، إلاّ من كان من الصحابة ، رضي الله عنهم ، وأبنائهم وأهل الشرف ونباهة الذكر ، فلا بدّ من ذكرهم ، أو يدعو سبب الى ذكر من انقرض عقبه لشهرته أو لبعض الأمر ، وإن انقرضت أعقابهم[٣٤] . »

وكذلك يخالف ابن حزم ابن الكلبي في عدم اسرافه في الاستشهاد بالشعر ، وفي إغفاله الأخبار المستطردة التي لاتتصل بموضوع النسب اتصالاً وثيقاً .

وثمة ميزة لكتاب ابن حزم لانجدها في غيره من كتب الأنساب ، تلك أنه بعد فراغه من ذكر القبائل على وجه التفصيل يعود الى ذكرها في آخر كتابه على وجه الإجمال والاختصار ، فيقدم للقارئ غير المعنيّ بالتوسع في أنساب العرب موجزاً مفيداً لأنساب القبائل العربية وبطونها المشهورة . ومن ميزات الكتاب كذلك عناية ابن حزم بأبرز الأحداث في تاريخ العرب حتى عصره وأيام العرب المشهورة ووقائعها في الجاهلية والإسلام وبيان اختلاف المؤرخين بشأنها .

استهلّ ابن حزم كتابه بالكلام على الأنساب ووجوب العناية

---

(٣٤) الجمهرة ص ٩ .

بمعرفتها وجعل الوقوف على علم النسب واجباً على كل مسلم ، يقول : « فوجب بذلك أن علم النسب علم جليل رفيع ، إذ به يكون التعارف . وقد جعل الله تعالى جزءاً منه تعلّمه لايسع أحداً جهلُه ، وجعل تعالى جزءاً يسيراً منه فضلاً تعلّمه ، يكون مَن جَهله ناقصَ الدرجة في الفضل ، وكل علم هذه صفتُه فهو علم فاضل لاينكر حقّه إلاّ جاهلٌ أو معاند . »(٣٥) ، وقد استعان بأحاديث لرسول الله عليه السلام وأصحابه تؤيد نظرته الى الأنساب ووجوب العناية بها ، وردّ على القائلين بكراهية رفع النسب الى الآباء في الجاهلية .

وقد وقف ابن حزم على التوراة والإنجيل ولهذا نجده ينقل في كتابه بعض ماجاء في التوراة ، وربما طعن في صحتها ، ومن ذلك قوله في صدر كتابه لدى الحديث عن نسب قحطان : « والذي في التوراة من أنه قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ، فقد بيّنا في كتابنا الموسوم « بالفِصل » يقين فساد نقل التوراة عند ذكرنا مافيها من الكذب الظاهر الذي لامخرج منه ، وأنها مصنوعة مولّدة ، ليست التي أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام البتة . »(٣٦) كما نجد في كتابه مايدلّ على اطّلاعه على كتب العجم والروم ، ومن ذلك قوله : « ووجدنا في كتب بطليموس وفي كتب العجم القديمة ذكر القضاعيين ونبذة من أخبارهم وحروبهم . »(٣٧) .

وفي كتابه إضافات مفيدة لانجدها في جمهرة ابن الكلبي ، ومنها أنه

(٣٥) الجمهرة ص ٢ .

(٣٦) الجمهرة ص ٨ .

(٣٧) المصدر السابق .

في تعداده الأشخاص المشهورين في القبيلة يذكر من استقرّ منهم أو من أعقابهم في الأندلس ، وبذلك وصل الماضي بالحاضر وأفادنا في معرفة من نزل الأندلس من قبائل العرب ومواطن استقرارهم فيها ، فهو يقول مثلاً في سياقة نسب بني عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة التميميين : « فمن بني بهدلة : الزِبرقان ، واسمه الحُصين بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب ، له وفادة ، وله عقب بطَلَبيرة ، لهم بها تقدّم ، وكانوا أولَ دخولهم بالأندلس نزلوا بقرية ضخمة تسمّى الزّبارقة ، نسبت إليهم ، ثم غلب النصارى عليها فانتقلوا الى طَلبيرة ، فحلّتهم بها معروفة بحومة العرب الى اليوم ، وإياهم عنى الشاعر في مدحه للمنصور بن أبي عامر حيث يقول يهنئه في بعض فتوحاته :

فلو شاء أهلُ الزِبرقان تحمّلوا ... فعادوا الى أوطانهم بالزبارقِ

يعنى موضعهم في بلاد الروم المسمّى بالزبارق . »[٣٨]

ومن إضافاته كذلك أنه أفرد باباً للمفاضلة بين عدنان وقحطان ، فقابل كل قبيلة عدنانية بقبيلة تماثلها في المنزلة من قحطان ، وجعل قبائل عدنان المشهورة ثلاثاً وهي : تميم ، وعامر بن صعصعة ، وبكر بن وائل ، ووضع إزاءها من قبائل قحطان : الأزد ، وحِمْيَر ، ومَذْحِج ، وجعل مدار المفاضلة على المشهورين في كل قبيلة ـ باستثناء الملوك ـ من أجوادها وحكمائها وشعرائها وأوفيائها ورؤسائها ، وانتهى من هذه المفاضلة الى تفضيل عدنان على قحطان . ولكنه بعد ذلك يستدرك مدفوعاً بعاطفته الدينية فيجعل مدار المفاضلة الحقيقي على التقوى فيقول : « وأما في الحقيقة فلا فخر إلا بالتقوى ، وماعدا ذلك فخطأ :

(٣٨) الجمهرة ص ٢١٩ .

إنّ أكرمَكم عند الله أتقاكم . »[٣٩] .

ومن إضافاته كذلك أنه خصّ ديانات العرب في الجاهلية بفصل مستقل تحدث فيه بإيجاز شديد عن النصارى واليهود والمجوس والوثنيين من العرب ، وعن أصنام العرب[٤٠] .

ومن الإضافات المفيدة في الكتاب إفراده باباً لأنساب البربر[٤١] وبيوتاتهم المشهورة في الأندلس ، وقد ذكر في صدره الاختلاف في أصل أنسابهم ، فجعلهم بعض النسابين من بقايا ولد حام بن نوح ونسبتهم طائفة الى قيس عيلان وطائفة أخرى نسبتهم الى حمير وقد كذّب ابن حزم القائلين بانتسابهم الى حِمْيَر أو الى قيس عَيلان . وابن حزم هو أول من عُنِي بأنساب البربر من النسّابين العرب ، ومن المحقق أن ابن خلدون اعتمد على ابن حزم في حديثه عن أنساب البربر .

وعني ابن حزم - الى ذلك - بأنساب بني قَسِيّ المولّدين بثغر الأندلس ، وكان جدّهم قسيّ قومس الثغر في أيام القوط[٤٢] .

كما عني بذكر قطعة من نسب بني إسرائيل ، وقد استمد هذا النسب من التوراة والإنجيل ولكنه كان يخالف ما جاء فيهما في بعض الأحيان[٤٣] . ولابن حزم مؤلفات يردّ فيها - بدافع من نزعته الدينية - على اليهود والنصارى .

---

(٣٩) الجمهرة ص ٤٩٠ .

(٤٠) الجمهرة ص ٤٩١ .

(٤١) الجمهرة ص ٤٩٥ .

(٤٢) الجمهرة ص ٥٠٢ .

(٤٣) الجمهرة ص ٥٠٥ .

وقد ختم كتابه بقطعة في غاية الإيجاز من نسب الفُرس .

طبعاته

للكتاب مخطوطات كثيرة محفوظة في مختلف مكتبات العالم ، واعتماداً على طائفة منها طبع الكتاب طبعتين :

أولاهما : الطبعة التي حققها المستشرق الفرنسي ليڤي پروڤنسال وطبعت في القاهرة عام ١٩٤٨ . وقد اعتمد فيها على ثلاث مخطوطات ، ولكن المحقق لم يوفق في ضبط أسماء القبائل والأشخاص ضبطاً جيداً فجاءت طبعته حافلة بالتصحيف والتحريف ، وليس ينبغي أن يتصدّى لتحقيق كتب الأنساب من لم يكن على صلة وثيقة بأنساب العرب ولم يكن له معرفة وافية بأصولها وفروعها .

وثانيتهما : الطبعة التي حققها المرحوم الدكتور عبد السلام هارون معتمداً على ثلاث مخطوطات وعلى مطبوعة پروڤنسال . وتمتاز هذه الطبعة بجودة التحقيق ووفرة الهوامش ، وقد ذيلّها المحقّق بفهارس وافية للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال والأشعار والأعلام وغيرها ، وهذه الفهارس تقع في زهاء مائتي صفحة في حين أن كتاب ابن حزم يقع في ٥١٢ صفحة .

وهذه الطبعة تفضل بكثير طبعة پروڤنسال وإن لم تخل من هنات قليلة في ضبط بعض الأسماء ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر : في تعداد أولاد عبد الله بن عمر بن مخزوم (ص ١٤٢) نجد : عائذ بن عبد الله بن عمر ، والصواب « عابد » ، وبنو عابد بطن معروف من بطون بني عمر بن مخزوم ، وقد هجاهم حسّان بن ثابت في بعض شعره وهجا صيفي بن السائب ـ وهو منهم ـ ومن قوله فيهم :

سـألت قريشـاً كلهـا فشرارهـا   بنـو عـابـدٍ شاه الـوجـوه لعـابـدِ

وقافية الأبيات كلها على الدال ، فلا احتمال لمظنة التصحيف . وفي بني مخزوم : عابد ، وعائذ ، أما عابد فهو هذا البطن من بني عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأما عائذ فهو من ولد عمران بن مخزوم[٤٤] .

ومنها ضبطه لأحد أولاد مالك بن حنظلة ... بن تميم بلفظ : « عَوْن » (ص ٢٢٨) وصوابه : « عَوف »[٤٥] . ومنها في تعداد المشهورين من بني مجاشع التميميين ذكر اسم « الحارث بن شريح » (ص ٢٣١) مع أنه ضبط في جميع المخطوطات التي اعتمدها ، باستثناء المخطوطة (جـ) ، : سُرَيج ، وهو الصواب ، واسم الحارث بن سريج مشهور فهو من رجال المرجئة البارزين في العصر الأموي ، وقد وقعت بينه وبين نصر بن سيّار وقائع كثيرة .

وفي تعداد أولاد الخيار بن مالك .. بن كهلان (ص ٣٩٢) ضبط اسم الهان بهمزة القطع : ألهان ، والصواب أنها همزة وصل ، وقد وردت بهذا الضبط في كتاب الإكليل للهمداني[٤٦] .

على أن هذه الهنات القليلة لاتنتقص من عمل المحقق في الكتاب ومابذله من جهد عظيم في تحقيقه .

ـ للبحث صلة ـ

---

(٤٤) انظر نسب بني مخزوم في جمهرة ابن الكلبي ، تحقيق فرّاج .

(٤٥) انظر جمهرة ابن الكلبي ، تحقيق العظم ١ / ٢٧٣ .

(٤٦) انظر مثلاً ج ٢ ص ٢٨ . تحقيق الأكوع .

مصادر البحث

١ ـ الأنباري أبو البركات : نزهة الألباء تح . محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦١ .

٢ ـ ابن بشكوال : الصلة ، تح . العطار القاهرة ١٩٥٥ .

٣ ـ الثعالبي أبو منصور : يتيمة الدهر ، تح . محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٧ .

٤ ـ ابن حجر : لسان الميزان ، القاهرة ١٩٦٣ .

٥ ـ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، تح . هارون القاهرة ١٩٦٨ .

٦ ـ الحُميدي محمد بن فتّوح : جذوة المقتبس

٧ ـ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، تح . محمد حامد الفقي القاهرة ١٩٣١ .

٨ ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تح . إحسان عباس بيروت ١٩٧٠ .

٩ ـ الذهبي : تذكرة الحُفاظ ، بيروت ١٩٦٨ .

١٠ ـ الزُبيدي أبو بكر : طبقات النحويين واللغويين ، تح . محمد أبو الفضل إبراهيم ط ٢ قا ١٩٨٤ .

١١ ـ السيوطي : بغية الوعاة ، تح . محمد أبو الفضل ابراهيم القاهرة ١٩٦٤ .

١٢ ـ السيرافي : أخبار النحويين البصريين ، بيروت ١٩٣٦ .

١٣ ـ ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تح . أحمد أمين والزين والأبياري القاهرة ١٩٤٠ .

١٤ ـ الضبي أحمد بن يحي : بغية الملتمس ، القاهرة ١٩٦٧ .

١٥ ـ ابن العماد : شذرات الذهب ، تح . احمد رافع الطهطاوي بيروت .
١٦ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، القاهرة ١٩٦٦ .
١٧ ـ أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، طبعة دار الكتب والهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٢٧ ومابعدها .
١٨ ـ القفطي جمال الدين : إنباه الرواة ، تح . محمد أبو الفضل ابراهيم القاهرة ١٩٥٠ .
١٩ ـ ابن الكلبي : جمهرة النسب ، تح . العظم دمشق ١٩٨٣ .
٢٠ ـ المبّرد : نسب عدنان وقحطان ، تح . الميمني القاهرة ١٩٣٦ .
٢١ ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق العدد الخامس عشر .
٢٢ ـ المقري : نفح الطيب ، تح . احسان عباس ١٩٦٨ .
٢٣ ـ ابن النديم : الفهرست ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .
٢٤ ـ الهمداني الحسين بن أحمد : الإكليل ، تح . الأكوع بغداد ١٩٨٠ .
٢٥ ـ ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، تح . الرفاعي جـ ١٩ القاهرة ١٩٣٨ م .

كتب الأنساب العربية
(٤)

كتاب « القَصد والأمَم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم »
لابن عبد البرّ النَّمَري (٣٦٨ - ٤٦٣هـ)

الدكتور إحسان النص

المؤلف[*] :

هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البَرّ النَّمَري النسب (من النَّمِر بن قاسط ، إحدى قبائل ربيعة) ، القرطبي الدار ، إمام عصره في الحديث حفظاً وفقهاً وتأليفاً ، مع الاطلاع الواسع على المعارف الأخرى كالأدب والتاريخ والقراءات والأنساب .

ثمة خلاف في سنة ولادته وسنة وفاته ، والجمهور على أنه ولد بقرطبة سنة ٣٦٨هـ وفيها طلب العلم وتفقّه على أيدي طائفة من علمائها ، وممّن أخذ عنهم ولزمهم أبو عمر أحمد بن عبد الملك الفقيه الإشبيلي ، والحافظ أبو الوليد ابن الفَرَضي ، وقد أخذ عنه كثيرًا من علمه في الحديث وتراجم الرجال . وروى عن جماعة من العلماء منهم الحافظ أبو القاسم خَلف بن

(●) نشرت الأقسام : الأول والثاني والثالث في مجلة المجمع (م٦٤ ، ج٤/م٦٥ ، ج٣/م٦٦ ، ج٣) .

(*) من مصادر ترجمته : بغية الملتمس للضبيّ ص٤٧٤ ، وقد جعل مولده سنة ٣٦٢هـ ووفاته في سنة ٤٦٠هـ ؛ وفيات الأعيان لابن خلكان ج٧ ص٦٦ ؛ الصلة لابن بشكوال ٦٧٧/٢ ؛ المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ٤٠٧/٢ ؛ الديباج المذهب لابن فرحون ص٣٥٧ ، شذرات الذهب ٣١٤/٣ .

القاسم[1] ، وعبد الوارث بن سفيان ، وأبو عمر المعروف بابن الباجيّ[2] ، وسعيد بن نصر[3] .

حين اضطربت الأمور في قرطبة إبّان الفتنة التي أثارها النزاع بين أمراء بني أمية على الحكم ، والنزاع بين العرب والبربر ، والتي أودت أخيرًا بحكم الأسرة الأموية في الأندلس وقيام دويلات الطوائف سنة ٤٢٢هـ غادر ابن عبد البر قرطبة – ولا تعرف على وجه الدقة سنة مغادرته لها – وأخذ يتجول في بلاد الأندلس شرقًا وغربًا ، ويتنقل بين مدن دانية وبلنسية وشاطبة وغيرها ، وتولّى أثناء ذلك القضاء بمدينتي الأشبونة وشنترين في أيام الملك المظفّر بن الأفطس (ت ٤٦٠هـ) ، وتوفي أخيرًا بمدينة شاطبة سنة ٤٦٣هـ .

نال أبو عمر مكانة رفيعة في عصره فقصده طُلّاب العلم ورحل إليه الناس فسمعوا منه وأخذوا عنه ، وممّن أخذوا عنه أبو العبّاس الدلائي ، وأبو محمد بن حزم مؤلف كتاب « الجمهرة في النسب » ، والحافظ محمد بن فتّوح الحُميدي مؤلف كتاب « جذوة المقتبس » ، وأبو عليّ الغسّاني . وقد أثنى عليه الكثير من العلماء ، ومنهم القاضي أبو الوليد الباجّي الذي قال فيه : « لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبد البرّ في الحديث » وقد جعله أحفظ أهل المغرب[4] ، وقال فيه ابن حزم :

---

(١) ضبط اسمه في ترجمة ابن عبد البر في بغية الملتمس (ص٤٧٤) : أبو القاسم خالد بن القاسم ، والصواب : خلف بن القاسم كما ورد في مصادر أخرى وفي البغية أيضـاً في ترجمته (ص٢٧٢ – ٢٧٤) وذكر فيها أنه يعرف بابن الدبّاغ

(٢) ضبط في الوفيات (٣٤٨/٢ط بولاق) : أبو عمرو الباجي ، وقد رجّحت ما وجدته في الصلة (١١/١) وبغية الملتمس (الترجمة رقم ٤٢٣) .

(٣) كذا ضبط اسمه في بغية الملتمس (ص٣٠١ وص٤٧٤) وكنيته أبو عثمان ، وفي وفيات الأعيان : سعيد نصر ، والأول أصح . (وفيات ٦٦/٧) .

(٤) الصلة لابن بشكوال ص٦٧٧ .

« لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله »[٥].

صنّف ابن عبد البر الكثير من الكتب في الحديث والرجال والمغازي والنسب والقراءات، ومن كتبه المطبوعة: « الدُرر في اختصار المغازي والسير » و« الاستيعاب في معرفة الأصحاب » وهو في تراجم صحابة الرسول عليه السلام، و« جامع بيان العلم وفضله » و« الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء »، وقد تحدّث فيه عن الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي، و« القَصد والأمم » و« الإنباه على قبائل الرواة » وكلاهما في الأنساب، وهما موضع حديثي هنا، وكتاب « الإنصاف فيما بين العلماء من اختلاف » و« الكافي في الفقه »، ومن أضخم كتبه كتاب « التمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد » في عشرين مجلّدة، ولم يعثر عليه كاملاً، وكتاب « الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار » وقد طبع قسم منه. وفي كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان نقول من بعض كتبه.

الكتاب:

الكتاب صغير الحجم، يقع في زهاء ثلاثين صفحة، فهو أدنى إلى أن يكون رسالة. وموضوع الكتاب وضّحه المؤلف في مقدمته فقال: « أمّا بعد، فإني أذكر في هذا الكتاب بعون الله إن شاء الله، أصول أنساب الأمم من العرب والعجم، وما تداخل من بعضهم في بعض، على تباعد البلدان، ومرّ الدهور والأزمان، إذ لا يُحصي فروعَهم وجماعتهم إلا الله خالقهم الذي هو بكل خلق عليم، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ... »[٦].

ويتّضح من هذا الكلام أن غاية المؤلف في كتابه بيان أصول أنساب الأمم كلها، فالكتاب ليس وقفاً على أنساب العرب، وهو لا يعنى بتفصيل

(٥) المصدر السابق.

(٦) الكتاب، ص٨.

الأنساب وإنما يتّجه فقط إلى بيان أصول الأنساب عامة ، ولهذا جاء الكتاب موجزًا إذ لا نجد فيه حديثًا مفصّلاً عن أنساب العرب .

بدأ المؤلف حديثة ببيان تناسل أمم العالم كلها من ذريّة نوح عليه السلام وأبنائه الذين أنسلوا وهم : سام وحام ويافث ، وهو قول جمهور النسّابين ، ثم يقدّم بعض التفصيل عن أبناء نوح ، فيروي عن ابن عبّاس قوله : « ولد نوح سامًا وفي ولده بياض وأُدمة ، وحامًا وفي ولده سواد وبياض قليل ، ويافثَ وفي ولده الشقرة والحمرة »[٧] .

ثم يذكر ما ذهب إليه جمهرة النسّابين من أن العرب هم من نسل سام ، ويروي عن سعيد بن المسيّب قوله : « ولد نوح ثلاثة : سامًا ويافثَ وحامًا ، وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة ، فولدَ ، سام العرب وفارس والروم ، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ، وولد حام القبط والسودان والبربر » . ويشير المؤلف إلى بعض ما اختلف فيه النسابون بشأن تناسل الأمم من أبناء نوح الثلاثة .

وبعد هذا الإجمال ينتقل إلى التفصيل في أصول الأمم ، بادئًا بالعرب وهو يعرض لموضوع كان يشغل بال القوم في ذلك الحين وهو أول من تكلّم بالعربية ، فيذكر مختلف الآراء بهذا الشأن ، هل هو جبريل عليه السلام وقد ألقاها على لسان نوح ، ونوح ألقاها على لسان ابنه سام ، أو أنه آدم ، أو لعلّها قبيلة جرهم التي كان بعض رجالها في سفينة نوح ، أو أنه عمليق بن لاوذ ، إلى غير ذلك من الأقوال . ثم يذكر انقسام العرب إلى عاربة ، وهي القبائل العربية التي بادت وانقرضت كعاد وثمود وطسم وجَديس ، ومستعربة ، وهم بنو إسماعيل الذين أخذوا العربية عن قبيلة جرهم . ويفيض بعد ذلك في أخبار العرب العاربة وينقل مختلف الأقوال المتصلة بأنسابها وتاريخها وأخبارها ، ثم يروي الأخبار المتصلة بولد

(٧) نفسه ، ص٩ .

إسماعيل ، وهم العرب المستعربة ، ويقرّر أن « العربية الفصيحة التي في ربيعة ومضر ابني نزار بن معدّ بن عدنان هي التي ألهمها اللهُ إسماعيل »[٨] ، وإسماعيل ، في رأي بعضهم ، هو أول من وضع الكتابة العربية ، ويتّجه المؤلف أخيراً إلى تقرير أن آدم أول من تكلم بالألسن كلّها وأوّل من وضع الكتاب لأنه عُلّم اللغات وعُلّم الأسماء كلّها ، ويستشهد بالآية الكريمة : ﴿ وعَلّم آدمَ الأسماءَ كُلَّها ﴾[٩] (البقرة ٣١) .

وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى تعداد أبناء سام وكم عُمّر كلٌّ منهم ، فأرفخشذ مثلاً عُمّر أربعمئة وخمساً وستين سنة . ثم يتحدّث عن ولد إبراهيم وولد إسماعيل ويعود ثانية إلى موضوع أول من كتب بالعربية وينقل أقوالاً مختلفة بهذا الصدد .

ولّما فرغ من سام وأولاده انتقل إلى حام وولده ، ويعلّل سواده وسواد أولاده بما ذكره بعضهم من أنّ أباه نوحًا دعا عليه بتشويه ولده وسواده ، وأن يكون أولاده عبيدًا لأولاد سام . ثم يثبت المؤلف أقوال طائفة من النسّابين المتصلة بأبناء حام ، والخلاف في أولاد حام والأمم المتناسلة منهم ، وهو يجعل من أبناء حام البربر والزنج والحبشة والنوبة والسند وغيرهم ، وجُلّهم من نسل كنعان بن حام ، ووضّح ما وقع من الاختلاف في نسب البربر ، وعنده أن أثبت ما قيل فيهم أنهم من ولد قبط بن حام[١٠] ، ونفى انتماء البربر إلى قبيلة قيس عيلان . أمّا فراعنة مصر فالنسابون يتفقون في أنهم من ولد حام[١١] .

ثم يقف بعد ذلك عند يافث وولده ، ويجعل من ولده اليونانيين ،

(٨) الكتاب ، ص١٦ .

(٩) نفسه ، ص١٨ .

(١٠) نفسه ، ص٢٤ .

(١١) نفسه ، ص٢٧ .

وهم الروم الأولى ، والروم الثانية ، والفرس ، والأكراد ، والبرجان ، والديلم ، والترك ، والصقالبة ، والصُغد ، والصين . ويذكر مختلف الأقوال في أصولهم النَّسَبيَّة ، وكذلك يجعل من ولد يافث يأجوج ومأجوج وهم « أمم لا يقدر أحد على استقصاء ذكرهم لكثرتهم »(١٢) .

هذا ملخص ما جاء في كتاب المؤلف ، ومنه يتضح أنه جمع فيه أقوال النسّابين والأخباريين المتصلة بأصول أنساب الأمم ، وبين هذه الأقوال اختلاف كثير لأنها لا تقوم على أصول علمية ثابتة . وكان المؤلف يدلي أحيانًا برأيه فيرجّح قولاً على قول أو ينفي بعض المرويّات ، على أنه ، بوجه عام ، يتّجه إلى الرواية والنقل أكثر ممّا يتّجه إلى النقد وتمحيص الأخبار .

والنهج الذي سار عليه هو إيراد أقوال أهل النسب والأخبار بأسنادها ، وهي طريقة المحدّثين ، ونحن نعلم أن المؤلّف كان إمامًا في الحديث وروايته .

وقيمة الكتاب هي في كونه يعرض لنا مختلف أقوال الأخباريين والنسّابين في أصول الأنساب .

طبع الكتاب بمطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٣٥٠هـ وعنيت بنشره مكتبة القدسي ، وقد ألحق به كتاب آخر لابن عبد البر في الأنساب هو كتاب « الإنباه على قبائل الرواة » ، وهو موضع حديثي الآن .

(١٢) نفسه ، ص٣٨ .

كتاب

الإنباه على قبائل الرواة
لابن عبد البر

الكتاب :

لم يقصد ابن عبد البر من تأليف هذا الكتاب بيان أنساب العرب عامة وإنما كان قصده بيان أنساب القبائل العربية التي روت عن رسول الله عليه السلام ، وقد جعله مدخلاً لكتابه « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » وقد وضّح غايته هذه في مقدمة كتابه فقال : « أمّا بعدُ ، فإني ذكرت في كتابي هذا أمهات القبائل التي روت عن رسول الله ﷺ ، وقرّبت ذلك واختصرته وبيّنته وجعلته دليلاً على أصول الأنساب ومدخلاً إلى كتابي في الصحابة ، ليكون عوناً للناظرين فيه ، ومنبّهًا على ما يُحتاج إليه من معرفة الأنساب »[١٣] .

وقد بدأ كتابه بالحديث عن علم النسب ووجوب العناية به ، فعلم النسب « علم لا يليق جهلُه بذوي الهمم والآداب ، لما فيه من صلة الأرحام والوقوف على ما ندب إليه النبي ﷺ بقوله : تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم .. »[١٤] ثم بيّن فوائد علم النسب ورد على القائلين بأنه علم لا ينفع وجهالة لا تضرّ ، ودعم كلامه بالآية الكريمة : ﴿ وجعلناكُم شُعوبًا وقبائلَ لتعارفوا ﴾ وبطائفة من الأحاديث النبوية وأقوال الخلفاء الراشدين .

ثم ذكر ابن عبد البر أن كتابه هذا مأخوذ من أمهات كتب النسب ومنها : كتاب ابن إسحاق ، وكتاب الجمهرة لابن الكلبي ، وكتاب

(١٣) الإنباه ، ص٤٢ .
(١٤) الإنباه ص٤٢ .

أبي عبيدة معمر بن المُثنّى ، وكتاب محمد بن عبدة بن سليمان ، وكتاب محمد بن حبيب ، وكتاب أحمد بن محمد العدوي في نسب قريش ، وكتاب الزبير بن بكّار في نسب قريش ، وكتاب عمه مصعب بن عبد الله الزبيري في نسب قريش أيضًا ، وكتاب علي بن كيسان الكوفي في أنساب العرب قاطبة ، وكتاب علي بن عبد العزيز الجرجاني ، وكتاب عبد الملك بن حبيب الأندلسي ... »[١٥].

ويتّضح مما تقدّم أنه كان في زمن المؤلف ، في القرن الخامس الهجري ، مؤلفات كثيرة في الأنساب ، بعضها في أنساب العرب عامة ، وبعضها الآخر في نسب قريش خاصة ، ولم يصلنا من هذه المؤلفات إلا القليل ، وهي التي ألفها ابن الكلبي والزبير بن بكّار ومصعب الزبيري ، وسائرها في حكم المفقود. على أننا نجد لدى مطالعة الكتاب أنّ جلّ اعتماد المؤلف كان على كتاب محمد بن عبدة.

يعقد المؤلف أولاً فصلاً لعدنان ، فيذكر إجماع النسّابين على أنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وإنما وقع الاختلاف في عدد الآباء بينهما ، ثم أورد أحاديث نبوية وأقوالاً تذهب كلها إلى أن أحدًا لا يعرف ما وراء معدّ بن عدنان من آباء .

وبدأ بعد ذلك يفصّل القول في الأنساب ، فيذكر نسب عدنان حتى ينتهي به إلى إدريس النبي ، ويقول إن هذا النسب هو الذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان[١٦] . وبهذا يناقض ما ذكره قبلُ من أن أحدًا لا يعرف ما وراء معدّ بن عدنان من آباء .

وبهذه المناسبة يثبت قصيدة أبي العباس عبد الله بن محمد الناشئ (المتوفى سنة ٢٩٣هـ) والتي مدح بها الرسول عليه السلام وأثبت فيها

(١٥) الإنباه ، ص٤٦ .

(١٦) الإنباه ، ص٤٩ .

نسبه إلى عدنان .

وانتقل بعد ذلك إلى قحطان فذكر ما وقع من الخلف بين العلماء في نسبه ، فطائفة نسبته إلى إرم بن سام ، وطائفة نسبته إلى عابر بن شالخ ، وطائفة ثالثة نسبته إلى إسماعيل بن إبراهيم . ويذكر أن من قالوا بانتسابه إلى إسماعيل قد أيّدوا رأيهم بقوله عليه السلام لقوم من أسلم والأنصار : « ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا » ، ولكن ابن عبد البر يميل إلى الأخذ بقول ابن عباس : « العرب العاربة قحطان بن الهَميسع .. » وذلك لأن ابن عبد البر وجد إسناده حسنًا . « وهو أعلى ما روي في هذا الباب وأولى بالصواب »(١٧) . فكذلك نرى أنه ينهج نهج علماء الحديث في ترجيحه الأقوال التي يجد سندها قويًا ، ويوازن بين الأقوال بمعيار أسنادها .

وينهي المؤلف حديثه عن عدنان وقحطان بقوله : « لا خلاف بين أهل العلم بالنسب أن العرب كلها يجمعها جذمان ، والجذم الأصل ، فأحدهما عدنان والآخر قحطان ، فإلى هذين الجذمين ينتهي كل عربي في الأرض ، ولا يخلو أحدٌ من العرب أن ينتمي إلى أحدهما »(١٨) .

وبعد أن فرغ من حديثه عن جذمي عدنان وقحطان أخذ يفصّل القول في أصول القبائل العدنانية واليمنية ، فوقف أولاً عند قضاعة وذكر ما وقع بشأنها من اختلاف بين علماء النسب ، فمنهم من ينسبها إلى معدّ بن عدنان . وهم جمهرة النسّابين ، وقد أورد حديثًا نبويًا يؤيد هذا النسب وأبياتًا لزهير بن أبي سلمى وغيره تؤيد انتماء قضاعة إلى معدّ ، وطائفة أخرى تنسبها إلى اليمن ، فهي عندهم قضاعة بن مالك بن حمير . وهنا أيضًا ترد أحاديث نبوية تدعم قول هؤلاء النسّابين — ونحن نلاحظ أن افتعال الأحاديث النبوية لدعم هذا الرأي أو ذاك كان مألوفًا

(١٧ و١٨) الإنباه ، ص٥٨ .

عصرئذ ، كما نعلم أن القول الثاني هو الذي استقرّ عليه النسّابون آخر الأمر ، فقضاعة عندهم حميرية قحطانية – وهنا أيضاً يسوق المؤلف أشعارًا تؤيد انتماء قضاعة إلى اليمن .

ويقف المؤلف بعد ذلك وقفات قصيرة عند كل من نزار ومضر وخندف ، ليقف وقفة أطول عند قريش ، فيذكر فضلها على سائر القبائل ، ومختلف الأقوال في سبب تسميتها بقريش ، ثم يعدّد البطون والأفخاذ التي تنتمي إليها والرجال المشهورين في كل بطن وفخذ ، ويعنى خاصة بذكر رواة الحديث منهم .

ثم ينتقل من قريش إلى كنانة وهُذيل والقارة وأسد فيوجز الحديث عن هذه القبائل إيجازًا شديدًا ، ثم يقف وقفة أطول عند قبيلة تميم والرواة المشهورين فيها ، وهكذا يتابع حديثه عن قبائل خندف بنت مضر فيتحدث في إيجاز شديد عن قبائل مُزينة والرباب وضبَّة .

وحين فرغ من خندف انتقل إلى الفرع الثاني من مضر وهو قيس عيلان ، فذكر ما وقع بشأنها من خلاف بين النسّابين ثم عدد قبائلها وبطونها وأفخاذها والرواة المشهورين في كل منها .

وبعد قيس عيلان يعقد المؤلف فصلاً قصيرًا لخزاعة وما دار من خلاف في نسبها بين النسّابين ، إذ ينسبها بعضهم إلى قمعة بن خندف بن مضر ، وينسبها آخرون إلى قبيلة الأزد القحطانية ، وهو يورد حجج الفريقين التي تؤيد قولهما ، على أنه لا يرجح قول أحد الفريقين على الآخر ، وينتقل أخيرًا إلى تعداد بطون خزاعة ورواة الحديث المشهورين في كل منها .

وبعد أن فرغ من مضر انتقل إلى الحديث عن ربيعة وقبائلها والرواة المشهورين فيها ، على أنه لا يطيل في الحديث عن ربيعة ، وسرعان ما ينتقل

إلى الكلام عن طائفة من القبائل وقع الخلاف بشأنها بين النسّابين أهي عدنانية أم قحطانية وهي : بَجيلة وخَثعم وعاملة ولخم وجُذام ، ويقرّر أكثر أهل النسب على أنها قحطانية .

وأخيرًا يقف المؤلف عند القبائل القحطانية التي لا خلاف في نسبها بادئًا بالأزد ، ذاكرًا في كل قبيلة المشهورين من رواة الحديث فيها .

وقد اتبع ابن عبد البر في كتابه هذا النهج الذي اتبعه في كتابه الأول من حيث الإيجاز وإيراد السند في كل خبر – على طريقة المحدّثين – مع بيان الكتب التي استعان بها مثل كتاب محمد بن عبدة وكتاب عبد الملك بن حبيب الأندلسي وكتاب الجمهرة في النسب لابن الكلبي وغيرها . فإذا عنّ له رأي نسبه إلى نفسه فقال : قال أبو عمر . وقد أورد ابن عبد البر الأشعار التي أيّد بها النسّابون أقوالهم ، ولكن في غير إكثار .

وهذا الكتاب أوسع من سابقه فهو يستغرق ما يزيد على سبعين صفحة وهو مع ذلك شديد الإيجاز بالقياس إلى كتب الأنساب الأخرى . وقيمة الكتاب هي في تعداد أسماء رواة الحديث في كل قبيلة من قبائل العرب .

• • •

كتاب
طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب

للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول

(... – ٦٩٦هـ)

المؤلف[*] :

هو عمر بن يوسف بن رسول الغسّاني ، ثالث ملوك آل رسول

(*) من مصادر ترجمته : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لعلي بن الحسن الخزرجي ؛ =

باليمن . ويذكر المؤلف في ترجمته لأسرته أن آل رسول يرجعون بنسبهم إلى الملك الغسّاني جبلة بن الأيهم ، فهم إذًا من سلالة آل جفنة ملوك الشام ، وقد فصّل المؤلف نسبهم في الكتاب[١٩] .

واسم « رسول » الذي عرفت به أسرة المؤلف أطلق – فيما يذكرون – على أحد أجداد المؤلف واسمه محمد بن هارون بن الفتح ، وكان مُقرّبًا من أحد خلفاء بني العباس ، فجعله رسولاً له إلى الشام ومصر ، ومن هنا أصبح يعرف برسول حتى جُهل اسمه الحقيقي ، ونسبت أسرته بعد ذلك إليه . وربما أطلق على الأسرة لقب « التركاني » ، ويعلّل الخزرجي في العقود اللؤلؤية هذا اللقب بإقامة أسرة جدّهم الأول جبلة بن الأيهم في بلاد التركان بعد جلائهم عن بلاد العرب ، فنزلوا أولاً بلاد الروم مع جبلة ثم ارتحلوا إلى بلاد التركان وتكلموا بلغتهم وانقطعت صلتهم بالعرب فنسبهم بعض من لا يعرفهم إلى التركان ، وقد عادت الأسرة بعد حقبة من الزمن إلى بلاد العرب .

ولا تتضح أخبار أسرة رسول إلاّ منذ أيام الأيوبيين ، فالمصادر التاريخية تذكر أن صلاح الدين لمّا أرسل أخاه شمس الدولة توران شاه إلى اليمن لقتال حكامها من الفاطميين أرسل معه نور الدين عمر بن علي بن رسول ، فسار معه إلى اليمن سنة ٥٦٩هـ وكان مع عمر عدد من آل رسول[٢٠] .

وبعد مغادرة توران شاه بلاد اليمن ظلّ عمر بن علي ومن معه من آل رسول مقيمين فيها . وفي سنة ٦١١هـ يغدو « آقسيس » ابن الملك الكامل الأيوبي ملكًا على اليمن ويلقب بالملك المسعود ، وكان ملكًا جبّارًا قتل المئات

= ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٢٣/٢٦ ؛ ومقدمة طرفة الأصحاب للأستاذ صلاح الدين المنجد ؛ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، الجزء الخامس وما بعده .

(١٩) انظر كتاب طرفة الأصحاب ص٨٩ – ٩٢ .

(٢٠) النجوم الزاهرة ٧١/٨ .

من أشراف أهل اليمن . وقد قرّب عمر بن علي وولاّه الحصون ثم ولاّه مكة . ولما توجه إلى مصر استنابه على اليمن واستناب أخاه بدر الدين على صنعاء ، فقويت في زمنه شوكة آل رسول وعظم أمرهم ، وقد تخوّف آقسيس تعاظم سلطان آل رسول فأمر بسجن نور الدين وإخوته ثم أمر بنفيهم عن اليمن ولكنه استبقى نور الدين في خدمته وجعله أتابك عسكره .

ولمّا توفي الملك المعظّم عيسى بدمشق سنة ٦٢٥هـ توجّه آقسيس إلى دمشق لأخذها واستناب نور الدين عمر مكانه على بلاد اليمن وجعله خليفته في ملك اليمن إن هو توفي . ولما بلغ الملك المسعود مكة سنة ٦٢٦هـ توفي مسمومًا ، فسنحت الفرصة لنور الدين عمر فتولّى ملك اليمن وقاتل الخارجين عليه من أمرائها ، فكان أول من ملك اليمن من آل رسول ولُقب بالملك المنصور .

وفي سنة ٦٤٧هـ قُتل الملك المنصور بيد مماليكه فقام بالأمر بعده ولده الملك المظفّر شمس الدين يوسف بن عمر ، وقد اشتهر هذا الملك بالحزم والدهاء والحنكة السياسية ، وكان أول من كسا الكعبة داخلها وخارجها سنة ٦٥٩هـ ، وقد دام ملكه ستة وأربعين عاماً . وكان معنيًا بعلوم الطب ، وله كتاب « الأدوية المفردة » وهو مطبوع .

كان الملك المظفّر معجبًا ببكره عمر لشغفه بالعلم وشجاعته فندبه للقيام بمهمات تأديبية ثم نزل له عن الملك سنة ٦٩٤هـ بمحضر من النبلاء والأشراف وجاء في التقليد الملكي ما نصه : « أمّا بعدُ ، فقد ملّكنا عليكم من لا نؤثر فيه – والله – داعي التقريب على باعث التجريب ، ولا عاجل التخصيص على آجل التمحيص ، وهو سليلنا الخَطير ، وشهابنا المنير ، وبصيرنا الذي نرجو به صلاح البلاد والعباد ... »[٢١] ولم يلبث الملك المظفر أن توفي في العام نفسه .

(٢١) العقود اللؤلؤية ٢٨٤/١ .

وقد تولى الملك الأشرف عمر ملك اليمن في عهد ولاية الملك العادل زين الدين كَتْبُغا على مصر . وكان الأشرف محمود السيرة ، محبوبًا من الرعية ، مهيب الجانب ، ولم تطل مدة ملكه فقد توفي في المحرّم من سنة ست وتسعين وستمئة بعد أن حكم زهاء سنة ونصف ، وآل الملك بعده إلى أخيه المؤيّد داود .

كان الملك الأشرف كأبيه منصرفًا إلى طلب العلم وكانت له مشاركة في الفقه والحديث والنحو والفلك ، ولكنه انصرف خاصة إلى الطب وعلم النسب . وقد صنّف في مختلف الفنون ، فألّف كتابًا جامعًا في الطب سمّاه « المعتمد في مفردات الطب » وما زال مخطوطًا ، كما ألّف كتابًا في الاسطرلاب ، وقد تحدث عنه الشيخ طاهر الجزائري في مجلة المقتبس (مجلد ٣ عام ١٩٠٩م) ، وكتاب « تحفة الآداب في التواريخ والأنساب » ، وكتاب « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب » موضع حديثنا ، ولم يطبع من كتب المؤلف حتى الآن غيره[٢٢] .

الكتاب :

الكتاب في أنساب القبائل عامة ، ولكنه عني بأنساب القحطانية خاصة وبنسب آل رسول أسرته وأوجز القول في أنساب القبائل العدنانية على أنه فصّل القول في أنساب رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه وخلفاء بني أمية وبني العباس ثم في أنساب الأمراء والأشراف من أهل اليمن .

---

(٢٢) ذكر الأستاذ صلاح الدين المنجد في مقدمة كتاب « طرفة الأصحاب » أن للملك الأشرف كتابًا اسمه « جواهر التيجان » ، وقد ورد ذكره في الطرفة مرتين ، في ص٤٥ وص٤٨ ، ووردت في ص٤٨ عبارة : « قد ذكرنا قصتهم في جواهر التيجان » مما يوهم أن الكتاب للملك الأشرف ، ولكن المؤلف كان ينقل هنا عن نشوان بن سعيد الحميري (انظر ص٤٣ من الكتاب) وهذه العبارة يرجح أنها من كلام نشوان الحميري ، والأرجح أن مؤلف جواهر التيجان هو نشوان الحميري وإن لم يذكر من ترجموا له أن له كتابًا بهذا الاسم ، والظاهر أن الكتاب تلخيص لكتاب « التيجان » لابن هشام الحميري .

فالكتاب لا يحقّق التوازن في ذكر أنساب مختلف القبائل ، يفصّل القول في بعضها ويوجز في بعضها الآخر . ويوضح المؤلف خطته في مقدمة كتابه فيقول : « هذا مختصر في علم الأنساب ، يسهل حفظه على أولي الألباب ، محتوٍ على أصول أنساب العرب ، مقرّب حفظها لأُولي الطلب ، مضافًا إليه نسب النبي المختار ، مشفوعًا بصحابته الأبرار ، نبّهنا على أوصلهم به سببًا ، وأقربهم منه نسبًا ، ثم تلوناه بالخلفاء من بني أمية وبني العبّاس ، ثم من بني رسول ملوك اليمن ، ثم من شُهر بخدمتهم من أكابر الأشراف ، في عصرنا والأعراب ، مما اطّلعنا عليه وتلقّيناه من الأصحاب ، مرتّبين على قدر مناصبهم ، ومميّزين بحق مراتبهم ... »(٢٣) .

ثم بدأ حديثه عن الأنساب بنقل ما وجده في كتاب ابن واضح(٢٤) حول آدم ومن خلفه من أولاده ، وانتقال الأمر من واحد إلى آخر حتى زمن نوح وحديث الطوفان وهلاك البشر كلهم باستثناء أولاده الثلاثة : سام وحام ويافث ، وقسمة البلاد بينهم : « فجعل لسام وسط الأرض والحرم وما حوله واليمن وحضرموت إلى عُمان إلى البحرين إلى عالج ويبرين ووَبار والدهناء ، وجعل لحام أرض المغرب والسواحل ، وجعل ليافث شرق الأرض جميعها . فولدُ حام : كُوش وكنعان والنوبة والزنج والحبشة والقبط ... »(٢٥) . ثم يذكر اختلاف المؤرخين في أولاد كل من أبناء سام . ويتابع بعد ذلك تسلسل الأنساب ، معتمداً على صاحب العقد ، فقد انتقل الأمر من سام إلى أرفخشذ إلى شالخ فعابر . وهنا يبيّن اختلاف النسّابين فيمن انتقل الأمر إليه بعد عابر . وهو يجعل العرب كلهم من ولد سام ، وهما قسمان : ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وهم عدنان ، وولد قحطان بن

(٢٣) طرفة الأصحاب ص١ .

(٢٤) ابن واضح هو أحمد بن إسحاق ... بن واضح اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ) ويعرف تاريخه بتاريخ اليعقوبي . طبع بدار الفكر ، بيروت ١٩٥٦ .

(٢٥) طرفة الأصحاب ص٣ .

هود ، وهم أهل اليمن .

وبدأ بعد ذلك بأنساب القحطانية وقبائلها ، بخلاف ما اتبعته طائفة أخرى من النسّابين آثرت البدء بالأنساب العدنانية رعاية لنسب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ولعل دافعه إلى ذلك كونه قحطاني النسب .

ولم يتبع المؤلف نهج ابن الكلبي في تفريع القبائل من أصولها وتفريع البطون من القبائل ، وإنما وقف عند كل قبيلة من قبائل قحطان وذكر بطونها المشهورة ، وقد بدأ بكهلان فذكر أولاً نسب الأزد وقبائلها الست والعشرين ، والبطون المشهورة في كل قبيلة ، وكل ذلك على وجه الإيجاز . ثم انتقل إلى سائر قبائل كهلان : خثعم وبَجيلة وهَمْدان ومَذْحِج وطيّئ والأشعر ولَخْم وجُذام وكندة ، ووقف وقفة قصيرة عند كل منها .

ولمّا فرغ من كهلان انتقل إلى حمير - القرع الثاني من قحطان - فذكر قبائلها وبطونها ، وأدخل قضاعة في حمير - وهو ما سار عليه جُلّ النسّابين - فذكر القبائل القضاعية وبطونها .

وبعد هذه الإلمامة السريعة بأنساب قحطان انتقل إلى عدنان فجعل القبائل العدنانية كلها ترجع في نسبها إلى أصلين : معدّ وعكّ . ومن المعروف أن ثمة خلافًا بين النسّابين في نسبة عكّ ، والجمهور على أنها يمانية . وذكر قبائل معدّ الأربع : مضر وربيعة وأنمار وإياد ، ثم عدّد القبائل المتفرعة من كل منها وبطونها ، ولم يحاول أن يوضّح تفرّع القبائل من أصولها وتسلسل أنسابها ، وقد بدأ بمضر فربيعة فإياد .

ولمّا فرغ من معدّ انتقل إلى عكّ فذكر قبائلها وبطونها .

بعد هذا الإجمال انتقل المؤلف إلى شيء من التفصيل : « فنذكر هاهنا القبائل ونوردها مفرّعة مشروحة على سبيل الاختصار أيضًا »[٢٦] ،

(٢٦) الكتاب ، ص١٨ .

وهنا أيضًا بدأ بقبائل قحطان فوقف أولاً عند بني جفنة الغسّانيّين – وقد ذكرت أن آل رسول ينسبون أنفسهم إليهم – فأثبت نسب جبلة بن الأيهم وما قيل فيه من الشعر، ونقل عن ابن الجون في شرح الخمرطاشيّة[٢٧] نسب ملوك آل جفنة ومدة حكمهم ثم فصّل القول في نسب غسّان وقبائلها، ووقف عند آل رسول فنفى أن يكون انتاؤهم إلى حِمير أو إلى اللخميين، ورأى أن من فعل ذلك إنما جرى على سبيل من ينسب الرجل إلى بني عمه[٢٨]. ثم يعود إلى ذكر آل جفنة فيجعل منهم بني رسول، يقول: «ومنهم ملوك اليمن بنو الرسول، وأوّلهم الملك المنصور عمر بن علي بن رسول، ومنهم السلطان الأعظم المظفّر شمس الدنيا والدين، يوسف بن عمر، أوحد ملوك الزمن. ومنهم ولده – أي المؤلف – ممهّد الدنيا والدين، الملك الأشرف أبو الفتح عمر بن يوسف بن عمر، أفضل ملوك اليمن، وأفضل ملوك الدهر، وأشرف أبناء العصر، وكفاهم فخرًا أنّ أوّل الزمان لآبائهم وآخره لهم ...»[٢٩].

نرى في الفقرة السابقة أن المؤلّف كان يعظّم شأن آبائه وأجداده، وهو يبالغ في إطرائهم كلما ورد ذكرهم في كتابه، فمن ذلك قوله مثلاً: «فهؤلاء الذين قدّمنا ذكرهم من أولاد كهلان هم أقرب قبائل قحطان إلى نسب السلطان الملك المظفّر شمس الدنيا والدين يوسف بن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول»[٣٠].

---

(٢٧) ابن الجون هو أبو الربيع سليمان بن موسى الأشعري نسبًا، الزَّبيدي بلدًا، المتوفى سنة ٦٥٢هـ. فقيه حنفي من أهل اليمن. من كتبه: «الرياض الأدبية» وهو شرح للمقصورة التاريخية الخمرطاشية في تاريخ اليمن القديم من نظم أبي الحسن بن خمرطاش الزَّبيدي المتوفى سنة ٥٥٤هـ (مخطوط بالمتحف البريطاني).

(٢٨) الطرفة، ص٢٦.

(٢٩) نفسه، ص٢٨.

(٣٠) نفسه، ص٣٩.

ويبدو أن بعض النسّابين كانوا ينسبون آل رسول إلى الملوك اللخميين أو إلى التبابعة الحميريين أو إلى سواهما ، ومن هنا كان المؤلف يحرص على تأكيد نسبة آل رسول إلى آل جفنة ويجعل نسبتهم إلى قبائل قحطان الأخرى من قبيل نسبة الرجل إلى أعمامه ، لأن جميع هذه القبائل تنتمي إلى سبأ الأكبر ، وهو يحيل في بيان نسب أسرته إلى شرح ابن الجَون للخمرطاشية . وقد تكرر كلام المؤلف بهذا الشأن أكثر من مرة في كتابه وكأنما كانت غاية المؤلف من تأليف مختصره هذا بيان نسب أسرته لما وقع لدى النسّابين والشعراء من الغلط الكثير في نسبهم(٣١) .

ولمّا فرغ المؤلّف من نسب كهلان انتقل إلى حِمير ففصّل القول في نسبها ، فأورد أولاً أنساب التبابعة وذكر طائفة من أخبارهم ، وهي أخبار غير جديرة بالثقة في جملتها ، وهو يحيل في سياقة نسبها أحيانًا إلى كتاب « جواهر التيجان »(٣٢) كما ينقل عن كتاب لنشوان الحميري لا يسمّيه(٣٣) .

ثم أثبت المؤلف أنساب الأقيال ، والقَيل هو الذي يخلف الملك في مجلسه ، وأنساب الأذواء ، وهم ملوك اليمن الذين في صدور ألقابهم لفظ « ذو » ومنهم : ذو يَزن ، وذو نواس ، وذو رعين ، الخ ... ثم يعود المؤلف مرة أخرى إلى تفصيل أنساب حِمير . ويقف أخيرًا عند أنساب قضاعة ،

---

(٣١) الكتاب ، ص٤٢ .

(٣٢) هذا الكتاب لم يصل إلينا ولعله اختصار لكتاب « التيجان في ملوك حمير » : لعبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ) ، وهو من تأليف نشوان الحميري كما يستدل من عبارة وردت في الكتاب ص٤٨ .

(٣٣) نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ) ، قاض عالم باللغة والأدب والنحو والتاريخ معتزلي المذهب ، كان متعصبًا للقحطانية ، له كتاب « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم في اللغة » : طبع قسم منه ، كما طبعت منتخبات منه تتعلق بأخبار اليمن ، بعناية عظيم الدين أحمد ، ليدن ١٩١٦م . وله مؤلفات أخرى .

وهي عنده من حِمير .

وبعد انقضاء الأنساب القحطانية يذكر أنساب العدنانية ، بادئاً بنسب مضر « لكون النبي محمد ﷺ منهم »[٣٤] . فيسوق أولاً أنساب اليأس بن مضر ثم أنساب قيس عيلان بن مضر ، فأنساب ربيعة . وهنا نجد المؤلف يخالف جمهرة النسابين إذ يجعل ربيعة تنتمي إلى مضر . ويسوق نسبها على النحو الآتي : « هو ربيعة بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان »[٣٥] ، وهي عند جميع النسّابين : « ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان » ، والمعروف أن نزارًا يتفرّع إلى قبيلتين كبيرتين هما : ربيعة ومضر ، فنسبة ربيعة إلى مضر خطأ فاحش وقع فيه المؤلّف ، ولعله سهوٌ منه لأنه سبق أن ذكر أنّ قبائل معدّ هي : مضر وربيعة وأنمار وإياد[٣٦] .

وبعد تعداد قبائل ربيعة أورد نسب أنمار ، وهو عنده أنمار بن نزار ، على أن في نسب أنمار خلافًا بين النسّابين . ثم أورد نسب عكّ بن عدنان ، وفي نسبها أيضًا خلاف ، وجمهور النسّابين على أنها قحطانية . وفي حين نجده يفصّل القول في أنساب قحطان نراه شديد الإيجاز في ذكر الأنساب العدنانية . على أنه بعد هذا الإيجاز في الأنساب العدنانية يفصّل القول في نسب الرسول عليه السلام وفي نسب الخلفاء الراشدين والصحابة المشهورين ، وكذلك في نسب خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس حتى سقوط بغداد بيد المغول سنة ٦٥٦هـ ، وهو يذكر سنة تولّي كل منهم الخلافة وسنة وفاته .

وبعد فراغه من سياقة أنساب الخلفاء يعود مرة أخرى إلى أنساب أسرته

---

(٣٤) الكتاب ص٥٧ .

(٣٥) الكتاب ، ص٦٢ .

(٣٦) الكتاب ، ص١٤ .

بني رسول ، فيفصل القول في كل من ملوكها ويذكر أولاده . على أن هذا القسم ليس من عمل المؤلف وإنما هو من عمل مؤلف آخر لم يذكر اسمه لأنه يذكر اسم الملك الأشرف وأسماء أولاده ثم يذكر من جاء بعده من ملوك آل رسول ، وآخرهم الملك الفائز والأمير شرف الدين محمد بن علي بن رسول ، وبعد ذلك نجد العبارة الآتية : « حاشية المصنف إلى هذا الذي ذُكر فقط . ثم قام بعد ذلك ملوك مشهورون من ذُرّيتهم »[٣٧] ، وهذا يؤكّد ما ذهبتُ إليه آنفًا من أن الكتاب ليس كله من تأليف الملك الأشرف عمر بن يوسف ، وإنما جاء بعده من أضاف إليه ، ولهذا نقع في الكتاب على شيء من التكرار في ذكر أنساب القبائل وأنساب بني رسول .

ويلي ذلك سرد لأنساب الأشراف باليمن والحجاز بني حمزة وبني القاسم وأولادهم ، ثم نسب الأمراء من بني وهّاس ، وهم بطن من العلويين كانوا بالحجاز واليمن ، ويذكر المصنّف من كان منهم في زمنه وهو محمد بن جعفر بن أبي هاشم[٣٨] . وليس بين أيدينا ما يعيننا في تعيين زمن هذا الأمير .

ويلي ذلك نسب الأمراء من بني صفيّ الدين ، فأنساب طائفة من الأئمة العلويين وأشراف اليمن ومنهم : العبّاسيون ، والقتادات ، وبنو سليمان ، والشهابيون ، والسبئيون وغيرهم .

وفي آخر الكتاب تعداد للقبائل المذحجية في عهد المصنّف – الملك الأشرف أو سواه – مع بيان عدد أفراد كل قبيلة .

وقيمة الكتاب ليست في عرض الأنساب العدنانية والقحطانية ، ففي

---

(٣٧) الكتاب ص٩٢ .

(٣٨) الكتاب ، ص١٠٠ .

كتب الأنساب الأخرى من التفضيل ما لا نجده في هذا الكتاب ، وإنما قيمته في بيان أنساب ملوك اليمن المتأخرين والأشراف والأمراء العلويين في اليمن والحجاز .

مصادره : استمدّ المؤلف مادة كتابه من مصادر شتى ذكرها في كتابه ، ومن هذه المصادر كتاب « شمس العلوم » لنشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ) ، وتاريخ ابن واضح أحمد بن إسحاق اليعقوبي (المتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ) ، وكتاب « الإكليل » للحسن بن أحمد الهمداني المعروف بابن الحائك (ت ٣٣٤هـ) ، وكتاب « الكامل في التاريخ » لعز الدين ابن الأثير علي بن محمد (ت سنة ٦٣٠هـ) ، وكتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه (ت ٣٢٧هـ) ، وكتاب « جواهر التيجان » لنشوان الحميري ، وشرح ابن الجون الأشعري (ت ٦٥٢هـ) على المقصورة الحمرطاشية في تاريخ اليمن القديم ، وكتاب « صفة الصفوة » لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، وكتاب « الباب » للأشعري[٣٩] ، وكتاب

---

(٣٩) كذا ورد اسمه في « كشف الظنون » في أكثر من موضع ، ومن ذلك ما ورد في المجلد الثاني ص ١٥٤٠ :

« اللباب إلى معرفة الأنساب ، مختصر لأبي الحسن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري ذكر فيه جملة مصنفات في هذا الفن ، ثم قال : « وقد استخرجت من هذه (أي المصنفات) كتاباً مختصراً سمّيته التعريف بالأنساب ، توسطت فيه بين الإكثار والإقلال ، ثم عملت « اللباب » ... وقد ذكرت فيه أمهات القبائل وبطونها وجعلته مدخلاً إلى علم النسب . » . وقد أثبت الأستاذ المنجد اسمه كما ورد في كشف الظنون وخطّأ ما وجده في المطبوعة (ص ٦٧) .

وهو عبارة : « قال الأشعري في كتابه المعروف بالباب » فأثبت في الحاشية عبارة : « كذا ، والصواب : اللباب ، » اعتماداً على ما وجده في كشف الظنون .

إلا أن الأستاذ المحقق حمد الجاسر خالف الأستاذ المنجد فيما ذهب إليه ورأى أن الصواب في اسم الكتاب هو « الباب » وأيّد كلامه بما جاء في مقدمة كتاب الباب (مطبوع بجدة) وهو : « هذا مختصر في علم النسب وقبائل العرب جعلته ذريعةً إلى الاختصار وسبباً في الاقتصار وسميته كتاب الباب إلى معرفة الأنساب ... » والصواب ما ذهب إليه الأستاذ الجاسر لأنه يوافق ما جاء =

« مقدمة الأنساب » للشريف الحسيني[٤٠] ، وكتاب « خلاصة السير » لمحب الدين الطبري أحمد بن عبد الملك (ت ٦٩٤هـ) وكتاب « بُلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء » .

طبع الكتاب في المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية الآن) بتحقيق المستشرق ستر ستين ، دمشق ١٩٤٩م وقدّم له الأستاذ صلاح الدين المنجّد .

وقد استدرك الأستاذ الجاسر على المؤلف طائفة من الأخطاء سواء في ضبط أسماء القبائل أو في نسبة بعض الأشخاص ، (انظر مقالته في مجلة المجمع العلمي المجلد ٢٦ ص٢،٢٣) ومن ذلك أنه نسب أبا مسلم الخراساني إلى قبيلة خولان (ص٥٧ من الكتاب) والصحيح أنه عجمي خراساني ، أما المنسوب إلى خولان فهو أبو مسلم الخَولاني الفقيه الزاهد . وكذلك جعله ربيعة من أبناء مضر ، وقد أشرت إلى هذا الخطأ آنفًا ، ومنها أيضًا أنه نسب قس بن ساعدة إلى قبيلة أنمار (ص٦٣ من الكتاب) والصحيح أنه من قبيلة إياد العدنانية ، إلى غير ذلك من الأخطاء .

= في الأصل وما جاء في مقدمة كتاب « الباب » نفسه ، ويؤيد هذا عنوان الكتاب « الباب إلى معرفة الأنساب » يريد أنه جعله مدخلاً إلى معرفة الأنساب ولو كان اسمه « اللباب » لكان عنوانه : اللباب في معرفة الأنساب . ولايصح أن يدعى : اللباب إلى معرفة الأنساب ، وقد أخطأ صاحب كشف الظنون في تسميته باللباب . (انظر مقالة الأستاذ حمد الجاسر في مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٢٦ ص ٢٢٣) .

ولم يذكر حاجي خليفة سنة وفاة الأشعري في هذا الموضع ، ولكنه حين تحدث عن كتابه الآخر وهو « التعريف بالأنساب » ذكر أن وفاته كانت في حدود سنة ٥٥٠ للهجرة .

(٤٠) لعله الشريف أبو البركات الجَوّاني الحسيني أسعد بن علي الذي استمدّ منه النويري في نهاية الأرب ، كما سيأتي ، ومقدمته تعرف بمقدمة الشريف الجوّاني وهي مخطوطة بدار الكتب المصرية .

كتاب
نهاية الأرب في فنون الأدب
لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري(*) ٦٨٢ ـ ٧٣٣هـ

المؤلف

هو شهاب الدين ابو العبّاس أحمد بن عبد الوهاب ، تُرجع أسرته نسبها إلى أبي بكر الصدّيق ، ومن هنا قيل له البَكري ، أما لقبه النُويري الذي اشتهر به فهو نسبة إلى النُويرة ، وهي قرية مصرية تابعة لمديرية بني سُويف بالصعيد ، وكانت أسرته تقيم بها ، ولكنّ مولده كان ـ فيما يذكر الأدفوي(٤١) ـ بمدينة قُوص ، من مدن صعيد مصر ، وكان مَولده سنة اثنتين وثمانين وستمئة للهجرة(٤٢) ، وبها كانت نشأته . وليس لدينا الكثير حول نشأته وحياته في تلك المدينة ، وجُلّ ما عرفناه عنه أنه أخذ الحديث والفقه عن طائفة من الشيوخ منهم الشريف موسى الذي ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب ، ويعقوب بن أحمد بن الصابوني ، وأحمد الحجّار ، وزينب بنت يحيى ، وقاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جماعة .

اتّصل النويري بالسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٨٤ـ٧٤١هـ) وأصبحت له حظوة عنده ، ويذكر الأدفوي أن الناصر وكله في بعض أموره وأنه تقلب في الخدم الديوانية وباشر نظر الجيش بطرابلس وتولى نظر الديوان بالدقهلية والمرتاحية .

(*) من مصادر ترجمته : الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد للأدفوي ؛ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٢٩٩/٩ ؛ البداية والنهاية لابن كثير ١٦٤/١٤ ؛ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي ، الجزء الأول ؛ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر .

(٤١) الطالع السعيد ص٩٦ .

(٤٢) هذا ما جاء في المنهل الصافي لابن تغري بردي ٣٦١/١ ، وفي الأعلام للزركلي أنه ولد سنة ٦٧٧هـ .

وكان إلى جانب عمله في الديوان يقوم بنسخ الكتب بخطه ثم يبيعها ، ويذكرون أنه نسخ صحيح البخاري ثماني مرّات ، وكان يقابل كل نسخة بالأصل ثم يجلّدها ويبيع النسخة بألف درهم ، وكان له طاقة عجيبة على النسخ والتأليف ، ذكروا أنه كان يكتب في اليوم ثلاث كراريس .

أثنى المؤرخون على علم النويري وذكروا أنه كانت له مشاركة في علوم كثيرة ، وكان يجيد الخطّ ويكتب الخط المنسوب ، وله نظم يسير ، ونثر حسن ، وكان إلى ذلك ظريفًا متودّدًا حسن المعاشرة ، ويصفه ابن كثير بأنه « بالجملة كان نادرًا في وقته »[٤٣] .

اشتهر النويري بكتابه « نهاية الأرب » على أن بعض المؤرخين ذكروا أن له كتابًا آخر في التاريخ في ثلاثين مجلدة[٤٣] . وأرى أن الأمر اختلط عليهم فكتابه في التاريخ هو كتاب « نهاية الأرب » عينه ، والقسم التاريخي يحتل منه جانبًا كبيرًا ، ويؤيد ما ذهبت إليه ما ذكره ابن تغري بردي فهو يقول : « وألف تاريخًا سمّاه نهاية الأرب في علم الأدب ، في ثلاثين مجلدًا[٤٤] » . وذكر نحو ذلك في كتابه النجوم الزاهرة[٤٥] ، فليس للنويري كتاب مستقل في التاريخ ، وكان ينسخ كتابه هذا ويبيعه بألفي درهم .

يذكر معاصره الأدفوي أن وفاته كانت بسبب وجع حصل له في أطراف أصابع يديه ، ومات وله خمسون سنة أو تزيد قليلاً ، واختلف المؤرخون في تعيين سنة وفاته بين سنتي ٧٣٢هـ و٧٣٣هـ .

الكتاب

الكتاب موسوعة أدبية وعلمية وتاريخية ضخمة تجمع فنونًا شتى من المعرفة ، وعنوان الكتاب المطبوع : « نهاية الأرب في فنون الأدب » ، وهو

---

(٤٣) البداية والنهاية ١٤/١٦٤

(٤٤) المنهل الصافي ١/٣٦١ .

(٤٥) النجوم الزاهرة ٩/٢٩٩ .

عند ابن تغري بردي في المنهل الصافي : « نهاية الأرب في علم الأدب »[٤٦] ، ولكنه في كتابه الآخر النجوم الزاهرة يجعل اسمه : « منتهى الأرب في علم الأدب » ، كما يذكر أن كتابه هذا يعرف باسم « تاريخ النويري »[٤٧] .

وليست هنا بصدد دراسة الكتاب وإنما يعنيني منه القسم الخاص بالأنساب ، وقد قسّم النويري كتابه إلى فنون ، والفنون إلى أقسام ، والأقسام إلى أبواب ، ويحث النسب يشغل الباب الرابع من القسم الأول من الفن الثاني الذي تناول فيه الإنسان وما يتعلّق به ، ويقع هذا الباب في الجزء الثاني من الكتاب ، وهو في ثلاث وثمانين صفحة .

بحث النويري في الأنساب موجز ليس فيه إضافة إلى ما في كتب الأنساب السابقة ، ولا يدلّ على تعمّق في أنساب العرب ، وإنما أتى به هنا استيفاءً للمباحث المتصلة بالإنسان . ويبدو أن جُلّ اعتماده فيه كان على المقدّمة التي وضعها الشريف أبو البركات الجَوّاني ، يقول في مستهلّ حديثه عن الأنساب : « وقفت على المقدّمة التي وضعها الشريف أبو البركات الجَوّاني[٤٨] ، فرفعت له عَلمًا ، ونصبت له إلى المعاني سُلّمًا ، لأنه أتقن أصولها ، وحرّر فصولها ، وأورد فيه من الأنساب ما ينتفع به اللبيب ، ويستغني بوجوده الكاتب الأريب .. »[٤٩] .

---

(٤٦) المنهل الصافي ٣٦١/١ .

(٤٧) النجوم الزاهرة ٢٩٩/٩ .

(٤٨) الشريف أبو البركات الجَوّاني هو أسعد بن علي الحسيني الجَوّاني نسبة إلى (الجَوّانيّة) وهي من قرى المدينة المنورة ، وكان يقيم بمصر . وقد ترجم له القفطي في الإنباه (٢٣٠/١) وذكر أنه موصلي الأصل ، ولم يعين سنة وفاته ولكنه ذكر أنه أدرك أيام الصالح بن رُزّيك المتوفى سنة ٥٥٦هـ . على أنه لم يكن معروفًا باشتغاله بالأنساب وإنما عرف بذلك ولده محمد بن أسعد بن علي الشريف الجوّاني وكنيته أبو علي ، وله كتاب في النسب اسمه « تاج الأنساب ومنهاج الصواب » . (انظر : الوافي في الوفيات ٢٠٢/٢ ولسان الميزان لابن حجر ٧٤/٥) .

(٤٩) نهاية الأرب ٢٦١/٢ .

ثم يقول بعد قليل : « وعلى الشريف العمدة فيما أوردته ، والعهدة فيما نقلته ، فمن تأليفه نقلت ، وعلى مقالته اعتمدت »[٥٠] . على أن في الكتاب ذكرًا لعلماء آخرين في النسب ومنهم ابن الكلبي والوزير المغربي ، مؤلف كتاب الإيناس .

بدأ النويري حديثه عن أنساب العرب ببيان عناية العرب بأنسابها وافتخارها بمعرفتها . ثم قسّم العرب إلى عشر طبقات : الجِذم ، فالجمهور ، فالشَّعب ، فالقبيلة ، فالعمارة ، فالبطن ، فالفخذ ، فالعشيرة ، فالفصيلة ، فالرهط ، وعرّف كلاً منها . وهذا التقسيم ليس من ابتكار النويري فقد سبقه إليه علماء النسب قبله ، وإن كان بين علماء النسب خلاف في ترتيب الجماعات القبلية . والعرب عنده – وعند جمهور علماء النسب – يرجعون جميعًا إلى جذمي قحطان وعدنان . ولكن النويري لم يتحدث عن الأنساب القحطانية والعدنانية مباشرة وإنما بدأ بذكر الأنساب منذ زمن آدم ، وجعل آدم الجدّ الخمسين للرسول عليه السلام ، مع أنه ذكر قبل ذلك أنه « قُطع الخوض فيما فوق قحطان ومعدّ وعدنان ، واقْتُصر على ذكر ما دونهما لاجتماعهم على صحته ، ومنه قول سيدنا رسول الله ﷺ لما انتسب إلى معدّ بن عدنان : « كذب النسّابون فيما فوق ذلك »[٥١] ، فقد أباح النويري لنفسه هنا أن يتقصى أنساب العرب منذ عهد آدم ، وقد جعل عمود النسب المحمّدي من آدم في ابنه شيث وأمّه حوّاء[٥٢] . ثم أخذ يسلسل أبناء آدم من شيث ويذكر العقب من كل منهم ، ويرد في سياقة هذه الأنساب ذكر ابن الكلبي وصاحب الشجرة[٥٣] ، حتى يصل إلى سام بن نوح

(٥٠) الكتاب ٢/٢٦٢ .

(٥١) الكتاب ٢/٢٦٢ .

(٥٢) نفسه ٢/٢٧٠ .

(٥٣) لم يصرح النويري باسم مؤلف هذا الكتاب ولعله محمد بن رضوان المتوفى سنة ٦٥٧هـ فقد ذكر صاحب كشف الظنون (١٠٢٧/٢) أن له كتابًا اسمه « الشجرة في الأنساب » .

فيجعله الجدّ الأربعين للرسول عليه السلام ، وهو هنا يعتمد على روايات النسّابين القدامى ، وأكثرها لا يصحّ .

وبعد أن فرغ من الأنساب القديمة انتقل إلى قحطان وعدنان ، وقسّم العرب إلى أقسامها الثلاثة : عاربة ، ومتعرّبة ، ومستعربة . فالعاربة هي البائدة ، والمتعرّبة هم بنو قحطان بن عابر الذين نطقوا بلسان العرب العاربة وسكنوا ديارهم ، والمستعربة هم بنو إسماعيل بن إبراهيم ، وهم العدنانية . وهذا التقسيم هو الذي جرى عليه جلّ النسّابين .

ثم بدأ بذكر أنساب قحطان على وجه الاختصار ، ومعتمده على الشريف الجوّاني . وقف أولاً عند قبيلة حمير وما تفرّع عنها ، وهو ينقل عن الجوّاني ترجيحه انتساب حضرموت إلى حمير ، وهو قول شيوخه في النسب .

وهو يذهب مذهب بعض النسّابين في جعل قبيلة صنهاجة البربرية من نسل الهميسع بن حمير ، كما يجعل قضاعة من ولد مالك بن حمير ، خلافاً لمن جعلها معدّية عدنانية .

وحين فرغ من حمير انتقل إلى كهلان فعدّد قبائلها وبطونها وأفخاذها المشهورة ، على وجه الإيجاز . وكان أحياناً يذكر أسماء بعض الرجال المعروفين في كل بطن ، ولكنه لا يفصّل القول في ذكر الأعلام ، على نقيض ما فعله ابن حزم .

وقد أنهى حديثه عن أنساب اليمن بقول الجوّاني : « وهذه النهاية في اختصار أنساب اليمن ، وقد احتوت على الغاية في حسن إيصال البطون وتبيينها في الترتيب[٥٤] » .

وبعد فراغه من أنساب قحطان انتقل إلى عمود النسب النبوي في

---

(٥٤) الكتاب ، ص٣٠٣ .

عدنان بدءًا من فالغ بن عابر بن شالخ حتى وصل إلى إبراهيم الخليل ، وهو عنده الجد الحادي والثلاثون للرسول عليه السلام ، فذكر عقبه وأبناءه حتى انتهى إلى إسماعيل ؛ وهو يقرّر أن سياقة النسب بين آدم وإسماعيل ، على ما أورده ، صحيحة لا خلاف فيها بين النسّابين ، وذلك نقلاً عن التوراة . والخلاف إنما وقع عندهم فيما بين إسماعيل وعدنان ، ويعلّل هذا الاختلاف بأُمِّيَّة العرب واعتمادهم في معرفة انسابهم على الحفظ والرواية الشفهية . ومن بين الروايات المتعددة يختار الجوّاني رواية كان يعتمدها شيخ الشرف محمد بن أبي جعفر الحسيني العبدلي النسّابة ، وهي منسوبة إلى عبد الله بن عباس ، وهي – عنده – عمدة أكثر النسّابين . وممّن اختارها أبو بكر محمد بن عبده الفقعسي النسّابة الطرسوسي ، وهو يوثّق هذه الرواية على رغم ما أورده من حديث الرسول عليه السلام الآنف الذكر في تكذيب النسّابين حين يعرضون لذكر أنساب من كانوا قبل عدنان .

وحين يصل إلى عدنان يذكر تفرّعها إلى مضر وربيعة وأنمار وإياد ، ثم يذكر قبائل كل منها وبطونها باختصار شديد ، وأنمار عنده التحقت بأنساب اليمن . وقد فصّل بعض التفصيل في الأنساب المضرية بفرعيها : خندف وقيس عيلان ، وحين وصل إلى قريش عدّد بطونها وأفخاذها حتى بلغ الرسول عليه السلام فذكر نسبه كاملاً حتى بلغ به آدم ، وبذلك ينتهي حديثه عن أنساب العرب .

طبع الكتاب بدار الكتب المصرية ، عام ١٩٢٣م وما بعدها ، وقد طبع منه حتى الآن ثمانية عشر جزءًا .

* * *

مصادر البحث :

– الأُدفوي جعفر بن تغلب : الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد . تح . سعد محمد حسن ، القاهرة ١٩٦٦ .

– ابن بشكوال : الصلة . تح . عزة العطار ، القاهرة ١٩٥٥م .

– ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي . الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٦م .

– ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٩م ، القاهرة .

– حاجي خليفة مصطفى الجلبي بن عبد الله : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون طبعة بالأوفست عن طبعة استامبول ، إيران ١٣٨٦هـ .

– ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . حيدر آباد ١٣٤٨هـ .

– حمد الجاسر : مقالة حول كتاب « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب » مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ٢٦ ص٢٢٣ نيسان ١٩٥١م .

– الخزرجي ، علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية تح . محمد بن علي الأكوع بيروت ١٩٨٣ .

– ابن خلكان : وفيات الأعيان . تح . إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٠م .

– ابن رسول ، عمر بن يوسف : طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب . تح . سترستين . مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٤٩م .

– ابن سعيد الأندلسي : المغرب في حلى المغرب . تح . شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٣م .

– السيوطي جلال الدين : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . تح . محمد أبو الفضل إبراهيم جزءان القاهرة ١٩٦٤م .

– ابن عبد البر : القصد والأمم ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٥٠هـ ، ومعه كتاب الإنباه على قبائل الرواة .

– ابن عميرة الضبي ، أحمد بن يحيى : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، طبعة مصورة عن طبعة مدريد سنة ١٨٨٤م بعناية المستشرقين كوديرا وريبيرا ، مكتبة المثنى ببغداد .

– ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب . القاهرة ١٩٥١م .

– ابن كثير : البداية والنهاية . مطبعة السعادة ، القاهرة .

– نشوان بن سعيد الحميري : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم . أشرف على طبعه القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي اليمني ، القاهرة وبيروت .

– النُّويري ، شهاب الدين : نهاية الأرب في فنون الأدب . طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٣م ، وما بعدها .

كتب الأنساب العربية

– ٥ –

كتاب النسب(١)
لأبي عُبيد القاسم بن سَلاّم(*)
(١٥٧ – ٢٢٤هـ)

الدكتور إحسان النص

أبو عبيد القاسم بن سلاّم روميّ الأصل، كان أبوه مملوكاً لرجل من الأزد من أهل هَراة، وبها وُلد سنة ١٥٧هـ في أرجح الأقوال(٢).

(١) كنت قد أرجأت الحديث عن هذا الكتاب، وكان حقه التقدم على بعض الكتب الأخرى التي تحدثت عنها آنفاً، وقد ذكرت في مستهل حديثي عن كتب الأنساب (القسم الثالث، المجلد السادس والستون من المجلة، الجزء الثالث تموز ١٩٩١م) أن الكتاب قيد الطبع، وقد طبع الآن ودفع به إلى المكاتب).

(*) من مصادر ترجمته: الفهرست لابن النديم ص١٠٦؛ طبقات النحويين واللغويين للزُبيدي ص٢١٧؛ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤٠٣/١٢؛ صفة الصفوة لابن الجوزي ١٣٠/٤؛ معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٥٤/١٦؛ إنباه الرواة للقفطي ١٢/٣؛ وفيات الأعيان لابن خلكان ٦٠/٤؛ تذكرة الحفاظ للذهبي ٥/٢؛ سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٩٠/١٠؛ طبقات الشافعية للسبكي ٢٧٠/١؛ تهذيب التهذيب لابن حجر ٣١٥/٧؛ بغية الوعاة للسيوطي ٢٥٣/٢.

(٢) في سنة ولادته خلاف، فابن الجوزي يذكر أنه ولد سنة ١٥٠هـ، وفي طبقات النحويين للزبيدي أن علي بن عبد العزيز البغوي، تلميذ أبي عبيد، ذكر أن =

كان أبو عبيد منذ صباه ميالاً إلى طلب العلم وارتحل في طلبه إلى العراق ، فأخذ الفقه والحديث وعلوم القرآن واللغة والنحو عن طائفة من علماء البصرة والكوفة ، وأقام ببغداد مدة يؤدّب أبناء السراة ، وكان منهم أبنـاء القـائد ثابت بن نصر بن مالك ، فلمّـا وُلّي ثغر طَرَسـوس[٣] سنة ١٩٢هـ اصطحب أبا عبيد معـه وولاّه قضـاء طرسوس ، فأقام بها ثماني عشرة سنة ، ثم عاد إلى بغداد سنة ٢١٠هـ ، ومضى بعدُ إلى مصر سنة ٢١٣هـ فأقام بها مدة ، ثم عاد إلى بغداد ، وكان منزله بدرب الريحان .

وفي سنة ٢١٤هـ أو سنة ٢١٩هـ وهو الأرجح[٤] حجّ وطاب له المقام في مكة فلم يزل بها حتى وفاته سنة ٢٢٤هـ في زمن المعتصم .

اتصـــل أبو عبيد بعبد الله بن طاهر ونال من رفده شيئاً كثيراً ، وتذكر بعض الأخبار[٤] أن طاهر بن الحسين لمّا مضى إلى خراسان لقتال بعض الثـائرين على الدولة نزل بمرو ، فطلب رجلاً يحدّثه ، فقيـل له : ما ها هنا إلاّ رجل مؤدّب . فأُدخل عليه أبو عبيد فوجده أعلم الناس بأيام الناس والنحو واللغة والفقه فقال له : من المظالم تركك بهذا البلد . فدفع إليه ألف دينار وقال له : « أنا متوجّه إلى خراسان إلى حرب ولست أحب

= أبا عبيد توفي وله ثلاثة وسبعون عاماً ، وهذا يجعل ولادته في سنة ١٥١هـ على التقريب لأنه توفي سنة ٢٢٤هـ .

(٣) طرسوس : ثغر بساحل بلاد الروم إلى الغرب من أذنه (أضنه) يُسقيها نهر البردان وبها قبر المأمون إذ جاءها غازياً فأدركته منيته بها ، وكانت من ثغور المسلمين ثم استولى عليها نقفور ملك الروم سنة ٣٥٤هـ ، وقد وهم الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم محقق كتاب إنباه الرواة إذ جعلها من بلاد الشام قرب عكا .

(٤) تاريخ بغداد ٤١٥/١٢ .

استصحابك شفقاً عليك ، فأَنفِق هذا إلى أن أعود .. » فألّف أبو عبيد « الغريب المصنّف » إلى أن عاد طاهر بن الحسين من خراسان فحمله معه إلى سُرّ من رأى .

وفي هذا الخبر ما يدعو إلى عدم الاطمئنان إلى صحته ، فطاهر بن الحسين انحاز إلى جانب المأمون منذ سنة ١٩٤هـ وتولّى منذ ذلك الحين قتال أخي المأمون الأمين ، ثم وُلي خراسان وتولاّها من بعده ابنه عبد الله ، وأبو عبيد مضى إلى طرسوس عام ١٩٢هـ مع ثابت بن نصر وظلّ معه إلى سنة ٢١٠هـ ، فلم يكن إذاً مقيماً بمرو في تلك الحقبة ، وإنما كانت إقامته بهراة وخراسان أيام شبابه قبل انتقاله إلى بغداد . ومن جانب آخر لا يعقل أن يؤلف أبو عبيد كتاب « الغريب المصنف » في تلك الحقبة القصيرة بين مضي طاهر إلى خراسان وعودته منها ، وهم يذكرون أنه أنفق في تأليفه ثلاثين سنة . وما نطمئن إليه هو أن أبا عبيد اتصل بابنه عبد الله بن طاهر ، وكان يهدي إليه كتبه وينال صلاته . وقد ذكر ابن النديم(٥) أن أبا عبيد كان في أول أمره مؤدّباً لأبناء هرثمة بن أعين ، ثم صار قاضياً بطرسوس أيام ثابت بن نصر ولم يزل معه ومع ولده ، ثم صار في ناحية عبد الله بن طاهر .

فإذا صح ما ذكره ابن النديم يكون اتصال أبي عبيد بعبد الله بن طاهر قد بدأ بعد عام ٢١٠هـ ، بعد عودته من طرسوس ، واستمرّ حتى سنة ٢١٩هـ ، وهي السنة التي مضى فيها إلى الحج وأقام بعدها بمكة حتى وفاته . على أنه من المحتمل ، في رأينا ، أن تكون صلة أبي عبيد بعبد الله بن طاهر سابقة على عودته من طرسوس ، إذ كان يحمل إليه كتبه وينال من

---

(٥) الفهرست ص١٠٦ .

رفده . وقد ذكروا أنه لمّا صنّف كتاب « غريب الحديث » عرضه على عبد الله بن طاهر فاستحسنه وقال : « إنّ عقلاً بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب لحقيق أن لا يُحوَج إلى طلب المعاش » ، فأجرى عليه عشرة آلاف درهم في كل شهر[٦] .

وقد ولى المأمون ابن طاهر الرقة سنة ٢٠٦هـ ، ثم ولاّه مصر وبلاد الشام والجزيرة سنة ٢١٠هـ ، ثم ولاّه خراسان سنة ٢١٤هـ[٧] . ومن هنا نرجّح أن صلة أبي عبيد بابن طاهر كانت إبّان ولايته على الرقة وبلاد الشام ، وربما كان يفد إليه من طرسوس قبل عودته إلى بغداد ، واستمرت صلته به بعد ذلك حتى سنة ٢١٩هـ . وهي السنة التي مضى فيها أبو عبيد إلى الحج . ولم يعد بعدها إلى بغداد .

وثمة خبر يجلو لنا سبب إقامة أبي عبيد بمكة بعد حجّه وعدم عودته إلى العراق ، فقد ذكروا أنه لمّا قضى حجّه وعزم على العودة إلى العراق رأى في منامه النبيّ عليه السلام ، فلمّا حاول الدنوّ منه منعه الناس من ذلك وقالوا : لا تدخل إليه ولا تسلّم عليه وأنت خارج غداً إلى العراق . فعاهدهم على الإقامة في مكة ، فخلّوا بينه وبين رسول الله ، فدخل عليه وسلّم عليه وصافحه . فلمّا أصبح فاسخ كريَّه وأقام بمكة حتى وفاته ودفن في دور جعفر[٨] ، وبعضهم يجعل وفاته بالمدينة .

وُصف لنا أبو عبيد بأنه كان أحمر شعر الرأس واللحية ، إذ كان يخضب رأسه بالحنّاء ، وكان ذا وقار وهيبة ، وكان يسعى إليه الناس

---

(٦) معجم الأدباء ١٦/٢٥٥ .

(٧) انظر : تاريخ الطبري ٨/٥٨١ ، ٨/٦١٠ ، ٨/٦٢٢ .

(٨) وفيات الأعيان ٤/٦٠ ، إنباه الرواة ٣/٢١ ، معجم الأدباء ١٦/٢٥٦ .

ولا يسعى هو إليهم ، منصرفاً إلى طلب العلم والتصنيف . وقد ذكر ابن الأنباري أنه كان يقسم الليل أثلاثاً فيصلّي ثلثه وينام ثلثه ويصنّف الكتب ثلثه[٩]. وكان فيما يذكر القاضي عياض، متشدّداً في تقواه وورعه حتى إنه كان يمحو جميع ما يجده من الأسماء في أشعار الهجاء التي استشهد بها في مصنّفاته اللغوية ويضع مكانها ألفاظاً يستقيم بها الوزن[١٠].

أخذ أبو عبيد عن طائفة من علماء البصرة والكوفة منهم الأصمعي وأبو زيد الأنصاري وأبو عبيدة وابن الأعرابي والكسائي والفرّاء ، وأخذ عنه كثيرون منهم سعيد بن أبي مريم ، وعبّاس العنبري ومحمد بن إسحاق الصغاني وأبو بكر بن أبي الدنيا وعلي بن عبد العزيز البغوي وثابت بن أبي ثابت .

كان أبو عبيد من العلماء الثقات ، صنّف في الفقه والحديث والقراءات واللغة والأنساب ، وقد أثنى عليه معاصروه وتلاميذه ومن جاء بعدهم ثناءً كثيراً . قال فيه إبراهيم الحربي : « كان أبو عبيد كأنه جبل نُفخ فيه الروح ، يحسن كل شيء » . وقال فيه الهلال بن العلاء الرقّي : « منّ الله على هذه الأمة بأربعة في زمانهم : بالشافعي تُفقّه بحديث رسول الله ﷺ ، وبأحمد ثُبت في المحنة ولولا ذلك كفر الناس ، وبيحيى بن مَعين نُفي الكذب عن الحديث ، وبأبي عبيد فُسّر الغريب من الحديث ولولا ذلك لاقتحم الناس في الخطأ »[١١] .

وقال فيه أحمد بن كامل القاضي : « كان أبو عبيد القاسم بن سلاّم

(٩) تاريخ بغداد ٤١٠/١٢ ، إنباه الرواة ١٨/٣ .

(١٠) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (المترجم) ١٥٥/٢ نقلاً عن كتاب الشفاء للقاضي عياض .

(١١) تاريخ بغداد ٤١٠/١٢ ، سير أعلام النبلاء ٤٩٩/١٠ ، إنباه الرواة ١٨/٣ .

فاضلاً في دينه وفي علمه ، ربّانياً متفنّناً في أصناف علوم الإسلام من القرآن والفقه والعربية والأخبار ، حسن الرواية ، صحيح النقل ، لا أعلم أحداً من الناس طعن عليه في شيء من أمره ودينه »[١٢] .

وشهد له معاصره إسحاق بن راهويه بأنه كان أعلم منه ومن ابن حنبل والشافعي[١٣] . وقال فيه الأصمعي : « لن تضيع الدنيا أو الناس ما حيي هذا » .

مصنّفاته :

مصنّفات أبي عبيد تُربي على العشرين في القرآن والحديث والفقه واللغة والأنساب . ومن أشهر مصنفاته كتب ثلاثة في الغريب أوّلها « غريب الحديث »[١٤] . وقد نقل عنه أنه أقام في تأليفه أربعين سنة ، وقد ذكرنا أنه عرضه على عبد الله بن طاهر فاستحسنه وأجرى على أبي عبيد مالاً شهرياً ، ونقل عن أبي عبيد قوله : « مكثت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة ، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها موضعها من الكتاب ، فأبيت ساهراً فرحاً مني بتلك الفائدة ، وأحدكم يجيئني فيقيم عندي أربعة أشهر أو خمسة أشهر فيقول : قد أقمت الكثير »[١٥] . وثمة رواية أخرى في إنباه الرواة تجعل مدار هذا الكلام على كتاب « الغريب المصنف »[١٦] . وقد عرض الكتاب على أحمد بن حنبل فاستحسنه وقال : جزاه الله خيراً[١٧] .

(١٢) الإنباه ١٩/٣ ، سير أعلام النبلاء ٥٠١/١٠ .

(١٣) المصدران السابقان .

(١٤) طبع في الهند بإشراف محمد عبد المعين خان في أربع مجلدات سنة ١٩٦٤م .

(١٥) تاريخ بغداد ٤٠٧/١٢ ، الإنباه ١٦/٣ ، سير أعلام النبلاء ٤٩٦/١٠ .

(١٦) الإنباه ٢٢/٣ .

(١٧) إنباه ١٦/٣ .

ويذكرون أن أبا عبيد عمل هذا الكتاب للمأمون وقرأه عليه[١٨] .
وهم يذكرون أيضاً أن أبا عبيد لما تولّى قضاء طرسوس انصرف عن كتابة الحديث[١٩] ، والمأمون تولّى الخلافة سنة ٢١٨هـ أي في أواخر حياة أبي عبيد ، فكيف يعمله للمأمون وينفق في تأليفه أربعين سنة ؟ ينبغي أن يكون إذاً قد شرع في تأليف الكتاب قبل عودته إلى بغداد بزمن طويل ثم قدّمه إلى المأمون بعد فراغه منه .

والكتاب الثاني هو « الغريب المصنّف »[٢٠] في اللغة ، وهو أهم مؤلفاته ، وقد قضى في تأليفه ثلاثين سنة . وهو أول معجم عربي شامل مرتب على الموضوعات ، وعلى غمطه جرى ابن سيده في « المخصص » . وقد أحصى الزُبيدي[٢١] عدد ألفاظ الغريب المصنّف فوجدها سبعة عشر ألفاً وتسعمئة وسبعين حرفاً[٢٢] . وحين نُقل إلى أبي عبيد أن إسحاق الموصلي[٢٣] أحصى له في الغريب المصنّف ألف حرف خطأ علّق على ذلك بقوله :

(١٨) تاريخ بغداد ١٢/٤٠٨ ، إنباه ٣/١٧ .

(١٩) تاريخ بغداد ١٢/٤٠٨ ، سير أعلام النبلاء ١٠/٥٠١ .

(٢٠) ورد اسم هذا الكتاب في المراجع تارة معرفاً في شقّيه : الغريب المصنف ، وتارة باسم : « غريب المصنف » ، ولا وجه لهذه التسمية لأن الكتاب يتناول غريب اللغة مصنفاً وفق المعاني ، فهو إذن : الغريب المصنف ، ولفظ « الغريب » إذا أطلق بدون إضافة لا يراد به إلاّ غريب اللغة .

(٢١) هو أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي المتوفى سنة ٣٧٩هـ ، مؤلف كتاب « طبقات النحويين واللغويين » ، وقد أخطأ محقق كتاب معجم الأدباء فضبطه بفتح الزاي .

(٢٢) معجم الأدباء ١٦/٢٥٩ ، إنباه ٣/٢١ ، سير أعلام النبلاء ١٠/٥٠٥ ، بغية الوعاة ٢/٥٤ .

(٢٣) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي أحد العلماء باللغة والغريب وأخبار الشعراء وأيام الناس ، وله كثير من المصنفات ذكرها ابن النديم توفي سنة ٢٣٦هـ .

« كتاب فيه أكثر من مائة ألف يقع فيه ألف ليس بكثير » . وكان أبو عبيد شديد الاعتزاز بكتابه هذا وقال فيه شمر : « ما للعرب كتاب أحسن من مصنف أبي عبيد »[٢٤] وهذا الكتاب كان أحد المصادر الرئيسة التي استقى منها السيوطي في المزهر .

والكتاب الثالث هو « غريب القرآن » ، وتذكر له بعض المصادر كتاباً باسم « معاني القرآن » ، وقد أثبت ياقوت في إحصائه كتب أبي عبيد الكتابين ، وكذلك فعل القفطي في الإنباه ، وذكر الأزهري كتاب معاني القرآن فقال : « لأبي عبيد كتاب في معاني القرآن انتهى تأليفه إلى سورة طه ولم يتمّه ، وكان المنذري سمعه من علي بن عبد العزيز وقرئ عليه أكثره وأنا حاضر »[٢٥] .

ومن مصنفاته كذلك كتاب « الأمثال » وقد جمع فيه ما في كتب سابقيه وبوّبه ، ولا يعيب أبا عبيد أنه جمع مادة كتابه من مصنفات من سبقوه فالتأليف في الأمثال يقوم على جمعها من مختلف المصادر ، وفضله فيه أنه بوّبه وأحسن تأليفه ولهذا لقي كتابه رواجاً لدى الناس ، وقد شرحه البكري وسمّى شرحه : « فصل المقال في شرح كتاب الأمثال »[٢٦] .

ومن مصنفاته كذلك كتاب « الأموال » ، وقد أثنى عليه ابن

---

(٢٤) إنباه ٢٣/٣ . وشمر هو شمر بن حمدويه ، لغوي من أهل هراة له كتاب كبير في اللغة وآخر في غريب الحديث ، توفي سنة ٢٥٥هـ .

(٢٥) مقدمة تهذيب اللغة للأزهري .

(٢٦) طبع الكتاب مع شرحه «فصل المقال» بتحقيق الدكتورين إحسان عباس وعبد المجيد عابدين سنة ١٩٧١م كما حققه الدكتور عبد المجيد قطامش ونشره في دمشق سنة ١٩٨٠ .

درستويه وقال إنه من أحسن ما صنف في الفقه وأجوده . وقد أثبت فيه أبو عبيد أحكام الزكاة والخراج بالاستناد إلى أدلة الحديث[٢٧] .

ومن مصنفاته كذلك كتاب « فضائل القرآن وآدابه » تحدّث فيه عن فضائل القرآن عامة وعن فضائل بعض السور والآيات وعن الغزوات والتفسير[٢٨] .

ومن مصنفاته الأخرى التي ذكرها من ترجموا له :

ـ كتاب الخطب والمواعظ .

ـ كتاب فعل وأفعل .

ـ كتاب الأضداد ، وهو من المصادر التي استقى منها السيوطي في المزهر .

ـ كتاب الأمالي ، ذكره السيوطي في المزهر[٢٩] .

ـ كتاب الإيضاح .

ـ كتاب خلق الإنسان ونعوته .

ـ كتاب النعم والبهائم والوحش والسباع والطير والهوام وحشرات الأرض . ويحتمل أن يكون هذا الكتاب جزءاً من الغريب المصنف .

ـ كتاب الشعراء .

ـ كتاب القراءات ، وقد أثنى ابن درستويه على هذا الكتاب وقال إنه ليس لأحد من الكوفيين مثله[٣٠] .

(٢٧) نشر كتاب الأموال محمد حامد الفقي في مصر سنة ١٣٥٣هـ كما نشر مرة أخرى بتحقيق محمد خليل هراس سنة ١٣٨٨هـ .

(٢٨) نشره أيزن وبرتسل في مجلة اسلاميكا . (انظر بروكلمان المترجم ١٥٨/٢) .

(٢٩) انظر المزهر : ٣٢٣/٢ .

(٣٠) إنباه ١٥/٣ .

– كتاب النسب ، وهو الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه .

عرف أبو عبيد بالأمانة في نقله وقد نسب إليه قوله : « من شكر العلم أن تستفيد الشيء ، فإذا ذُكر لك قلت : خفي عليّ كذا وكذا ولم يكن لي به علم حتى أفادني فلان فيه كذا وكذا ، فهذا شكر العلم »[٣١] .

ومع ذلك اتّهم بعض القدماء أبا عبيد بالإغارة على كتب سابقيه في مصنفاته ، فنقل ياقوت عن أبي الطيّب اللغوي (ت سنة ٣٥١هـ) قوله في مراتب النحويين : « وأما أبو عبيد القاسم بن سلاّم فإنه مصنّف حسن التأليف إلاّ أنه قليل الرواية ، يقتطعه عن اللغة علوم افتنّ فيها . وأما كتابه المترجم بالغريب المصنف فإنه اعتمد فيه على كتاب عمله رجل من بني هاشم جمعه لنفسه ، وأخذ كتب الأصمعي فبوّب ما فيها وأضاف إليها شيئاً من علم أبي زيد الأنصاري وروايات عن الكوفيين . وأمّا كتابه في غريب الحديث فإنه اعتمد فيه على كتاب أبي عبيدة في غريب الحديث ، وكذلك كتابه في غريب القرآن منتزع من كتاب أبي عبيدة . وكان مع هذا ثقة ورعاً لا بأس به ولا بعلمه ، سمع من أبي زيد شيئاً . وقد أخذت عليه مواضع في « غريب المصنف » وكان ناقص العلم بالإعراب »[٣٢] .

ولابن دُرُستويه (ت ٣٤٧هـ) رأي في مصنفات أبي عبيد مشابه لرأي أبي الطيب اللغوي، قال[٣٣] : « وقد سبق إلى أكثر مصنّفاته، فمن

(٣١) المزهر للسيوطي ٣١٩/٢ .

(٣٢) معجم الأدباء ٢٥٤/١٦ ، وانظر أيضاً المزهر ٤١١/٢ .

(٣٣) ورد هذا الكلام في الإنباه (١٤/٣) وكأن قائله القفطي نفسه ولكن في العبارة السابقة له نجد كلاماً منسوباً إلى المرزباني ، والسياق يدل على أن تتمة الكلام للمرزباني أيضاً ، وقد قطعه المحقق بوضعه علامة هلالين بعد جزئه الأول . والمرزباني هذا هو غير محمد بن عمر المرزباني وإنما المراد به ابن درستويه عبد الله بن جعفر بن المرزبان المتوفى سنة ٣٤٧هـ مؤلف كتاب « أخبار النحويين » .

ذلك « الغريب المصنّف » ، وهو من أجلّ كتبه في اللغة ، فإنه احتذى فيه كتاب النَّضر بن شُميل المازني الذي يسمّيه كتاب الصفات ، وبدأ فيه بخلق الإنسان ثم بخلق الفرس ، ثم بالإبل ، فذكر صنفاً بعد صنف حتى أتى على جميع ذلك ، وهو أكبر من كتاب أبي عبيد وأجود .

ومنها كتابه في الأمثال ، وقد سبقه إلى ذلك جميع البصريين والكوفيين والأصمعي وأبو زيد وأبو عبيدة والنضر بن شميل والمفضّل الضبّيُّ وابن الأعرابي ، إلا أنه جمع رواياتهم في كتابه وبوّبه أبواباً وأحسن تأليفه .

وكتاب « غريب الحديث » أول من عمله أبو عبيدة معمر بن المثنّى وقُطرب والأخفش والنضر بن شُميل ولم يأتوا بالأسانيد ، وعمل أبو عدنان النحوي البصري كتاباً في غريب الحديث ذكر فيه الأسانيد وصنّفه على أبواب السنن والفقه ، إلاّ أنه ليس بالكبير ، فجمع أبو عبيد غاية ما في كتبهم وفسّره وذكر الأسانيد وصنّف المسند على حدته وأحاديث كل رجل من الصحابة والتابعين على حدته وأجاد تصنيفه فرغب فيه أهل الحديث والفقه واللغة لاجتماع ما يحتاجون إليه فيه .

وكذلك كتابه في معاني القرآن ، وذلك أن أوّل من صنّف في ذلك من أهل اللغة أبو عبيدة معمر بن المثنّى ثم قطرب بن المستنير ثم الأخفش ، وصنّف من الكوفيين الكسائيّ ثم الفرّاء ، فجمع أبو عبيد من كتبهم وجاء فيها بالآثار وأسانيدها وتفاسير الصحابة والتابعين والفقهاء ، وروى النصف منه ومات قبل أن يسمع منه باقيه ، وأكثره غير مرويّ عنه .

وأما كتبه في الفقه فإنه عمد إلى مذهب مالك والشافعي فتقلد أكثر ذلك وأتى بشواهده وجمعه من حديثه ورواياته واحتجّ فيها باللغة والنحو فحسّنها بذلك . وله في القراءات كتاب جيّد ليس لأحد من الكوفيين قبله مثله . وكتابه في الأموال من أحسن ما صُنّف في الفقة وأجوده » .

وذكر السيوطي في المزهر « أن أهل البصرة يقولون إن أكثر ما يحكيه (أي أبو عبيد) عن علمائهم من غير سماع إنما هو من الكتب ، وقد أُخذت عليه مواضع من كتاب الغريب المصنّف ، وكان ناقص العلم بالإعراب »[٣٤] .

وفي الواقع أن أبا عبيد كان يتكئ في مصنفاته على كتب من سبقوه من العلماء ولكنه كان إلى ذلك باحثاً لغوياً وفقيهاً متعمقاً وعالماً بالقراءات والحديث والأنساب ، فاستعان بعلمه في تأليف مصنفاته ، واستفاد من كتب سابقيه ومما أخذه عن شيوخه ، وذلك ما يفعله جلّ المؤلّفين ، فجاءت مصنفاته جامعة وافية من حيث المادة كما كانت حسنة التبويب والتأليف ، فأصبحت لذلك مراجع لا يستغني عنها الناس .

- الكتاب :

النسخة التي اعتمدتها محققة الكتاب السيدة مريم محمد خير الدرع هي رواية القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي النحوي المتوفى سنة ٣٦٨هـ ، عن أبي محمد عبيد الله بن عبد الرحمن السُكّري ، عن أبي الحسن علي بن عبد العزيز البغوي ، تلميذ أبي عبيد والمتوفى سنة ٢٨٦هـ ، عن أبي عبيد القاسم بن سلاّم .

وهذه النسخة وحيدة لا يعرف لها ثان في مكتبات العالم ، وهي محفوظة في مكتبة غنيل Genel في مدينة مغنيسا Magnisa بالأناضول ، قرب أزمير ، ورقمها ٦٥٩٤ .

وهذه النسخة نقلت سنة ١١٠١هـ عن نسخة نقلها عن الأصل وكتبها بخطه المؤرخ عز الدين ابن الأثير علي بن محمد الجزري المتوفى سنة

(٣٤) المزهر ٢/٤١٢ .

٦٣٠هـ كما نقل ما وجده عليها من حواش وتعليقات لمن تملكوا نسخة الأصل أو قرؤوها على شيوخهم ، وقد كتبها سنة ٥٨٨هـ حسبما ذكر في آخرها .

وعلى غلاف المخطوطة عبارات توهم أن الكتاب هو جمهرة النسب لابن الكلبي ، ولكن بعد النظر فيه تبين أنه كتاب النسب لأبي عبيد ، فقد جاء في صفحة العنوان ما يأتي : « قال أبو سعيد [السيرافي] : دفع إلينا أبو محمد عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد السُكّري كتاباً ذكر أنه أصل علي بن عبد العزيز البغوي وخط يده ، فنظرنا فإذا هو جمهرة الأنساب لهشام بن الكلبي ، وإذا على ظهره بخط علي بن عبد العزيز : كتاب النسب وذكر من في الجماهر من تسمية الصحابة والتابعين والشعراء في الجاهلية مما ألّفه أبو عبيد القاسم بن سلاّم وعرضته عليه عليّ بن المغيرة أبو الحسن الأثرم ونسخته من نسخة الأثرم » .

ثم ذكر بعد ذلك على صفحة الغلاف ما صورته : « قال علي بن عبد العزيز : ثم قرأت هذا الكتاب على الزُبير بن أبي بكر قاضي مكة ، ثم قرأت من نسب كنانة إلى آخر الكتاب على إبراهيم بن محمد العبّاسي أمير مكة ، وكان عالماً بأنساب قبائل العرب ، وكتبت عن كل واحد ما زاد لي فيه ، فكتبنا هذا من أصل علي بن عبد العزيز ، وكتبنا ما زاد عن الزبير وإبراهيم بن محمد العباسي في حواشي كتابي ، وفيه أيضاً زيادة عن غيرهما ، فنقلنا كل ما رأينا في أصله مكتوباً ... » .

فالكتاب الذي انتهى إلينا إذاً هو كتاب النسب لأبي عبيد مضافاً إليه زيادات للزبير بن أبي بكر(٣٥) ولإبراهيم بن محمد العباسي ولغيرهما .

---

(٣٥) هو الزبير بن بكار وأبوه هو أبو بكر بن عبد الله بن مصعب بن ثابت ، =

والنسخة التي انتهت إلينا من الكتاب قرأها أبو الخطّاب المفضّل بن ثابت على أبي سعيد السيرافي ، فقد جاء في صفحة العنوان من المخطوط ما صورته : « قرأ عليّ أبو الخطّاب المفضّل بن ثابت أيّده الله ، وأجزت لسعيد ابنه نماه الله ، وكتب الحسن بن عبد الله السيرافي » . ويبتدئ الكتاب بعبارة : « قرأت على شيخنا أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ، لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وثلاثمئة » . فالنسخة إذاً هي قراءة أبي الخطّاب المفضّل بن ثابت على أبي سعيد السيرافي ، وتاريخ القراءة سنة إحدى وستين وثلاثمئة ، أي قبل وفاة السيرافي بسبع سنوات .

استمدّ أبو عبيد مادة كتابه من جمهرة النسب لابن الكلبي ، ولكنه اختصره إلى ما يقارب العُشر وأضاف إليه إضافات يسيرة ، وقد اختصر ما أضافه ابن الكلبي من تفصيل في أخبار من ورد ذكرهم في سياقة النسب كما حذف كثيراً من الأشعار التي أوردها ابن الكلبي ، ولكنه عُني باستيفاء أخبار الصحابة والتابعين وشعراء الجاهلية ، ومن هنا جاء اسم الكتاب كاملاً على النحو الآتي :.« كتاب النسب وذكر من في الجماهر من تسمية الصحابة والتابعين والشعراء في الجاهلية » .

بدأ المؤلف بأنساب بني هاشم مباشرة ولم يصنع صنيع ابن الكلبي في بدئه بأنساب عدنان وما تفرع منه . وقد وجدنا أكثر النسّابين يبدؤون كتبهم بذكر نسب بني هاشم لمكان الرسول عليه السلام . ثم انتقل إلى بني أمية ، فسائر بطون قريش ، ثم أورد نسب كنانة فأسد فهذيل فتميم ، وهكذا حتى فرغ من القبائل العدنانية فانتقل إلى الأنساب القحطانية بادئاً

= والزبير هو أحد علماء النسب المشهورين مؤلف كتاب : جمهرة نسب قريش ، توفي سنة ٢٥٦هـ .

بالأزد . وقد ذكر الأنساب العدنانية في زهاء سبعين صفحة من الكتاب أما الأنساب القحطانية فاستغرقت أكثر من مئة صفحة . وفي الجملة يمكن أن ننظر إلى الكتاب على أنه مختصر لجمهرة ابن الكلبي .

وقد سار المؤلف على نهج ابن الكلبي في تفريع الأبناء من الآباء ، واتّبع أسلوبه في التزام الجملة الفعلية : وَلَدَ هاشمُ بن عبد مناف عبدَ المطلب في حين أن ابن حزم آثر الجملة الاسمية .

وقيمة الكتاب اليوم هي في الاختصار أولاً لمن لا يرغب في الوقوف على التفصيل في الأخبار والأشعار ، وثانياً في ذكره الأنساب القحطانية لأن كتاب الجمهرة لابن الكلبي قد فقد منه – كما نعلم – الجزء الثاني المتعلق بالأنساب القحطانية .

وبعد فراغ المؤلف من ذكر نسب حمير (ص٣٤٣ من المطبوع) نجد عبارة : « هذا آخر كتاب ابن الكلبي ، ومن ها هنا إلى آخر الكتاب مسائل كان يُسأل عنها (أي ابن الكلبي) . على أننا نجد المؤلف بعد نصف صفحة يتابع ذكره للأنساب فيورد نسب إياد ، فنسب ربيعة بن نزار ، ثم يعود إلى الأنساب القحطانية فيستوفي ذكرها حتى آخر الكتاب وهذا يدل على وجود خلل في المخطوطة . وجدير بالذكر أن أبا عبيد كان على صلة بابن الكلبي – وكانا متعاصرين – وكان أبو عبيد يأخذ عنه مباشرة في بعض الأحيان بعض المعارف النسبية ، ونجد في الكتاب عبارة صريحة تدلّ على أخذه عنه فقد جاء في ص٣٤٥ من المطبوعة ما نصه : « قال أبو عبيد : قال لي ابن الكلبي : من زعم أن عابر والد قحطان بن عابر هو هود النبي ﷺ فقد زعم أن اليمن كلها من ولد عاد ... » .

وقد بذلت المحققة جهداً مشكوراً في دراسة الكتاب وتحقيقه ، وفي

ضبطها أسماء الأشخاص والقبائل ، وكانت أمينة في ذكرها المصادر التي اعتمدت عليها في دراستها للأنساب العربية ، وذيّلت الكتاب بحواش مفيدة . ولكنها لم تفطن إلى ما في المخطوطة من خلل .

وقد وقعت في الكتاب هنات يسيرة في ضبط بعض الأسماء أرجو أن تفطن إليها لدى إعادة طبع الكتاب ، ومنها على سبيل المثال في ص٢١٠ : «ومن بني عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عبد الله بن السائب بن أبي السائب بن عائذ بن عبد الله .. » والصواب : عابد بدلاً من عائذ ، وهي كذلك في المخطوطة (الورقة ٧) . وقد سبق أن أشرت إلى هذا الخطأ في حديثي عن كتاب جمهرة ابن حزم الذي حققه المرحوم عبد السلام هارون ، وقلت ثمة : (ص٤٢٦ من المجلد ٦٦ الجزء الثالث من مجلة المجمع) « في بني مخزوم عابد وعائذ ، أما عابد فهو هذا البطن من بني عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأما عائذ فهو من ولد عمران بن مخزوم » . ومنها أيضاً أنها جعلت همزة (الحافي) بن قضاعة همزة قطع : إلحافِ (ص٣٦١) والصواب أنها همزة وصل ، واشتقاقها من الحفى ، ولقضاعة ولدان : الحافي ، والحاذي ، وقد حذفت العرب ياء الحافي اجتزاءً بالكسرة(٣٦) .

طبع الكتاب في بيروت سنة ١٩٨٩ في منشورات دار الفكر وبتحقيق السيدة مريم محمد خير الدرع وقدّم له الأستاذ الدكتور سهيل زكار .

---

(٣٦) انظر : الاشتقاق لابن دريد ص٥٣٦ ، وأمالي ابن الشجري ٧٣/٢ ، وهمع الهوامع للسيوطي ٢٠٥/٢ .

تاريخ ابن خَلْدون

(٧٣٢ - ٨٠٨هـ)

المؤلف[*]

عبـد الرحمن بن محمـد ... بن خـلدون ، ولي الدين أبـو زيـد الإشبيلي ، تنتمي أسـرته إلى قبيلة ترجع نسبها إلى الصحابي وائل بن حُجْر بن سعيد الحضرمي القحطاني . ويذكر ابن خلدون أنّ وائلاً كان من أقيال اليمن ، وينقل عن ابن عبد البر في الاستيعاب أن وائلاً وفد على رسول الله عليه السلام فبسط له رداءه وأجلسه عليه ودعا له ولولده[٣٧] . وأول من قدم من المشرق ودخل الأندلس من أسرة بني خلدون جدّهم خالد المعروف بخلدون بن عثمان ... بن وائل بن حجر ، وقد دخلها في رهط من قومه الحضرميين ونزل بقَرْمونة[٣٨] ، وهي من أعمال إشبيلية ، ثم انتقل بعدُ إلى إشبيلية واستقر بها مع أسرته . وكان من عقبه رجلٌ استطاع

(*) من مصـادر ترجمته : كتـاب التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً . محمد بن تاويت الطنجي القاهرة ١٩٥١ ؛ العبر ، الجزء السابع ، ابن خلدون ، القاهرة ١٩٣٦ ؛ الضـوء اللامع للسخـاوي ، القـاهرة ١٣٥٣هـ ؛ نفح الطيب للمقّري . تح. إحسان عباس ٤١٤/٤، ١٩٦٨م ؛ حياة ابن خلدون : محمد الخضر حسين القاهرة ؛ فلسفة ابن خلدون الاجتماعية : طه حسين تر. محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٢٥ ؛ ابن خلدون : عمر فرّوخ بيروت ؛ ابن خلدون : حياته وتراثه الفكري ، محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٥٣ .

(٣٧) تاريخ ابن خلدون ٣٨٠/٧ .

(٣٨) ذكرها ياقوت في معجمه بلفظ قرمونية ثم قال إن أكثر الناس يلفظونها قرمونة .

الاستيلاء على إمارة إشبيلية حقبة من الزمن ثم قُتل ، كما كان من عقبه نفر وزروا لابن عبّاد حين غلب على إشبيلية واشتركوا مع بني عباد ومع المرابطين في قتال الجلالقة القشتاليين . ولمّا غلب الموحّدون على الأندلس اتصل بهم بنو خلدون كذلك ، ونستخلص ممّا قدّمنا أن أسرة بني خلدون كانت لها مكانة رفيعة في إشبيلية .

ويذكر ابن خلدون أن أسرته اضطرّت إلى الجلاء عن إشبيلية في أواسط المائة السابعة حين غلب ملك الجلالقة ابن أذفونش عليها ، إثر موقعة العُقاب سنة ٦٠٩هـ = ١٢١٢م(٣٩) .

هاجرت أسرة بني خلدون إلى تونس في أواسط المائة السابعة وكان رأس الأسرة يومئذ الحسن بن محمد بن خلدون ، وقد لقيت الأسرة الإكرام من حكام تونس الحفصيين ونعموا لديهم بالجاه والمنزلة الرفيعة ، وكانت لهم مشاركة في الحياة السياسية أيام بني حفص والموحّدين ، إلى أن اعتزل أبو المؤلف محمد بن أبي بكر الحياة السياسية وانصرف إلى العلم . ولمّا حلّ الطاعون الجارف ببلاد المغرب وأوربة سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٩م) هلك فيه والدا ابن خلدون وجُلّ أساتذته .

وفي تونس ولد ابن خلدون في غرّة رمضان من سنة ٧٣٢هـ ، وكان أبوه محمد قد تخلّى عن « طريقة السيف والخدمة إلى طريقة العلم والرباط » ، ونشأ ابنه في بيئة دينية وعلمية فحفظ القرآن الكريم منذ حداثة سنه وتفقّه في العلوم الدينية والفقه المالكي ودرس النحو والعربية على يدي

(٣٩) تعرف هذه الموقعة عند الفرنجة بموقعة « لاس نافاس دي تولوسا » وكان على رأس الفرنجة ألفونسو الثامن ملك قشتالة ، وكان عدة جيش المسلمين ستمئة ألف لم ينج منهم سوى ألف واحد ، وعلى أثرها انهارت دولة الموحدين وفرّ الخليفة محمد الناصر بن المنصور إلى مراكش .

والده وأساتذة آخرين وحفظ الكثير من أشعار العرب ونال إجازة كثير من الشيوخ وأخذ بعد ذلك بطرف من العلوم العقلية .

عاش ابن خلدون حياة عاصفة حافلة بالأحداث والخطوب والمكايد والدسائس وكان دائم التنقل بين بلدان المغرب والأندلس .

بدأ نجم المؤلف يتألق في تونس سواء في ميدان السياسة أو في ميدان العلم ، وكانت أولى مشاركاته في العمل السياسي كتابة العلامة باسم السلطان الحفصي أبي إسحاق ابن أبي يحيى ، وكتابة العلامة يراد بها التوقيع باسم السلطان ووضع شارته على المراسيم الملكية ، وكان ابن خلدون يومئذ شاباً يافعاً .

ومنذ ذلك الحين انجرف ابن خلدون في دوّامة العمل السياسي ولحقت به من جرّاء ذلك محن وخطوب كثيرة ، وكان بطبيعته شديد الطموح.ظاهر في أول الأمر ابن تافراكين وسار معه سنة ٧٥٣هـ إلى محاربة أمير قسنطينة الحفصي أبي زيد ، فلمّا لحقت الهزيمة بابن تافراكين توارى ابن خلدون لدى بعض أصدقائه . ولمّا غلب السلطان المريني أبو عنان على المغرب الأوسط سعى ابن خلدون حتى التحق بخدمته بفاس سنة ٧٥٥هـ ، وقد قرّبه السلطان ورفع من منزلته . وفي أثناء إقامته بفاس تردّد على طائفة من العلماء الوافدين من الأندلس وغيرهم ونمّى معارفه .

على أنّ طموحه دفعه إلى خوض المعترك السياسي وغرق في جوّ الدسائس والمكايد الذي كان سائداً عصرئذ في بلاد المغرب حتى إنه ائتمر بولي نعمته السلطان أبي عنان ، وكان جزاؤه من جرّاء ذلك السجن زهاء عامين ، وكان أثناءهما يتوسل إلى السلطان أبي عنان ليطلق سراحه ، فلمّا توفي السلطان سنة ٧٥٩ وتولّى الأمر بعده الوزير الحسن بن عمر أطلقه

من سجنه . وكان ابن خلدون لا يتورّع عن الغدر بمن أولوه ثقتهم وأحسنوا إليه ، وكان ينقّل ولاءه من سلطان إلى آخر ومن دولة إلى أخرى ، يكون مع الحفصيين يوماً ومع بني مرين يوماً آخر ، وهو مع ذلك موضع الحظوة لدى السلاطين . ولم يقنع ابن خلدون بالمكانة السياسية التي تبوّأها وإنما أراد أن يجمع إليها المكانة الأدبية ، فكان ينظم القصائد في المديح ويكتب الرسائل السلطانية . قرّبه السلطان المريني أبو سالم وولّاه الكتابة وخطة المظالم ، فلما ثار على السلطان صهره الوزير عمر بن عبد الله وقتله مال إليه ابن خلدون ، فأقرّه الوزير في مناصبه وزاد في رزقه ، ولكن هذا كله لم يرض طموحه فارتحل إلى الأندلس سنة ٧٦٤هـ ، وكان قد اتّصل بسلطان غرناطة محمد بن يوسف النصري ووزيره لسان الدين بن الخطيب حين لجأا إلى فاس ، فاستقبله السلطان ووزيره أحسن استقبال وأكرما مثواه ، وأوفده السلطان في سفارة إلى ملك قشتالة بيدرو القاسي في إشبيلية ، فقام بمهمته خير قيام ، وأقطعه السلطان قرية بمرج غرناطة ، فأقام فيها واستدعى أسرته من قسنطينة ، وعاش هناك في رغد ورفاهية قرابة سنتين ، ولكنه آنس بعد ذلك فتوراً من السلطان ، وكان لابن الخطيب يد في ذلك لخوفه من منافسته ، فآثر ابن خلدون العودة إلى بلاد المغرب في منتصف سنة ٧٦٦هـ .

وتقلبت الأحوال بابن خلدون بعد عودته من الأندلس فعمل أول الأمر حاجباً لأمير بجاية أبي عبد الله محمد بن زكريا ، أحد أمراء الموحّدين ، وكانت وظيفة الحاجب في ذلك الحين تعني القيام بأمر الدولة والوساطة بين السلطان وأهل مملكته ، ولكن الأمير محمداً يقتل بعد قليل من الوقت على يد ابن عمه أبي العباس صاحب قسنطينة ، وكاد الشر يلحق بابن خلدون فيؤثر الارتحال إلى بسكرة ويتخذها مقاماً له ، وقد دعاه

السلطان أبو حمو للقدوم عليه في تلمسان ليوليه الحجابة والعلامة، ولكنه اعتذر من عدم موافاته وآثر الإقامة ببسكرة في رعاية أميرها أحمد بن يوسف، ورغب في أن ينصرف عن مزاولة السياسة إلى البحث والدرس، ولكنه لم يقم طويلاً ببسكرة وهمّ بالمضي إلى الأندلس إثر نشوب الفتنة بين أبي حمو والسلطان المريني عبد العزيز ، ولكن جند السلطان يقبضون عليه ويسوقونه إلى السلطان فيعتذر إليه ابن خلدون ويعلن ولاءه له ، ويعود إلى بسكرة في طاعة السلطان عبد العزيز ، والمغرب يومئذ يموج بالفتن ، ولم يستطع الوفاء بما أخذه على نفسه من التخلي عن الحياة السياسية فسرعان ما عاد إلى حلبتها فتوجه إلى السلطان بعياله سنة ٧٧٤ ولكن يبلغه نبأ وفاته قبل وصوله إليه ، وبعد أحداث كثيرة يصل إلى فاس التي كان الوزير أبو غازي يتولى أمورها فيكرمه الوزير ويقيم في فاس مكرماً مرعيّ الجانب .

على أن إقامته بفاس لم تطل لوقوع النزاع بين سلطانها وملك الأندلس محمد بن الأحمر وتولي السلطان أحمد بن أبي سالم المريني على فاس ، وخشي ابن خلدون سوء العاقبة فاعتزم الرحلة مرة أخرى إلى الأندلس ، وقدم على ابن الأحمر سنة ٧٧٦ فأكرم وفادته في بادئ الأمر ، ولكن بعضهم أوغر عليه صدر السلطان بحجة أنه أعان الوزير ابن الخطيب غادر الأندلس إلى المغرب مسخوطاً عليه ، فاضطر ابن خلدون إلى العودة إلى المغرب واستطاع استرضاء أبي حمو وأقام في جواره بتلمسان . ثم يكلفه السلطان مهمة تألّف إحدى القبائل فيتظاهر بالقبول وفي نفسه غير ذلك . ولا يكاد يغادر تلمسان حتى يلجأ إلى أحياء أولاد عريف فينزلونه وأهله في قلعة أولاد سلامة ويسترضون له السلطان .

أقام ابن خلدون أربعة أعوام في القلعة انصرف أثناءها إلى تأليف

كتابه في التاريخ وأكمل مقدمته ، يقول : « فأقمت به أربعة أعوام متخلياً عن الشواغل وشرعت في تأليف هذا الكتاب وأنا مقيم بها وأكملت المقدمة على ذلك النحو الغريب الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة ... »(٤٠) .

ويذكر ابن خلدون أنه بعد أن أقام أربع سنوات في ديار بني عريف وفرغ من تأليف مقدمة تاريخه تشوّق إلى مطالعة الكتب والدواوين التي لا توجد إلاّ بالأمصار ، فكاتب السلطان أبا العباس يسترضيه ويستأذنه في العودة إلى تونس « حيث قرار آبائي ومساكنهم وآثارهم وقبورهم » فأذن له وكان ذلك سنة ٧٨٠هـ . فقدم إلى تونس وأقام بها برعاية نائب السلطان ، واستدعى أسرته للإقامة معه ، وانثال عليه طلبة العلم ينهلون من علمه ، وانصرف إلى كتابه يتمّ تأليفه فأكمل منه أخبار البربر وزناته وأخبار الدولتين وما قبل الإسلام ، وقدّم نسخة منه إلى السلطان . على أن خصومه ظلّوا يدسّون له لدى السلطان ويوغرون صدره عليه ، فخشي سوء العاقبة واستأذن في الرحلة إلى المشرق فأذن له وذلك سنة ٧٨٤هـ .

ركب ابن خلدون البحر قاصداً الإسكندرية . وكان يعتزم متابعة الرحلة إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، ولكن حيل بينه وبين ما اعتزمه ، وكان وصوله إليها في بداية ملك الظاهر برقوق ، وسافر إلى القاهرة فأخذ بجمالها وعظمتها ووصفها بقوله : « فرأيت حاضرة الدنيا وبستان العالم ومحشر الأمم ومدرج الذرّ من البشر وإيوان الإسلام وكرسي الملوك ، تلوح القصور والأواوين في جوّه ، وتزهر الخوانق والمدارس بآفاقه ، وتضيء البدور والكواكب من علمائه ... »(٤١) .

---

(٤٠) تاريخ ابن خلدون ٤٤٤/٧ .

(٤١) التاريخ ٤٥٢/٧ .

وقد لقي ابن خلدون بمصر ما كان يتوق إليه من التفاف طلاب العلم حوله واحتفاء العلماء بمقدمه ورعاية السلطان له ، فتصدّى للتدريس بالأزهر حقبة ، ثم تولى قضاء المالكية سنة ٧٨٦هـ . وقد نهج ابن خلدون في تولّيه هذا المنصب نهجاً لم يألفه من كانوا قبله ، إذ كان القضاء يومئذ بمصر يتخبط في لجّة الفساد والجهل بالأحكام الشرعية والانقياد إلى الأهواء ، فالتزم ابن خلدون الحيدة والعدالة الصارمة ، وأخذ بحق الضعيف من القوي ، وأعرض عن الشفاعات . على أن تولّيه هذا المنصب الخطير أثار حسد الحاسدين والطامعين فيه من الفقهاء ، فأخذوا يكيدون له لدى السلطان ، ولا سيا أنه لم يكن من أهل مصر ، وقد أفضت الدسائس التي حيكت حوله إلى عزله عن القضاء سنة ٧٨٧هـ ، فانصرف إلى التدريس وإلى طلب العلم وزهد في منصب القضاء ولا سيا بعد أن نكب بغرق أهله جميعاً أثناء قدومهم إلى الاسكندرية للحاق به . وفي سنة ٧٨٩هـ سافر إلى الحجاز لقضاء فريضة الحج ثم عاد إلى القاهرة وانصرف إلى تدريس الحديث . وعيّن بعد ذلك في وظيفة أخرى بخانقاه بيبرس واتّسعت موارد رزقه . وإبّان الفتنة التي ثارت بسبب النزاع بين برقوق والأمير يلبغا الناصري فقد ابن خلدون منصبه ثم استعاده بعد عودة السلطان إلى القاهرة . وبعد انقضاء زهاء أربعة عشر عاماً على تخليه عن القضاء وعزله عنه ، أي في سنة ٨٠١هـ أعاده السلطان إلى منصبه وعيّنه قاضياً للمالكية ، ثم عزله السلطان فرج سنة ٨٠٣هـ ، وفي ذلك العام يحتلّ تيمورلنك حلب فيهرع الناصر فرج بجيشه إلى الشام ويصطحب معه العلماء والفقهاء – وفيهم ابن خلدون – ولا يلبث أن ينشب القتال بين المغول والمصريين ، ويضطر الناصر فرج إلى العودة إلى القاهرة حين بلغته أنباء المؤامرة التي حاكها بعضهم لخلعه ، فيخشى ابن خلدون أن يبطش به

تيمورلنك إذا هو احتلّ دمشق فيتدلّى من السور ويدبّر أمر اللقاء بتيمور ، ويصف لقاءه به فيقول : « فلمّا دخلت عليه انحنيت بالسلام وأومأت بإيماءة الخضوع ، فرفع رأسه ومدّ يده إليّ فقبّلتها ، وأشار بالجلوس فجلست حيث انتهيت ، ثم استدعى لي من بطانته الفقيه عبد الجبّار بن النعمان ، من فقهاء الحنفية بخوارزم ، فأقعده يترجم بيننا »[٤٢] . وجرى حديث طويل بين الرجلين وطلب إليه تيمور أن يكتب له رسالة في وصف المغرب ، ففعل . وقام ابن خلدون بالوساطة بين تيمور ورؤساء دمشق وفقهائها ، فسلّموا إليه المدينة[٤٣] ، ولكن تيمور يبيح المدينة لجنده فيقتلون وينهبون ويحرقون .

وبعد حين يستأذن ابن خلدون تيمورلنك في العودة إلى مصر فيأذن له ، فيغادر دمشق سنة ٨٠٣هـ . ولدى عودته إلى القاهرة يسعى في استعادة منصب القضاء ويفلح في مسعاه ، ولكن الدسائس حوله تعود مرة أخرى وتفضي إلى عزله للمرة الثالثة سنة ٨٠٤هـ ولحقت به إهانات كثيرة من جانب خصومه ، واستمرّ الصراع بين ابن خلدون ومنافسيه ، ولا سيما بينه وبين جمال الدين البساطي ، يعزل هذا مرة ويعيّن خصمه ثم ينعكس الأمر ، وهكذا دواليك حتى وافته المنية في رمضان من سنة ثمان وثمانمئة للهجرة (١٦ أذار ١٤٠٦م) وهو في الثامنة والسبعين من العمر .

الكتاب :

اختار ابن خلدون عنواناً طويلاً لكتابه هو : « كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي

---

(٤٢) كتاب التعريف ص٣٦٨ .

(٤٣) هذا ما يذكره ابن خلدون ، ولكن المقريزي يذكر أن الذي فاوض تيمور هو القاضي تقي الدين بن مفلح الحلبي . (انظر : ابن خلدون ، عبد الله عنان ، ص٨٩) .

السلطان الأكبر ». وهو يتألف من مقدمة بمثابة الجزء الأول منه ثم ستة أجزاء في التاريخ. والذي يعنينا من كتابه هذا هو الفصل الذي عقده لأنساب العرب وهو يقع في الجزء الثاني. وقد جعل العرب ثلاثة أقسام: الطبقة الأولى هم العاربة، والثانية العرب المستعربة، والثالثة العرب التابعة للعرب.

بدأ بذكر أنساب العرب المستعربة، وهم اليمنيون القحطانيون، فتحدث عن سبب تسميتهم بالمستعربة وعن الخلاف في نسبهم وذهاب بعض النسابين إلى أنهم من ولد إسماعيل. وهو يردّ هذا القول ويؤوّل حديث الرسول عليه السلام لقوم من أسلم: « ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً ». بأن المراد به أن خزاعة (وأسلم إخوتهم) هي من معدّ بن عدنان وليست من قحطان. ويعدّد بعد ذلك أبناء قحطان الذين تفرّعت منهم القبائل القحطانية ويذكر بعض أخبارهم، ومصدره الأول في هذا الفصل جمهرة الأنساب لابن حزم. وينفرد ابن خلدون عن النسابين الذين تحدثنا عنهم آنفاً بإثباته شجرة النسب في آخر كل فصل. وهو في هذا الفصل يقتصر على ذكر أصول الأنساب القحطانية التي دعاها العرب المستعربة والطبقة الثانية بعد الطبقة الأولى من العرب البائدة. ويعلل تسميتهم بالمستعربة بكونهم تحوّلوا من حالهم الأولى إلى حال أخرى، يقول: « وإنما سُمّي أهل هذه الطبقة بهذا الاسم لأن السمات والشعائر العربية لمّا انتقلت إليهم ممّن قبلهم اعتبرت فيها الصيرورة، بمعنى أنهم صاروا إلى حال لم يكن عليها أهل نسبهم، وهي اللغة العربية التي تكلّموا بها، فهو من (استفعل) بمعنى الصيرورة من قولهم: استنوق الجمل واستحجر الطين. وأهل الطبقة الأولى لمّا كانوا أقدم الأمم – فيا يعلم – جيلاً كانت اللغة العربية لهم بالأصالة، وقيل العاربة »[٤٤].

---

(٤٤) الكتاب ٤٦/٢ .

وبعد أن فرغ ابن خلدون من ذكر الطبقة الثانية من العرب وغيرهم انتقل إلى ذكر الطبقة الثالثة من العرب[٤٥] وسمّاها : العرب التابعة للعرب . وتجدر الإشارة إلى أن بين النسّابين خلافاً في تقسيم طبقات العرب وفي تسميتها .

ويبدأ هذا الفصل بمقدمة موجزة عن العرب منذ ظهر أمرهم في بلاد العرب وكثر عددهم وكيف أوقع بهم بختنصّر وكيف تفرقوا في بلاد العرب فاتخذت كل قبيلة موطناً فيها .

وبعد هذه المقدمة يبدأ حديثه عن العرب وأنسابهم فيجعلهم أجذاماً ثلاثة هي : عدنان وقحطان وقضاعة . فيذكر اتفاق النسابين على أن عدنان من ولد إسماعيل واختلافهم بشأن انتساب قحطان إلى إسماعيل وانتساب قضاعة إلى قحطان أو عدنان ، ويشير بهذه المناسبة إلى ورود ذكر القضاعيين وحروبهم في كتب الحكماء الأقدمين من يونان مثل بطليموس ، ويقرّر أن النسب البعيد يحيل الظنون ولا يرجع فيه إلى يقين[٤٦] .

يبدأ المؤلف بذكر أنساب القحطانيين ويعلّل البدء بهم بأن الملك كان فيهم قبل العدنانيين ، وهو يستقي مادته من كتب الأنساب المعروفة لعهده.ككتاب ابن الكلبي وجمهرة ابن حزم وكتابي ابن عبد البر ، على أنه لا يكتفي بمجرّد النقل وإنما يختار ما يراه أدنى إلى الصواب ، فهو ينفي مثلاً أن يكون جشم وعبد شمس أخوين ، وهما ابنا وائل بن الغوث ... بن حمير في قول بعض النسّابين ، والصحيح عنده أن جشم هو ابن عبد شمس[٤٧] .

وطريقته في ذكر الأنساب تخالف طريقة ابن الكلبي وابن حزم ،

(٤٥) الكتاب ٢/٢٣٦ .
(٤٦) الكتاب ٢/٢٤٢ .
(٤٧) الكتاب ٢/٢٤٣ .

فهو لا يذكر تفرّع القبائل إلى بطون على طريقة التسلسل من الأب إلى الابن وإنما يذكر بطون القبيلة المشهورة ومن اشتهر من رجالها .

وهو يلحق بنسب حمير نسب حضرموت وجرهم لأنهما أخوا سبأ ، كما وقع في التوراة ، ويحرص على ذكر نسب بني خلدون خاصة وانتسابهم إلى حضرموت واختلاف النسّابين في نسب خلدون الأول ، وهو ينقل ما ذكره ابن حزم في نسبهم – وقد عقد فصلاً مستقلاً لهم – ويستدرك عليه أنه سقط عنده بين حجر أبي وائل وسعيد بن مسروق أب اسمه سعد بن سعيد . وينهي حديثه الموجز عن أنساب حمير بإثبات شجرة نسبهم ، على عادته في ذكر أنساب كل قبيلة .

وينتقل بعدئذ إلى قضاعة فيذكر نسبها وبطونها ومن اشتهر من رجالها ، ويضيف إلى ذلك شيئاً من تاريخها وتغلب بعض بطونها على مواطن طائفة من القبائل والجماعات . وهو يتابع مسيرة بعض هذه البطون وما انتهى إليه أمرها حتى عهده ، وهذه إضافة هامّة إلى ما في كتب الأنساب الأخرى . من ذلك ما أورده في حديثه عن بطون أسلم بن الحافي بن قضاعة ، قال : « فجُهينة ما بين الينبع ويثرب إلى الآن في متّسع من بريّة الحجاز ، وفي شماليّهم إلى عقبة أيلة مواطن بَلِيّ ، وكلاهما على العدوة الشرقية من بحر القُلْزُم ، وأجاز منهم أمم إلى العدوة الغربية وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكَثُروا هنالك سائرَ الأمم وغلبوا على بلاد النوبة وفرّقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة فأرهقوهم إلى هذا العهد ... »[٤٨] .

ولمّا فرغ من قضاعة انتقل إلى كهلان فذكر أنسابها وعدّد بطونها

---

(٤٨) الكتاب ٢/٢٤٧ .

وأورد شيئاً من أخبارها وانتماءاتها العقَدية كقوله إن قبيلة هَمْدان كانوا شيعة علي وأن التشيع ظلّ قائماً فيهم أيام الإسلام كلّها(٤٩) .

وبعد أن يجمل الحديث عن قبائل اليمن يعود فيفصّل القول فيمن كان المُلك فيهم من قبائلها بالشام والحجاز والعراق ، مع تذييل أخبار كل قبيلة بشجرتها النَّسَبيَّة ، فيتحدث عن المناذرة ملوك الحيرة وملوك كندة وعن الغساسنة بالشام . وحين تحدث عن أنساب الغساسنة ذكر ما وقع من الخلاف بين النسّابين في بيان أنسابهم وتعداد ملوكهم ، وجعل ذلك في صورة شجرات نسبية ، فأثبت شجرة أنسابهم لدى كل من الجرجاني والمسعودي وابن سعد ، ثم تحدث عن الأوس والخزرج .

وحين فرغ من القبائل القحطانية بدأ حديثه عن القبائل العدنانية ، فتحدث بإيجاز عن قبائلها المشهورة وبطونها ورجالها المشهورين ، وليس فيما ذكره عن قبائل عدنان ما يضاف إلى ما في كتب الأنساب الأخرى ، ويبدو أن ابن خلدون اكتفى هنا باختصار ما وجده في جمهرة ابن حزم .

مصادره وقيمة بحثه في الأنساب :

لم يذكر لنا ابن خلدون أسماء المصادر التي استمدّ منها حديثه عن أنساب العرب ، ولكنه كان يعزو ـ في سياق حديثه عن الأنساب ورواياته للأخبار ـ ما ينقله من شتى المصادر إلى أصحابها ، ولكنه لا يذكر أسماء هذه المصادر وإنما يكتفي بذكر أسماء المؤرّخين والنسّابين الذين نقل عنهم. ومصدره الأول في الأنساب كتاب « جمهرة الأنساب » لابن حزم، وهو أندلسي مثله ، وقد وقف إلى ذلك على كتاب « جمهرة النسب » لابن الكلبي وعلى كتابي ابن عبد البر : « القصد والأمم » ، و« إنباه الرواة » .

(٤٩) الكتاب ٢/٢٥٢ .

ومن المصادر التاريخية التي استقى منها : « تاريخ الرسل والملوك » للطبري ، و« مروج الذهب » للمسعودي ، و« تاريخ اليعقوبي » ، وكتاب « تهذيب التاريخ » للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني مؤلف كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » و« تاريخ البيهقي » .

وهو ينقل أخباراً عن ابن سعيد الأندلسي علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ) من كتابه « نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب » .

ومن مصادره كذلك طبقات ابن سعد ، وسيرة ابن هشام ، و« الروض الأنف » للسُّهيلي الأندلسي ، وصحيح البخاري .

وقد استفاد كذلك من كتاب « الأغاني » للأصفهاني ، ومن كتاب « المحكم » لابن سيده . فكذلك نرى أنه أخذ عن المشارقة كما أخذ عن أهل المغرب .

وقد استغرق حديثه عن أنساب العرب زهاء عشرين ومئة صفحة من الجزء الثاني من تاريخه ، وهو في جملته مستمدّ من كتب الأنساب السابقة عليه ، وليس فيه إلا إضافات يسيرة تتصل بما آلت إليه أحوال بعض القبائل ومواطنها حتى زمنه . وإلى ذلك قام ابن خلدون بوضع أنساب القبائل في صورة شجرات نسبية مبسّطة . وفي حديثه عن تاريخ القبائل القديمة أخبار كثيرة هي أدنى إلى الأساطير ولم يحاول ابن خلدون تمحيصها ونقدها إلا في حالات قليلة . ومن هنا تصح المقولة التي وصفت عمل ابن خلدون في تاريخه بأنه وضع في مقدمته أسساً للبحث التاريخي ولكنه لم يلتزمها في تاريخه .

كتاب صبح الأعشى

لأبي العبّاس القلقشندي
(٧٥٦ – ٨٢١هـ)

المؤلّف(*)

هو أبو العبّاس أحمد بن عبد الله (أو بن عليّ) بن أحمد الفزاري القلقشندي الشافعي المعروف بأبي غدّة وبابن أبي اليمن . ولد سنة ست وخمسين وسبعمئة بقلقشندة(٥٠) ، وهي بلدة بالوجه البحريّ بمديرية القليوبية بمصر .

وينتسب المؤلف إلى رهط بني بدر من قبيلة فزارة القيسية ، فهو عربي أصيل ، وكانت لبني بدر في الجاهلية والإسلام منزلة الصدارة في فزارة ، فهم بيت فزارة وعددهم(٥١) ، وعُرف من أشرافهم في الجاهلية

(*) من مصادر ترجمته : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ، الجزء الثاني ص٨ ؛ شذرات الذهب لابن العماد ١٤٩/٧ ؛ عقد الجمان للعيني في وفيات سنة ٨٢١هـ ؛ السلوك لمعرفة دول الملوك لأحمد بن علي المقريزي ، الجزء الرابع ، القسم الأول ص٤٧٣ ؛ عشائر العراق لعباس العزّاوي ١٤/١ ؛ مقدمة نهاية الأرب لإبراهيم الأبياري .

(٥٠) ضبطها ياقوت في معجم البلدان : قرقشندة ، وضبطها ابن خلّكان باللام في ترجمة الليث بن سعد ، وضبطها القلقشندي نفسه باللام ونص على أنها مكتوبة باللام في دواوين الديار المصرية غير أن الجاري على ألسنة العامة هو قرقشندة (انظر : صبح الأعشى ٣٤٥/١ و٣٩٩/٣) .

(٥١) جمهرة ابن حزم ص٢٥٦ .

حُذيفة بن بدر ، وحَمَل أخوه ، وقد قتلا في حرب داحس والغبراء ، وحِصن بن حُذيفة بن بدر ، وعُيينة بن حصن سيد بني فزارة في عهد رسول الله ﷺ ، وكان الرسول يدعوه بالأحمق المطاع .

ويذكر القلقشندي أن قلقشندة كان يقطنها في أيامه أسرتان من فزارة هما : بنو بدر ، ولهم الرياسة والغلبة والقوة ، وبنو مازن . وكانت العداوة مستعرة بينهما[٥٢] .

ليس لدينا أخبار وافية عن نشأة القلقشندي وحياته ، وجلّ ما نعلمه أنه جمع ثقافات شتى منها الأدب والكتابة الإنشائية الديوانية وما يتصل بها من أصول الخط وقواعد الإملاء . وكان عارفاً بالآداب السلطانية كما كانت له معرفة بعلم النسب وقبائل العرب قديمها وحديثها ، وإلى ذلك كانت له معرفة جيدة بالفقه على المذهب الشافعي ، وقد أجازه ابن الملقّن[٥٣] بالفتيا والتدريس وكان من شيوخه في الفقه سراج الدين البُلقيني (ت ٨٠٥هـ) . ونحن نجد في مصنفاته صدى ثقافته الواسعة المتنوعة .

التحق بخدمة الديوان السلطاني سنة ٧٩١هـ في عهد السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤ – ٨٠١هـ) وظلّ يعمل فيه إلى قريب من سنة وفاته .

صنّف القلقشندي طائفة من الكتب في الفقه والأدب والتاريخ والأنساب والكتابة الديوانية وغيرها ، وأشهر مؤلفاته كتاب « صبح الأعشى

(٥٢) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ص١٧٥ .

(٥٣) ابن الملقّن هو سراج الدين عمر بن علي الأنصاري الشافعي (٧٢٣ – ٨٠٤هـ) من جلّة علماء الحديث والفقه وتراجم الرجال . مولده ووفاته بالقاهرة ، ذكروا أن له زهاء ثلاثمئة مصنف . من كتبه المطبوعة « طبقات الأولياء » .

في كتابة الإنشا » (وقد طبع باسم صبح الأعشى في صناعة الإنشا) ، وسنقف عند الفصل الذي عقده فيه للأنساب . ومن كتبه في الأنساب كذلك كتاب « نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب » ، وكتاب « قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان » . وسيكون هذان الكتابان موضع حديثي كذلك . ومن كتبه الفقهيّة : شرح على كتاب « جامع المختصرات ومختصر الجوامع » في فروع الشافعية لكمال الدين المدلجي[٥٤] ، وشرح على كتاب « الحاوي الصغير في الفروع » لنجم الدين القزويني . ومن مصنفاته الأدبية كتاب « حلية الفضل وزينة الكرم في المفاضلة بين السيف والقلم » و « كنه المراد في شرح بانت سعاد » ، وهو شرح لقصيدة كعب بن زهير . وقد ألّف مختصراً لكتابه « صبح الأعشى » سمّاه « ضوء الصبح المسفر »، وذكر المؤلف في كتابه « قلائد الجمان » أنه صنّف كتاباً سمّاه « مآثر الإنافة في معالم الخلافة » ، ألّفه للمعتضد بالله داود ، الخليفة العباسي[٥٥] ، أورد فيه أخبار الخلفاء العباسيين بمصر حتى زمان المعتضد وتناول فيه لفظ الخلافة وما يتعلق به وأحكامها الشرعية .

الكتاب :

ألّف القلقشندي كتابه ليكون عوناً لكتاب الدواوين والإنشاء ،

---

(٥٤) هو أحمد بن عمر كمال الدين النشائي المدلجي المتوفى سنة ٧٥٧هـ ، وقد ذكر القلقشندي في قلائد الجمان (ص١٣٦) أنه وضع شرحاً مبسوطاً على كتابه « جامع المختصرات ومختصر الجوامع » سماه : « الغيوث الهوامع في شرح جامع المختصرات ومختصر الجوامع » في نحو خمسة عشر مجلداً ووضع حلاً له سماه : « البروق اللوامع في حلّ جامع المختصرات ومختصر الجوامع » في ثلاثة مجلدات .

(٥٥) قلائد الجمان ص١٥٦ . والمعتضد بالله هو داود بن المتوكل على الله ، الثاني من خلفاء الدولة العباسية بمصر ، بويع له سنة ٨١٦هـ وتوفي سنة ٨٤٥هـ .

وهو موسوعة شاملة لكل ما يتّصل بصناعة الكتابة ، وكل ما يفتقر إليه الكاتب من ألوان المعارف والثقافات ، وقد جعل كتابه أبواباً وفصولاً وأكثر فيه من التشعيب والتفريع ، والذي يعنينا هنا هو الفصل الذي عقده للأنساب .

وكانت للمؤلف عناية بتصنيف الكتب في الأنساب ، وله كتابان مفردان لبحث الأنساب سوف أتحدث عنهما بعد حديثي عن صبح الأعشى . أما في الصبح فقد خصّ الأنساب بجانب من الفصل الثاني ، في الباب الأول من المقالة الأولى التي عقدها لما يحتاج إليه كاتب الإنشاء . وبحث الأنساب هو النوع الثاني عشر من الفصل الثاني وعنوانه : معرفة أنساب الأمم من العرب والعجم . وقد وقف المقصدين الأول والثاني على أنساب العرب ، والمقصد الثالث على أنساب العجم ، وحديثه عن أنساب العرب يقع في ستين صفحة من صفحات الجزء الأول من الكتاب .

استهل المؤلف بحثه عن الأنساب بمقدمة قصيرة بيّن فيها حاجة الكاتب إلى معرفة أنساب العرب والعجم ، لأنه « يكتب عن ملكه إلى أمير قبيلة من العرب أو ملك أمة من الأمم فما لم يكن عارفاً بأنسابها كان قاصراً فيما يكتبه من ذلك »(٥٦) . وقد قسم بحثه في الأنساب إلى مقاصد ثلاثة . تناول في المقصد الأول نسب الرسول عليه السلام ، نقلاً عن ابن إسحاق في السيرة وعن ابن هشام ، فرفع نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، ثم إلى آدم عليه السلام . على أنه أورد بعد ذلك ما روي عن النووي من صحة سياقة النسب إلى عدنان والخلاف بين النسّابين فيما جاوز عدنان ، كما أورد قول القضاعي(٥٧) في كتابه « عيون المعارف في أحكام

(٥٦) صبح الأعشى ١/٣٠٦ .

(٥٧) القضاعي هو القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي =

الخلائف » والمتصل بالحديث المنسوب إلى الرسول عليه السلام ونصه : « لا تجاوزوا معدّ بن عدنان ، كذب النسّابون » ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ وقروناً بينَ ذلك كثيراً ﴾ ولو شاء أن يعلّمَهُ لَعَلَّمَهُ » ، وقد نسب هذا الحديث إلى عبد الله بن مسعود ونفى أن يكون من حديث الرسول عليه السلام(٥٨) .

وفي المقصد الثاني تناول أنساب العرب وجعله مَهْيَعين : الأول في أمور تجب معرفتها قبل الخوض في النسب ، ومنها تعريف لفظ « العرب » ، وتقسيمهم إلى عاربة ومستعربة . وقد نقل هنا رأي من يجعلون المستعربة تشمل قحطان وعدنان معاً ، فبنو قحطان أخذوا العربية عن العرب العاربة ، وأخذ إسماعيل العربية عن قبيلة جرهم القحطانية التي كانت تنزل مكة . على أنه أشار إلى من جعلوا العرب العاربة بني قحطان والمستعربة بني إسماعيل .

وبعد ذلك صنّف طبقات القبيلة وهي عنده ست : الشّعب ، فالقبيلة ، فالعِمارة ، فالبطن ، فالفخذ ، فالفصيلة . ثم ذكر ما ينبغي على الناظر في الأنساب أن يعرفه من أمور تتصل بانتساب الرجل إلى قبيلة ما ، وانتساب القبيلة إلى أب واحد أو أم واحدة ، وغير ذلك .

وفي المهيع الثاني بدأ يفصّل القول في أنساب العرب فجعل العرب قسمين : بائدة ، وهي القبائل التي درست آثارها وبادت كعاد وثمود والعمالقة ، وباقية ، وهم على ثلاثة أضرب : عاربة ، ومستعربة ، وعرب يختلف القول في صحة عروبتهم .

= المصري ، صاحب كتاب « الشهاب في المواعظ والآداب » وهو مطبوع ، وكتاب « خطط مصر » وكتاب « عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف » وغيرها ، توفي سنة ٤٥٤هـ .

(٥٨) الكتاب ٣٠٧/١ .

فالعرب العاربة هم بنو قحطان ، وقد قسمهم إلى شَعبين : جُرهُم ويعرُب ، ويعرب هو أصـل عرب اليمن وبنوه قبيلان : حِمْيَر بن سَبأ ، وكَهْلان بن سَبأ . وقد جارى المصنّف هنا النسّابين القدماء في هذا التقسيم وذكر الخلاف بينهـم في نسب قُضـاعة وهل هي قحطانيـة أو معدّية عدنانيـة ، ثم عدّد أحياء قضـاعة المشهورة : بَلِيّ ، وجُهينة ، وكَلْب ، وعُذرة ، وبَهْراء ، ونَهْد ، وجَرْم ، وتحدّث عن كلّ منها بإيجاز شديد . ونلاحظ هنا أنّ المصنّف أغفل ذكر بعض قبائل قضاعة المشهورة كقبيلة سعد هُذيم ، وهي من أشهر قبائل قضاعة وأكثرها عدداً ، وعُذرة هي بطن منها . وكقبيلة سَليح بن حُلوان بن عمران التي ينسب إليها الضجاعمة ملوك الشام قبل الغساسنة ، وكقبيلة أسد بن وبَرة ، وغيرها . وكان المؤلف يحرص على ذكر من بقي من هذه القبائل حتى زمنه ومواطنهم .

ثم انتقل إلى كَهلان فذكر أحياءها المشهورة : الأزد ، وطَيّئ ، ومَذحِج ، وهَمْـدان ، ومُراد ، وكِنـدة ، وأنمار ، وجُذام ، ولَخْـم ، والأشعرون ، وعاملة . وقد وقف عند كل من هذه الأحياء معدّداً بطونه المشهورة على وجه الإيجاز ، مع الإشارة إلى من بقي منهم إلى زمنه ومواطنهم .

وفي تنـاوله للضرب الثـاني من العرب وهم المستعربة بنو عدنان قسمهم إلى صنفين : الأول من فوقَ قريش ، وهم ستة أصول متفرعة من عمود النسب : نزار بن معدّ ، ويتفرّع منه ثلاث قبائل : إياد ، وأنمار ، وربيعة . وقد وقف وقفة قصيرة عند كل من هذه القبائل الثلاث ، وذكر الخلاف في نسب أنمار ، وعدّد بطون ربيعة المشهورة ؛ والأصل الثاني : مضر بن نزار ، ويتفرع منه قيس عيلان ، وقد ذكر بطونها المشهورة ومن بقي منها في بلاد العرب لعهده . والأصل الثالث : الياس بن مضر وزوجه

خِندف وله فرعان : طابخة ، ويتفرّع منها قبائل كثيرة منها : تميم ، وضبّة ، ومُزَينة ؛ والفرع الثاني قَمَعة بن إلياس . والأصل الرابع : مُدْركة ، ويتفرّع منه قبيل واحد هو بنو هُذَيل . والأصل الخامس : خُزيمة بن مدركة وله فرعان : الهُون وأَسَد . والأصـل السادس : كنانة بن خُزيمة وله خمسة فروع : مَلْكان ، وعبد مناة ، وعمرو ، وعامر ، ومالك .

والصنف الثاني من العدنانية قريش ، فقد أفردها المصنف بالذكر لكون الرسول عليه السلام منها . وقد جعلها عشرة أصول : فِهر ، وغالب ، ولُؤي بن غالب ، وكعب بن لُؤي ، ومُرّة بن كعب ، وكِلاب بن مُرّة ، وقُصي بن كلاب ، وعبد مناف بن قُصي ، وهاشم بن عبد مناف ، وعبد المطلب بن هاشم . وهذا الذي ذكره المصنّف هو عمود النسب النبوي . وقد ذكر في كل أصل من الأصول العشرة البطون المتفرّعة منه .

وبهذا انقضى حديث المؤلف عن العرب البائدة والعاربة والمستعربة .

وحول حديث المصنّف عن أنساب العرب أسجّل الملاحظات الآتية :

أولاً ـ إنّ المصنّف مولع بكثرة التشعيب والتفريع ، وذلك نهجه في كتابه كله ، ولعلّ مردّ هذا إلى كونه من كتّاب الديوان ، فمهنتهم تقتضي هذه العناية المسرفة بتقسيم الموضوع إلى أبواب وفصول وأنواع ونحو ذلك . ويدلّ هذا التقسيم من وجه آخر على قدرة المؤلف العقلية على تصوّر خطة الموضوع الكُليّة وتفصيل أجزائها بدقة .

ثانياً ـ المصنّف يخالف ما جرى عليه مؤلفو الأنساب قبله سواء في التوزيع الهرمي للأنساب العربية أو في المصطلحات النَّسَبيَّة ، فقد جاء

بمصطلحات جديدة لا عهد لهم بها مثل الأصل والفرع والصنف . ثم خالفهم في التقسيم ، فالنسابون القدماء يجعلون القبائل العدنانية ترجع كلها إلى أربعة أجذام هي ربيعة ومضر وإياد وأنمار . ثم يذكرون ما يتفرّع من كل منها من القبائل . وما يتفرّع من كل قبة من البطون . وهذا التقسيم يخالف ما جرى عليه المؤلف .

ثالثاً ـ لم يستوف المؤلف لدى تعداده القبائل جميع البطون والأفخاذ المتفرّعة منها وإنما اقتصر على المشهور منها .

رابعاً ـ اتّبع المصنف التسلسل الهرمي في قريش ولكنه جعل كل رجل في عمود النسب النبوي أصلاً والبطون القرشية الأخرى فروعاً من هذه الأصول .

ولعلّنا لا نجد في الأنساب التي ذكرها المصنّف جديداً يضاف إلى ما في كتب الأنساب السابقة إلا في ذكره أسماء القبائل الباقية لعهده ومواطنها . وهي ميزة هامة عظيمة الفائدة في معرفة تاريخ القبائل العربية ومواطنها وهجراتها . على أنه في كتابيه الآخرين اللذين سأتحدث عنهما وقف عند هذا الجانب خاصة ، ولهذا فهما أكثر فائدة من صبح الأعشى في التعرف إلى قبائل العرب في عصره ومواطنها .

وقد استمدّ مواد بحثه في أنساب العرب من مصادر شتى ذكرها وذكر أسماء مؤلفيها أثناء البحث ، ومنها : كتاب الصحاح للجوهري إسماعيل بن حمّاد (ت ٣٩٣هـ)، وكتاب « الأحكام السلطانية » لعلي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ) ، وكتاب جمهرة الأنساب لابن حزم (ت ٤٥٦هـ) ووفيات الأعيان لابن خلّكان (ت ٦٨١هـ) ، وكتاب « مسالك الأبصار » لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) ، وكتاب

« تقويم البلدان » لأبي الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) ، وكتاب « العبر .. » المعروف بتاريخ ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) ، وغيرها من المصادر .

والضرب الثالث من العرب هم العرب الموجودون المتردد في عروبتهم ، وهم البربر . وقد أشار المؤلف إلى الخلاف في نسبهم ورجّح أنهم من العرب ، على أنه لم يستوف الحديث عنهم جميعاً وإنما اقتصر على طائفتين منهم ، الطائفة الأولى هي التي ينتمي إليها ملوك المغرب وهم قبائل ثلاث : مصمودة ،وزناتة ،وصنهاجة . والطائفة الثانية هم الذين ينزلون الديار المصرية وهم قبيلتان : هوّارة ، ولواتة . وما أورده المصنف عن البربر مستمد جلّه من جمهرة ابن حزم وتاريخ ابن خلدون .

وبعد أن فرغ من أنساب العرب عقد المؤلف فصلاً مستقلاً لأنساب العجم ، والأمم الأعجمية عنده ست وعشرون أمّة ، وقد عدّدها ووقف عند كل منها وقفة قصيرة .

وبهذا ينتهي بحث المؤلف في الأنساب .

• • •

كتاب
نهاية الأرب في أنساب العرب

للقلقشندي

هذا هو الكتاب الثاني الذي تناول فيه القلقشندي أنساب العرب . على أن هذا الكتاب كان وقفاً على الأنساب ، خلافاً لكتاب صبح الأعشى

الذي شغل بحث الأنساب منه حيّزاً صغيراً استدعاه حديث المؤلف عمّا يحتاج إليه الكاتب من ألوان المعرفة .

وقد وقع لبس في نسبة هذا الكتاب إلى أبي العباس القلقشندي أحمد أو إلى ابنه محمد المعروف بابن أبي غُدّة ، ومردّ هذا اللبس إلى ورود اسم الابن على غلاف مخطوطات الكتاب التي انتهت إلينا . والصحيح أن الكتاب لأبي العباس أحمد ، فكتاب صبح الأعشى هو لأبي العباس ، لا شك في ذلك ، وقد وجد محقق كتاب « نهاية الأرب » الأستاذ إبراهيم الأبياري أن مؤلّف هذا الكتاب يحيل في موضعين على كتابه « صبح الأعشى » ، إذ يذكر في كلامه على آل عيسى (نهاية الأرب ص١٠٩) العبارة الآتية : « وفي كلام آخر يطول ذكره استوفيته في كتاب « صبح الأعشى في كتابة الإنشا » على هؤلاء العرب . والموضع الثاني في كلامه على بني جذيمة وعهد علي بن أبي طالب للأشتر النخعي إذ يقول : (النهاية ص٢٠٨) : « ولقد أوردته في كتابي صبح الأعشى في كتابة الإنشا في الكلام على عهود الخلفاء والملوك » ، والمؤلف يذكر كتابه هذا في مقدمة كتابه « قلائد الجمان » فيقول : « وكان كتابي المسمى بنهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ... » ، فالكتب الثلاثة إذاً هي لأبي العباس أحمد القلقشندي .

وقد قدّم المؤلف كتابه – كما يتضح من مقدمته – إلى أبي المحاسن يوسف الأموي القرشي ، عزيز المملكة المصرية . ويبدو أن ولد المؤلف محمداً نسخ من الكتاب نسخة منه ٨٤٦هـ وأهداها إلى الأمير زين الدين أبي الجود بقر بن راشد الزيني ، أمير العربان « بالبلاد الشرقية والغربية » ، وهذه النسخة محفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس ، فوقع اللبس من جرّاء ذلك

ونسب الكتاب إلى الابن في نسخ المخطوطة وفي كشف الظنون (١٩٨٦/٢) وذكر في المخطوطات جميعها أنه ألفه برسم الأمير زين الدين أبي الجود[٥٩] .

وهذا الكتاب يختلف عن كتب الأنساب السابقة في كونه معجماً لقبائل العرب مرتّباً على حروف المعجم وليس بحسب أصول القبائل وتفرعها إلى بطون ، فهو يفيد الباحث الذي يتوخّى معرفة نسب قبيلة ما دون وصل هذا النسب بأصوله التي ينحدر منها أو بالقبائل التي يجمعها نسب واحد . وقد جهد المؤلف في استقصاء القبائل العربية ولكنه لم يأت عليها جميعاً ، وهو يشير إلى ذلك في مقدمته .

وقد قسّم المؤلف كتابه ثلاثة أقسام : مقدمة ، ومقصد ، وخاتمة .

فالمقدمة تتناول الأمور التي يحتاج إليها من يعنى بالأنساب وهي في خمسة فصول : الأول في علم الأنساب وفائدته ، والثاني في بيان من يقع عليه لفظ العرب وأنواعهم ، والثالث في طبقات الأنساب ، والرابع في مواطن العرب القديمة ، التي هاجروا منها إلى سائر البقاع ، والخامس في ذكر أمور يحتاج إليها الناظر في علم الأنساب .

أما المقصد فهو لبّ الكتاب ويشتمل على فصلين : الأول في عمود النسب النبوي وما يتفرع منه ، والثاني في تعداد قبائل العرب مرتبة على حروف المعجم .

أما الخاتمة فهي تتناول أموراً تتصل بأحوال العرب وهي في خمسة فصول : الأول في ديانات العرب قبل الإسلام ، والثاني في المفاخرات التي

---

(٥٩) انظر : مقدمة الأستاذ الأبياري محقق الكتاب .

وقعت بين قبائل العرب ، والثالث في ذكر الحروب التي نشبت بين العرب في الجاهلية وفي مبدأ الإسلام ، والرابع في نيران العرب في الجاهلية ، والخامس في أسواق العرب قبل الإسلام . هذا مجمل موضوعات الكتاب وفيما يلي تفصيلها :

بدأ المقدمة بتعداد فوائد علم الأنساب وضرورته ومنها العلم بنسب النبي عليه السلام ، لأن معرفته شرط لصحة الإيمان . ومنها التعارف بين الناس حتى لا يعتزي أحد إلى غير آبائه ، ومعرفة الأنساب ضرورية لضبط أحكام الوراثة والوقف والديات ونحوها . ومنها اعتبار النسب في إمامة المسلمين لقول الرسول عليه السلام : « الأئمة من قريش » ، وإن احتجّ بعضهم في جعلها في غير قريش . ومنها اعتبار النسب في كفاءة الزوج للزوجة ، ومنها التفريق بين العرب والعجم في الرقّ ، لأن الرق يجري على العجم دون العرب ، على مذهب من يرى ذلك من العلماء .

وفي الفصل الثاني عرّف العرب وعدّد أقسامهم ، على نحو ما ذكره في صبح الأعشى. وفي الفصل الثالث نقل عن الماوردي في الأحكام السلطانية تقسيم العرب إلى طبقات : الشّعب ، فالقبيلة ، فالعمارة ، فالبطن ، فالفخذ ، فالفصيلة . وقد ذكر ذلك في الصبح أيضاً .

ووقف الفصل الرابع على مساكن العرب القديمة ، فذكر أولاً حدود بلاد العرب من الجهات الأربع ثم قسّمها إلى أقسامها الخمسة : تهامة ، ونجد ، والحجاز ، والعروض ، واليمن ، وذكر المدن المشهورة في كل منها .

وفي الفصل الخامس ذكر الأمور التي يحتاج إليها الناظر في الأنساب ، كانتساب القبيلة إلى الأب غالباً وإلى الأم أحياناً ، وكانتساب الرجل إلى القبيلة الأصل أو إلى أحد فروعها ونحو ذلك .

وحين فرغ من المقدمة انتقل إلى المقصد فوقف الفصل الأول منه على عمود النسب النبوي ومايتفرّع منه . وقد اعتمد في بيان هذا النسب على ابن إسحاق وابنِ هشام ، ورفع نسب الرسول إلى آدم ، إلاّ أنه ذكر الخلاف بين النسّابين فيما فوق عدنان . ثم تحدّث عن انتماء جميع أمم العالم إلى أبناء نوح الثلاثة : يافث وسام وحام . مع بيان ما وقع من الخلاف في الأنساب المتفرعة منهم . أما العرب فهم من أبناء سام باتفاق النسّابين ولكن بعضهم يرجعهم إلى لاوذ بن سام وبعض آخر إلى إرم بن سام ، وفئة أخرى إلى قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام .

وفي الفصل الثاني يذكر المصنّف قبائل العرب منسّقة على الحروف ، وهو لا يكتفي بذكر القبائل فحسب وإنما يذكر أيضاً البطون المتفرعة منها ويعدّد الرجال المشهورين في كل بطن . وذكر القبائل العربية على هذا النحو يجعل كتابه أول معجم نعرفه للقبائل العربية مرتب على الحروف .

وقد بدأ ببطن « أبان » المتفرّع من بني أمية من قريش ، وهم بنو أبان بن عثمان ، وقد أفرده المصنّف بالحديث – فيما يبدو – لأنه البطن الذي ينتمي إليه المعزّ الجمالي أبو المحاسن يوسف الذي قدّم له هذا الكتاب ، وهو يعدّ من غريب الاتفاق أن يستهلّ كتابه بذكر الحي الذي ينتسب إليه أبو المحاسن ، فإن لفظ أبان هو أول ما ينبغي ذكره بترتيب الكتاب على حروف المعجم . والمؤلف ينتهز هذه السانحة لإطراء المعزّ الجمالي والإشادة بمناقبه ويأتي بشعر في مديحه ، ولكنه شعر ركيك لا ينمّ عن موهبة شاعرية أصيلة . ويستشهد بأشعار لشعراء آخرين تلائم المناسبة ، وهو يلتزم السجع في مديحه إياه ويبالغ في تقريظه مبالغة مسرفة من نحو

قوله : « فلو غَرس الشوك أنبت العنب إن أرادها ، أو حاول العنقاء في الجوّ لصادها ... فمناقبه تسبق أقلام الكاتب ، وتستغرق طاقة الحاسب ، ليس لارتفاعها غاية ، ولا لتداولها على مدى الأيام نهاية ... »[٦٠] ، وفي سياق تقريظه إياه يفضّله على البرامكة خالد ويحي وجعفر والفضل ، ولا ندري ما السبب الذي جعله يخص بالذكر هذه الأسرة دون غيرها .

ويلاحظ في تعداد قبائل العرب وبطونها أن المؤلف ذكر قبائل البربر ضمن القبائل العربية ولكنه أشار إلى الخلاف في نسبها بين علماء النسب .

وللكتاب ميزتان ، أولاهما إيراد القبائل على حروف المعجم ، والثانية : ذكر من كان في زمن المؤلف من القبائل ومواطنها . فلدى حديثه عن بني أمية مثلاً يذكر أن منهم جماعة بصعيد مصر في أعمال الأشمونين ، وأن الدولة الفاطمية انقضى عهدها وهم بأماكنهم من ديار مصر لم يروّع لهم سرب ، وهم على ذلك الى زمن المؤلف[٦١] .

وآخر من ذكرهم من القبائل بنو يقظة ، من بطون قريش .

وقد ذيّل الكتاب بخاتمة موجزة تشتمل على خمسة فصول : أوّلها في معرفة ديانات العرب قبل الإسلام وعلومهم ، والثاني في ذكر طائفة من المفاخرات التي وقعت بين قبائل العرب في الجاهلية ، على أنه لم يتحدث إلا عن المفاخرات التي وقعت في مجلس كسرى . وفي الفصل الثالث يذكر أيام العرب في الجاهلية دون التفصيل في ذكر الوقائع ، ويتبعها بالحروب التي وقعت في مستهل الإسلام ويجعل منها يوم السقيفة ، وذكر من الوقائع في

(٦٠) الكتاب ص٣١ .
(٦١) الكتاب ص٨٥ .

مبدأ الإسلام يوم الدار ويوم الجمل ويوم صفين . ووقف الفصل الرابع على ذكر نيران العرب في الجاهلية كنار المزدلفة ، ونار الاستمطار ، ونار الحلف ، وغيرها . وفي الفصل الخامس يتحدث بإيجاز عن أسواق العرب المعروفة قبل الإسلام . والخاتمة موجزة ولا علاقة لها بموضوع الأنساب .

وقد استمدّ المؤلف موادّ كتابه من مصادر كثيرة ، على أنه لم يذكرها في مقدمة الكتاب وإنما ذكرها في ثناياه . ومن أهمّها « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) ، وتاريخ العبر لابن خلدون ، وقد اعتمد على هذا الكتاب في أنساب البربر خاصة . ومن مصادره كذلك سيرة ابن هشام (ت ٢١٣هـ) ، وتاريخ أبي الفداء (ت ٧٧٤هـ) ، والصحاح للجوهري (ت ٣٩٣هـ) وجمهرة النسب لابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) ، وجمهرة الأنساب لابن حزم (ت ٤٥٦هـ) . وهو ينقل كثيراً عن مؤلف يدعوه « الحَمْداني » ولكنه لا يذكر اسمه ولا اسم كتابه ، وقد اعتمد عليه في ذكر مواطن القبائل العربية ولا سيما في بلاد مصر . وكل ما عرفناه عن هذا المؤلف ما ذكره القلقشندي عنه في ص٥٤ من الكتاب من أنه كان مهمنداراً لوفود العرب الواردة إلى الأبواب السلطانية ، يتولى أمرها وينزلها دار الضيافة السلطانية ويعلم تفاصيل أحوالها . وكان على أيام الملك الكامل محمد بن العادل الأيوبي ، ثم عاصر المعزّ أيبك التركماني وتوفي قبل وفاة ابن فضل الله العمري ، أي قبل سنة ٧٤٩هـ .

ومن مصادره كذلك كتاب « الشفاء » للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) و« الروض الأنف » للسهيلي (ت ٥٨١هـ) وكتاب « النسب » لأبي عبيد القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤هـ) والقضاعي في

خططه (ت ٤٥٤هـ) وابن سعيد علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ) في كتابيه « المشرق في حلى المَشرق » و« المغرب في حلى المَغرب » ، والزمخشري في « الكشّاف » (ت ٥٣٨هـ) ، والطبري في تاريخه (ت ٣١٠هـ) .

نشرت الكتاب دار الكتب الإسلامية ودار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتاب اللبناني ببيروت بتحقيق إبراهيم الأبياري (الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠ والثانية سنة ١٩٨٠م) .

* * *



كتاب
قلائد الجُمان في التعريف بقبائل الزمان

للقلقشندي

الكتاب :

هذا هو الكتاب الثالث الذي ألّفه القلقشندي في الأنساب ، وقد أراد من تأليفه التفصيل في ذكر القبائل المعروفة لعهده ومواطنها ، وكان قد تناول هذا الجانب في كتابه « نهاية الأرب » ولكنه هنا يفصّل ما أجمله في كتابه ذاك ، وينتهج في تعداد القبائل خطة مخالفة لخطته في نهاية الأرب .

وقد أهدى المؤلف كتابه إلى المقرّ الأشرف الناصري أبي المعالي محمّد الجهني البارزي صاحب دواوين الإنشاء بالديار المصرية ، ولقب المقرّ (بفتح الميم والقاف) لقب يختصّ بكبار الأمراء وأعيان الوزراء وكُتّاب السرّ والأشراف ومن يجري مجراهم ، وقد عرّف القلقشندي بهذا اللقب في

كتابه « صبح الأعشى »[٦٢] .

وقد سار المؤلف على نهج نهاية الأرب في تقسيم الكتاب إلى مقدمة ومقصد وخاتمة ، وإن اختلف العرض في الكتابين .

ومقدمة كتاب « قلائد الجمان » هي مقدمة كتاب « نهاية الأرب » عينها ، والخلاف بين الكتابين يقع في المقصد والخاتمة . وقد قسّم المقصد إلى فصلين ذكر في الأول منهما عمود النسب النبوي وما يتفرّع منه – شأنه في نهاية الأرب – مع اختلاف يسير في سياقة هذا النسب .

وفي الفصل الثاني يتناول قبائل العرب ولكنه لم يذكرها مرتبة على حروف المعجم ، كما فعل في نهاية الأرب ، وإنما اتبع الأسلوب المألوف في كتب الأنساب ، فقسّم العرب إلى بائدة وغير بائدة ، ولم يفصّل القول في العرب البائدة لأنه كان قد فصّل القول فيها في نهاية الأرب ، ولأن غرضه في هذا الكتاب هو ذكر القبائل المعروفة لعهده فقط ، وقد نبّه على ذلك فقال : « وقد أتيت على ذكرهم في كتابي « نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب » ولا حاجة بهذا الكتاب إلى ذكرهم لأنه غير ما قصدته فيه »[٦٣] .

ثم قسّم العرب غير البائدة إلى أقسام ثلاثة : العاربة ، وهم بنو قحطان بن عابر ، والمستعربة ، وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم ، والعرب المختلف في عروبتهم وهم البربر .

بدأ بقحطان فذكر نسبه وذكر من ولده : يعرُب ، وجُرهم ، وحضرموت ، وذكر خبر جرهم ونزولها الحجاز وإصهار إسماعيل إليها وتعلمه لغتها ، ثم تغلّب خزاعة عليها وعودتها إلى ديارها باليمن وانقراضها ..

---

(٦٢) انظر : صبح الأعشى ١٩٤/٥ .

(٦٣) قلائد الجمان ص٣٦ .

أمّا حضرموت فبقي مع أخيه يعرب باليمن وتناسل بنوه منه وبنوا مدينة حضرموت وكان منهم ملوك نباهة وذكر ثم انقرض جُلّهم واندرج باقيهم في كندة .

وأما يعرب فمنه تناسلت سائر قبائل قحطان وهي : حِمير ، وكَهلان ، وعمرو ، وأشعر ، وعاملة .

ونلاحظ هنا أن المؤلف خالف ما عليه جمهرة النسّابين في سياقة نسب القبائل المنحدرة من سبأ بن يشجب بن يعرب ، فأولاد سبأ عندهم هم : كهلان ، وحمير ، وأولاد آخرون أطلقوا عليهم لفظ « السبئيين » . أما عمرو وأشعر وعاملة فهم ينتمون جميعاً إلى كهلان ، وليس في كتب الأنساب المعتمدة ما يؤيد كلام المؤلف[٦٤] .

وقف المؤلف أولاً عند قبيلة حمير والبطون التي تفرّعت منها ، وقد وقع المؤلف هنا في خطأ آخر حين نسب معن بن زائدة الشيباني إلى بطن شيبان ، أحد بطون حمير[٦٥] . والصحيح أنه من قبيلة بني شيبان الرَبعية ، من بني هَمّام بن مُرّة بن ذُهل بن شيبان ... بن بكر بن وائل[٦٦] . وفي سياقة نسب شيبان يقول : « وهم بنو شيبان بن عوف ، من بني زهير بن أبين بن الهميسَع بن حمير »[٦٧] ، والذي في جمهرة ابن حزم : أبين بن زهير ، ولا نجد ذكراً لشيبان في تعداد بطون الهميسع بن حمير[٦٨] .

---

(٦٤) انظر مثلاً : جمهرة الأنساب لابن حزم ص٣٢٩ ــ ٣٣٠ .

(٦٥) القلائد ص٤١ .

(٦٦) انظر : جمهرة ابن حزم ص٣٢٦ .

(٦٧) الكتاب ص٤٠ .

(٦٨) انظر جمهرة ابن حزم ص٤٣٢ .

وانتقل بعدئذ إلى قبيلة قُضاعة فتحدث عن الخلاف في نسبها بين النسّابين ثم ذكر القبائل الباقية لعهده منها ومواطنها في مصر وغيرها فجعلها ثماني عمـائر هي : جُهينـة ، وبَلِّي ، وكلب ، وبهراء ، وتنوخ ، ونَهد ، ومَهْرة ، وجَرْم .

وثمة بعض الأخطاء في ضبط أسماء بعض هذه القبائل ومنها مثلاً : جَرْم بن زَبّان (ص٥٣) والصواب : رَبّان ، بالراء المهملة .

ولمّا فرغ من قضاعة انتقل إلى كهلان فذكر أن المشهور من بقاياها في عهده ثمان عمائر هي : جُذام ، ولَخْم ، وكِندة ، وطَيِّئ ، ومَذْحِج ، والأزد ، وهَمْدان ، وصُداء ، وخَولان ، وأنمار .

ويلاحظ هنا أن المصنّف أخطأ في تعداد عمائر كهلان ؛ فقد ذكر أنها ثمان عمائر ، ولكنه بعد العمارة الرابعة (طيئ) جعل العمارة الخامسة مذحج عمارة ثالثة . وتابع العدّ إلى ثمانية فأنقص بذلك قبيلتين فالمجموع عشر قبائل لا ثمان .

وقف المؤلف عند كل قبيلة فذكر بطونها المشهورة في أيامه ، ورجالها البارزين ، ومواطنها . ويلاحظ أن بطون جذام وحدها في أيامه بلغ تعدادها واحداً وعشرين بطناً . ويبدو مما عرضه المؤلف أن قبيلة طيئ كانت لها منزلة رفيعة لدى الدولتين الأيوبية والمملوكية ، وكانت وفودها تقدم على الملوك فيهبون لهم العطايا الجزيلة والهبات الضخمة وكان أشهر بطونها عصرئذ آل ربيعة ، ومنهم فخذ آل فضل ، ومن هذا الفخذ أسرة آل عيسى التي كان لأميرها منزلة عالية لدى الملوك « وأميرهم أعلى رتبة عند الملوك من سائر العرب »[٦٩] . وقد أغدق ابن فضل الله العمري – فيما نقل عنه المؤلف –

---

(٦٩) الكتاب ص٧٦ .

على هؤلاء النعوت التي ترفع من قدرهم وبالغ في تعظيم شأنهم ، ومن قوله فيهم : « وآل عيسى في وقتنا هذا هم ملوك البرّ فيما بعُد واقترب ، وسادات الناس ، ولا تصلح إلا عليهم العرب .. »(٧٠) . وكان ملوك الأيوبيين والمماليك هم الذين يختارون لهذه القبائل أمراءها ، فقد أقرّ الملك الكامل من آل فضل حديثة بن فضل ، وفي أيام الظاهر بيبرس صارت الإمرة في عيسى بن مُهنا(٧١) . وكانت منازل طيئ في تلك الحقبة متفرقة بين مصر والشام والعراق والجزيرة العربية .

ولمّا فرغ من كهلان انتقل إلى الأشعر وجعلها قبيلة مستقلة تنحدر مباشرة من سبأ ، في حين أن جل النسّابين يجعلونها من قبائل كهلان ، وقد أشار المؤلف إلى هذا الخلاف في نسبها(٧٢) . وجعل كذلك عاملة قبيلة مستقلة من قبائل سبأ خلافاً لما عليه جمهرة النسّابين .

وبعد فراغه من القبائل القحطانية انتقل إلى القسم الثاني من العرب الباقية في زمنه وهم العرب المستعربة أبناء إسماعيل بن إبراهيم (العدنانية) .

وقد قدّم لحديثه عن العدنانية بكلام حول عدد الآباء بين عدنان وإسماعيل ، ثم ذكر أن القبائل المشهورة الموجودة في زمنه من عدنان خمس هي : بنو نزار بن معدّ بن عدنان ، وربيعة ، وخِندف ، وكنانة ، وقريش .

بدأ بنزار فذكر أن ثمة بطنين منه ما زالا باقيين في زمنه ، ثم سمّى أحد هذين البطنين وهو مضر ، ولكنه لم يذكر البطن الثاني ، وكذلك قسم مضر إلى فخذين ذكر أولهما وهو قيس عيلان ولم يذكر الثاني .

---

(٧٠) الكتاب ص٧٨ .

(٧١) الكتاب ص٧٩ .

(٧٢) الكتاب ص١٠٥ .

فكذلك نرى أن تقسيمه للقبائل العدنانية مضطرب ولا ينبئ برسوخ قدمه في الأنساب ، والذي عليه جمهرة النسابين هو انتماء جميع القبائل العدنانية إلى أربعة أجذام تتفرع كلها من نزار بن معدّ هي : مضر ، وربيعة ، وإياد ، وأنمار . ومضر تتفرع إلى جذمين كبيرين هما : خندف بنت مضر (أو الياس بن مضر) ، وقيس عيلان بن مضر . وثمة خلل آخر هو إطلاق لفظ (بطن) على مضر وهي قبيلة ضخمة ، وإطلاق لفظ بطن كذلك على قيس عيلان وهي أيضاً قبيلة كثيرة العدد تتفرع منها بطون كثيرة ، وقد كثر عددها في زمن المؤلف كثرة جعلت بعض بطونها يحتل مناطق واسعة في شتى الأقطار التي استوطنها العرب ، كبني هلال الذين نزلوا المغرب وكانت لهم مشاركة قوية في أحداث ذلك البلد ، وكبني كلاب الذين تبوؤوا منزلة عظيمة لدى ملوك مصر . وعلى أي حال سنتابع تقسيمات المؤلف على ما بها من اضطراب وخلل .

بدأ بالحديث عن قيس عيلان وذكر كثرة البطون المتفرعة عنه حتى جُعل في مقابل اليمانية . وذكر أن الموجودين من قيس عيلان في زمنه ثلاث فصائل هي : غطَفان ، وهوازن ، وسُليم ، ولكنه ذكر بعد ذلك فصيلة رابعة هي عَدْوان . ثم تحدث عن كل من هذه القبائل فقسم غطفان إلى عبس وذبيان ، وذكر منازل هاتين القبيلتين في زمنه ، ومعتمده الأول في بيان نسب غطفان على كتاب العبر لابن خلدون ، وقد ذكر أن بني بدر الفزاريين هم قبيلته التي ينتسب إليها (أي القلقشندي) . ومن قبائل هوازن التي ذكرها : غَزيّة ، وعامر بن صعصعة ، ومن بطون بني عامر : كلاب ، وهؤلاء ملكوا مدينة حلب وغيرها من مدن الشام ، وأول أمرائهم صالح بن مرداس ، وكانوا كثيراً ما يغيرون على بلاد الروم . ونقل عن العمري قوله :

« وهم عرب غُزّ يتكلمون بالتركية ويركبون الأكاديش »[٧٣] . يريد أن من نزل بلاد الروم منهم أصبحت لغتهم التركية . ونقل عن الأمير طيغا وصفه لهم بأنهم من أشدّ العرب بأساً ، ولكنهم لا يدينون لأمير منهم ، ولو انقادوا لأمير واحد لم يبق لأحد من العرب بهم طاقة[٧٤] .

ومن بطون بني عامر كذلك بنو هلال ، وقد ذكر المؤلف مواطنهم نقلاً عن أبي سعيد الحَمْداني كما نقل قول ابن فضل الله فيهم : « فيهم كان ملك العرب القديم ببلاد المغرب »[٧٥] . ومن بطون بني عامر كذلك بنو عُقَيل الذين كان لهم أيضاً شأن كبير في المواطن التي نزلوها .

والفصيلة الثالثة هي سُليم بن منصور ، وينقل المؤلف عن الحمداني أنهم أكثر قبائل قيس عدداً[٧٦] .

والفصيلة الرابعة من قيس عيلان هي عَدْوان .

والقبيلة الثانية ربيعة بن نزار ، وقد ساق المصنف نسبها وما تفرّع من قبائلها وبطونها ومنازلها القديمة ومواطنها في زمنه .

والقبيلة الثالثة خندف ، وهم بنو الياس بن مضر بن نزار . ومما يلفت النظر أن المؤلف لم يذكر من القبائل المتفرعة من خندف سوى قبيلة هُذيل ، وأهمل ذكر سائر القبائل الخندفية ، باستثناء كنانة التي أفردها بالحديث . ومن أهمّ القبائل التي أغفل ذكرها أسد وتميم وضبّة والرِّباب ، ولا ندري سبب إغفاله ذكر هذه القبائل ، وليس من المعقول أن تكون

---

(٧٣) الكتاب ص١١٧ .

(٧٤) المصدر نفسه .

(٧٥) الكتاب ص١١٨ .

(٧٦) الكتاب ص١٢٣ .

هذه القبائل قد انقرضت في عصره . ولا سيا قبيلة تميم التي كانت قديماً من أكثر قبائل العرب عدداً .

والقبيلة الرابعة في تقسيم المؤلف كنانة ، وهم بنو كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن الياس بن مضر ، وقد عدّد بطونها المشهورة ومنازلها وذكر المشهورين من رجالها في عصره مثل سراج الدين البُلْقيني(٧٧) وكمال الدين النَشائي(٧٨) .

والقبيلة الخامسة قُريش ، وهي وإن كانت بطناً من كنانة فقد أفردت بالحديث لكون الرسول عليه السلام منها . وقد عدّد بطونها ورجالها المشهورين ومن بقي منها في زمنه ومنازلهم . وفي عرض حديثه عن قريش ذكر بعض من ينسبون أنفسهم إلى قريش . ومنهم الحفصيون ملوك إفريقية . وقد خصّ قريش بحديث مفصّل وجعل بطونها عشرة هم : بنو عدي بن كعب ، وبنو جُمَح بن هصيص ، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص ، وبنو تَيْم بن مُرّة ، وبنو مخزوم بن يقظة ، وبنو زُهرة بن كلاب ، وبنو عبد الدار بن قُصي ، وبنو أسد بن عبد العُزّى ، وبنو أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وبنو هاشم بن عبد مناف ، وقد قسم بني هاشم فخذين : العباسيّون والطالبيون ، وذكر أن المشهورين في عصره من الطالبيين فصيلتان : الحسنيون والحسينيون . فالحسنيون هم بنو الحسن بن علي بن أبي طالب ، ومنهم الأدارسة بالمغرب الأقصى ، والسليمانيون الذين

(٧٧) هو عمر بن رسلان الكناني المصري الشافعي . من أئمة علماء الحديث في عصره . ولد في بُلْقِينة من أعمال الغربية بمصر وتولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ ، له مؤلفات فقهية كثيرة . توفي سنة ٨٠٥هـ .

(٧٨) هو أحمد بن عمر المدلجي الكناني ، كمال الدين النشائي ، فقيه شافعي مصري ، ينسب إلى قرية نشا بريف مصر ، له مؤلفات كثيرة في الفقه . توفي سنة ٧٥٧هـ .

كان منهم أمراء مكة ، والهواشم الذين صارت إليهم إمرة مكة بعد السليمانيين ، وبنو قتادة الذين تولّوا إمرة مكّة بعد الهواشم . ومنهم بنو الرسّي أئمة الزيدية باليمن .

ومن الحسينيين العبيديون (الفاطميون) الذين كانت لهم دولة بالمغرب ثم بمصر والشام . على أن المؤلّف يشك في صحة نسبهم إلى الحسين ، ويحيل على كتابه « مآثر الإنافة » لمزيد من التفصيل . ومنهم كذلك بنو طاهر أمراء المدينة المنوّرة .

والقسم الثالث من العرب هم العرب المختلف في عروبتهم وهم البربر . وحديثه عنهم في كتابه هذا لا يختلف عن حديثه عنهم في صبح الأعشى إلا اختلافاً يسيراً .

وتختلف خاتمة « قلائد الجمان » عن خاتمة « نهاية الأرب » في أنه وقفها على ترجمة المَقرّ الأشرف الذي قدّم له هذا الكتاب ، وهو يبالغ في تعظيم الرجل والإشادة بمناقبه . وقد جرت عادة المؤلفين في عصر القلقشندي على تفخيم المترجم له وإضافة الألقاب الكثيرة إليه ونسبته إلى أمور كثيرة تحلّ محل الصفات ، فأبو المعالي هذا هو المقرّ الأشرف العالي المولوي القاضوي الكبيري الخ ....(٧٩) .

وقد ترجم المؤلف كذلك لأبي المقرّ الناصري ولأجداده . وأشاد بمناقبهم وعلوّ منزلتهم ، وأثبت بهذه المناسبة نصّ التقليد الذي كتبه تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي منشئُ ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية للمقرّ الناصري حين قُلّد ديوان الإنشاء سنة خمس عشرة وثمانمئة .

---

(٧٩) انظر جملة هذه الصفات ص١٧٩ من الكتاب .

أنجز القلقشندي تأليف هذا الكتاب ، حسبما ذكر في الكتاب ، في سنة تسع عشرة وثمانمئة ، أي قبل وفاته بسنتين .

يؤخذ على الكتاب ما لاحظناه في حديثنا عنه من مخالفته ما جرى عليه جمهرة النسابين في تسلسل الأنساب العدنانية والقحطانية وتفرعها من أصولها وكذلك عدم استيفائه ذكر قبائل العرب . ومنها قبائل مشهورة ذات كثرة عددية كقبيلة تميم .

ولكن للكتاب فائدة كبيرة في بيانه أسماء القبائل العربية الباقية في زمن المؤلف ومنازلها وذكر أسماء رجالها المشهورين وما كان لهم من صلات بملوك الأيوبيين والمماليك ومنزلتهم لديهم .

وقد استمدّ المؤلف مادة كتابه من مصادر كثيرة بعضها لم يصل إلينا ، وهي المصادر عينها التي استفاد منها في كتابه نهاية الأرب ، يضاف إليها مصادر أخرى . وجلّ اعتماد المؤلف في مصنفه هذا على كتاب الحَمْداني الذي تحدّثنا عنه آنفاً ، وعلى كتاب « مسالك الأبصار » لابن فضل الله العمري ، كما أنه نقل طائفة من الأخبار من كتاب العمري « التعريف بالمصطلح الشريف » ، واستفاد كذلك من تاريخ ابن خلدون ، ولا سيما في بيان مواطن القبائل التي نزلت بلاد المغرب ، وفي كلامه على البربر .

ومن مصادره كذلك كتاب « الروض المعطار في خبر الأقطار » لأبي عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري (توفي في حدود سنة ٧٢١هـ) ، وشرح القصيدة الشقراطيسية في سيرة الرسول عليه السلام ومدحه والتي نظمها أبو محمد عبد الله الشقراطيسي (توفي سنة ٤٦٦هـ) ، وشرحَها محمد بن علي التوزري (توفي سنة ٦٨١هـ) ،

ومنها كذلك كتاب « جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور في أخبار الديار المصرية » لإبراهيم بن وصيف شاه (توفي سنة ٥٩٩هـ) . وهو ينقل كثيراً عن كتاب لعلي بن عبد العزيز الجرجاني (ت سنة ٣٩٢هـ) صاحب كتاب الوساطة ، ولكنه لا يذكر اسم هذا الكتاب ، ويحتمل أنه كتاب « تهذيب التاريخ » . ويرجح كذلك أنه استمدّ من كتاب « لباب الأنساب » لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي المعروف بابن فُندق (ت ٥٦٥هـ)[٨٠] .

ويضاف إلى هذه المصادر ما ذكرناه منها في حديثنا عن نهاية الأرب .

حقق الكتاب الأستاذ إبراهيم الأبياري ونشرته دار الكتاب اللبناني في طبعتين ثانيتهما سنة ١٩٨٢م ، ومن المؤسف أن هذه الطبعة مشحونة بالأخطاء الطباعية فضلاً عن أخطاء أخرى في ضبط الأسماء وقع فيها المحقق .

مصادر البحث :

بروكلمان	تاريخ الأدب العربي (المترجم)	دار المعارف بمصر ١٩٦١م
ابن الجوزي	صفة الصفوة	حيدر أباد ١٣٥٦هـ
ابن حجر	تهذيب التهذيب	بيروت ١٩٦٨م
	الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة	حيدر أباد ١٩٢٩م
ابن حزم	جمهرة الأنساب تح: هارون	القاهرة ١٩٦٨م
الخطيب البغدادي	تاريخ بغداد تح. محمد حامد الفقي	القاهرة ١٩٣١م

(٨٠) انظر معجم الأدباء لياقوت ٢٢٩/١٣ . وابن فندق كان يجيد الفارسية والعربية وله مؤلفات باللغتين في شتى العلوم والمعارف ، ومنها « تاريخ بيهق » بالفارسية ، وكتاب « مشارب التجارب » بالعربية في أربع مجلدات .

ابن خلدون	تاريخه (العبر ..)	القاهرة ١٩٣٦م
ابن خلكان	وفيات الأعيان تح. إحسان عباس	بيروت ١٩٧٠م
ابن دريد	الاشتقاق تح. هارون	القاهرة ١٩٥٨م
الذهبي	تذكرة الحفاظ	بيروت ١٩٦٨م
	سير أعلام النبلاء	دمشق ١٩٥٦م
الزُبيدي	طبقات النحويين واللغويين تح. محمد أبو الفضل إبراهيم	القاهرة ١٩٥٤م
السبكي	طبقات الشافعية تح. محمود الطناحي	القاهرة ١٩٦٤م
السخاوي	الضوء اللامع لأهل القرن التاسع	القاهرة ١٣٥٣هـ
السيوطي	بغية الوعاة تح. محمد أبو الفضل	القاهرة ١٩٦٤م
	المزهر تح. جاد المولى والبجاوي وأبي الفضل	القاهرة
	همع الهوامع	القاهرة ١٩٢٧هـ
ابن الشجري	الأمالي	حيدر أباد ١٣٤٩هـ
طه حسين	فلسفة ابن خلدون الاجتماعية تح. عنان	القاهرة ١٩٢٥م
الطبري	تاريخ الرسل والملوك تح. محمد أبو الفضل إبراهيم	القاهرة ١٩٦٠م
عمر فرّوخ	ابن خلدون	بيروت
ابن العماد	شذرات الذهب تح. الطهطاوي	بيروت
القاسم بن سلام	النسب تح. مريم الدرع	بيروت ١٩٨٩م
القفطي	إنباه الرواة تح. أبو الفضل إبراهيم	القاهرة ١٩٥٠م
القلقشندي	صبح الأعشى ط. دار الكتب المصرية	القاهرة ١٩١٠م وما بعدها
	قلائد الجمان تح. الأبياري	بيروت ١٩٨٢م
	نهاية الأرب تح. الأبياري	القاهرة ١٩٥٩م
ابن الكلبي	جمهرة النسب تح. محمود العظم	دمشق ١٩٨٣م
محمد بن تاويت الطنجي	التعريف بابن خلدون	القاهرة ١٩٥١م
محمد الخضر حسين	حياة ابن خلدون	القاهرة
محمد عبد الله عنان	ابن خلدون	القاهرة ١٩٥٣م
المقّري	نفح الطيب تح. إحسان عباس	بيروت ١٩٦٨م
المقريزي	السلوك	مخطوط طبع منه الجزء الأول
ابن النديم	الفهرست	القاهرة ١٣٤٨هـ
ياقوت الحموي	معجم الأدباء نشر الرفاعي	القاهرة ١٩٣٦م وما بعدها
	معجم البلدان	بيروت ١٩٧٧م

كُتب الأنساب العربية

- ٦ -

كتاب « سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب » للسويدي (ت ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م)

الدكتور إحسان النص

المؤلف(*)

ينتمي مؤلف الكتاب أبو الفوز محمد أمين بن علي بن محمد الى أسرة السويدي البغدادية التي ترجع نسبها إلى الخليفة العباسي المنصور ، وقد عرف من رجال هذه الأسرة علماء ألفوا طائفة من الكتب في علوم العربية والأدب والفقه وغيرها . ومن رجالها المشهورين أبو البركات عبد الله وابنه أحمد ، وعبد الرحمن السويدي ، وعبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحمن .

استوطنت أسرة المؤلف مدينة الكرخ ولكن المؤلف ولد ببغداد ، وليست لدينا أخبار وافية عن حياته ، وسنة ولادته غير معروفة ، وإنما عرفنا سنة وفاته وهي سنة ١٢٤٦هـ ، وكانت وفاته بمدينة بُريدة النجدية أثناء عودته من الحج .

(*) من مصادر ترجمته : كتاب « المسك الأذفر » لمحمود شكري الآلوسي ، بغداد ١٣١٨هـ ؛ ومقالة لعضو المجمع المرحوم عز الدين علم الدين التنوخي نشرت في مجلة المجمع ، المجلد الثامن ، الجزء الثامن ، ١٩٢٨م تحدث فيها عمن اشتهر من أسرة السويدي من المؤلفين وأشهر مؤلفاتهم ؛ والأعلام للزركلي ، المجلد السادس ، ص٤٢ .

ترك المؤلف عدداً من الكتب في موضوعات شتى منها : « قلائد الدرر في شرح رسالة ابن حجر » وهو في فقه الشافعية ، و « الجواهر واليواقيت في معرفة القبلة والمواقيت . » ، و « قلائد الفرائد » في شرح المقاصد للنووي ، في الفقه ، وكتاب « الصارم الحديد » الذي انتصر فيه لابن أبي الحديد ، و « المواهب اللدنية في شرح القصيدة البوصيرية » و « السهم الصائب » في الرد على من طعن في الشيخ خالد النقشبندي الدمشقي .

الكتاب .

فرغ المصنّف من تأليف كتابه – وفقاً لما ذكره في نهاية الكتاب – سنة تسع وثلاثين واثنتين وألف للهجرة ١٢٣٩هـ ، فهو من أواخر الكتب المؤلفة في الأنساب ، وقد ذكر المصنف في مقدمته أنه وقف على كتاب أبي العباس القلقشندي « نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب » فأعجب به ووجده « من أحسن ما أُلفَ في علم الأنساب ، فيما علمنا وسمعنا من ذوي الألباب ، وكان ذلك متوسطاً بين الإطناب المملّ والإيجاز المخلّ » ، غير أن ترتيبه على حروف المعجم جعل من العسير على الناظر فيه أن « يوصل نسب قبيلة متأخرة بقبيلة متقدمة » لأن القلقشندي لم يذكر في كتابه هذا القبائل المتفرّعة من أصل واحد في موضع واحد وانما ذكر كل قبيلة في موضعها وفق ترتيب حروف المعجم ، فأراد السويدي أن يتبع أسلوباً مغايراً هو في الحقيقة أسلوب كتب الأنساب السابقة التي ذكرت القبائل المتفرعة من أصل واحد في موضع واحد . على أن السويدي اتبع طريقة التشجير والخطوط بدلاً من طريقة السرد المتبعة قبله ، وقد وضّح طريقته في المقدمة فقال : « أحببت أن أجعله على ترتيب مخالف لترتيبه – أي ترتيب كتاب نهاية الأرب – وأسلوب مغاير لأسلوبه ، وذلك بأن

أوصل آخر القبائل بأوائلها ، بخطوط تمتدّ من الآباء الى أبنائها ، وأضع كل اسم في ضمن دائرة تحيط به ، وما ذكره – أي القلقشندي – على القبائل من التفصيل والبيان أذكره بين الخطوط ، مبينا له أتم تبيان ، فبادرت الى ذلك ، متوكلاً على الله العزيز المالك ، وقد حذفت منه شيئاً يسيراً ، أو زدت عليه كلاماً كثيراً ، وقد ألحقت به أنساب بعض الملوك وغيرهم . »

فالكتاب مستمد جلّه من كتاب القلقشندي إلا أنه خالفه في طريقة العرض ، ثم أضاف اليه أنساب بعض الملوك ، فذكر أنساب خلفاء بني أمية وبني العباس ثم ذكر أنساب سلاطين آل عثمان ، وكان يعيش في زمنهم ، ولهذا دعا لهم بدوام سلطنتهم الى آخر الزمان ، ولكنه بيّن أنه ذكر أسمائهم بلغة الترك القديمة ، « وهي غير مضبوطة ، فهذا الذي قدرنا على ضبطه . »(١) وقد ذكر الى جانب كل ملك من هؤلاء جميعاً سنة ولادته وسنة وفاته وشيئاً من أخباره . ومن هذا يتضح أن الكتاب ليس مقصوراً على أنساب العرب وحدهم .

جعل المؤلف كتابه في ثلاثة عشر باباً : الأول في فضل علم الأنساب ، والثاني في بيان من يقع عليه اسم العرب ، والثالث في طبقات الأنساب ، والرابع في ذكر مساكن العرب القديمة ، والخامس في أمور يحتاج إليها الناظر في علم الأنساب . وهذه الأبواب الخمسة هي عينها الأبواب التي ذكرها القلقشندي في مقدمة كتاب نهاية الأرب ، وهي أيضاً الأبواب عينها التي ذكرها القلقشندي في مقدمة كتابه « قلائد الجمان » وقد سبق الحديث عن هذين الكتابين . والباب السادس في معرفة بعض أنساب العرب والترك والروم والسودان ، وهذا الباب تلخيص لما جاء في

(١) الكتاب ص٩٢ .

كتب الأنســاب القديمة وفي الفصل الأول من كتاب نهاية الأرب للقلقشندي فيما يتصل بتفرع أنساب الأمم كلها من آدم ، على أنه اتبع فيه طريقته في ذكر أسماء الأعلام ضمن دوائر تتصل فيما بينها بخطوط والى جانب كل اسم محاط بدائرة بعض الأخبار حوله .

والباب السابع في ذكر القبائل التي ذكرها النسّابون ولم يلحقوها بقبيلة معينة ومادة هذا الباب استمدها المؤلف من كتاب نهاية الأرب ، فقد تتبع ماورد فيه من أسماء القبائل التي لم يعرف على وجه اليقين الأصول التي تنتمي إليها ، وجلّ ما أورده فيه منسوب الى الحمداني الذي تحدثنا عنه آنفاً لدى حديثنا عن مؤلفات القلقشندي في الأنساب(٢) . وهذه القبائل كلها من القبائل المتأخرة في زمنها والتي جهل الناس أصولها .

والباب الثامن في ذكر القبائل التي اختلف فيها هل هي من العرب أو من غيرهم . والحديث يتناول البربر وقبائلهم . وقد مضى القول في اختلاف النسابين بشأنهم أهم من العرب أم من غيرهم ، وهذا الباب برمته منقول من كتاب القلقشندي نهاية الأرب في كلامه على البربر(٣) .

والباب التاسع في ذكر ديانات العرب قبل الإسلام وعلومهم ، والعاشر في ذكر أمور من المفاخرات الواقعة بين قبائلهم وما ينجرّ الى ذلك ، والحادي عشر في ذكر أيام حروب العرب في الجاهلية ومبادئ الإسلام ، والثاني عشر في ذكر نيران العرب في الجاهلية ، والثالث عشر في ذكر أسواق العرب المعروفة فيما قبل الإسلام . وهذه الأبواب الخمسة هي عينها الفصول التي اشتملت عليها خاتمة كتاب نهاية الأرب ، غير أن

---

(٢) انظر الجزء الأول من المجلد ٦٨ من مجلة المجمع .

(٣) نهاية الأرب ، ص١١٨ .

المؤلف فصّل القول في بعض ماجاء فيها ، ومن ذلك ذكره أسباب الحروب التي وقعت في الجاهلية بين قبائل العرب .

فكذلك نرى أن مؤلف الكتاب استمد مادة كتابه من كتاب نهاية الأرب للقلقشندي وليس له من الفضل فيه الا وصل القبائل بأصولها مع اضافات يسيرة ، وأضاف الى مادة الكتاب بيان أنساب سلاطين آل عثمان ، وهم ليسوا من العرب .

طبع الكتاب لأول مرة ببغداد سنة ١٢٨٠هـ ، ثم طبع بدار القلم في بيروت وأغفل ذكر سنة الطبع .



كتاب
الأنساب للعوتبي

هذا الكتاب كان حقه أن أتحدث عنه في موضع سابق ، وانما أخّرت الحديث عنه لأننا لانكاد نعرف عن مؤلفه أي شيء ، فليس بين أيدينا من أخباره ما فيه غناء ، وسنة وفاته مجهولة فلا نعلم في أي قرن عاش ، ولم يستطع محقق كتابه أن يقطع بكونه من رجال القرن الخامس الهجري ، على مااستظهره بعض الباحثين ، ورجّح كونه من المتأخرين لأنه وجده يستشهد في مقدمة كتابه بأبيات ركيكة يبعد أن يكون قائلها من أبناء القرن الخامس مستنداً في حكمه هذا الى أن اللغة العربية لم تكن قد بلغت عصرئذ هذا المبلغ من الركاكة[٤] .

وعلى أن الكتاب قد طبع في سلطنة عُمان ، موطن المؤلف ، لم

---

(٤) مقدمة كتاب الأنساب ص٤ .

يستطع المحقق أن يهتدي الى ترجمة للمؤلف في أي من المراجع ، وجلّ ما يستطاع استخلاصه من الكتاب أن للمؤلف كتاباً في الحكم والأمثال ، وآخر في الخطب والرسائل أسماه « محكم الخطابة » ، وثالثاً في الوفود والوفادات واسمه « ممتع البلاغة » ورابعاً في النوادر والأخبار والفكاهات والأسمار سمّاه « أنس الغرائب »[٥] . وقد ذكر على غلاف مخطوطة كتاب الأنساب أنه من تأليف سلَمة بن مسلّم العوتبي الصحاري ، فالمؤلف عُماني من مدينة صُحار التي كانت قصبة عُمان ، وهذا مدى علمنا بالمؤلف .

على أنني لا أوافق محقق الكتاب في جعل المؤلف متأخراً عن القرن الخامس ، اذ نحن لا نجد المؤلف ينقل عن رواة متأخرين ، وجل من روى عنهم لا يتأخر زمنهم عن القرن الرابع الهجري . والى ذلك ثمة ما يهدينا على وجه التقريب الى زمن المؤلف وهو قوله : « ثم نظمت بعد تصنيف فنون أجناس علم الأنساب أسماء ملوك الدنيا من لدن آدم عليه السلام الى سنة ثلاثمئة وخمس وأربعين من تاريخ الهجرة »[٦] ، وهذه اشارة دالة على أن المؤلف كان من أهل القرن الرابع الهجري وأنه ألّف الكتاب قريباً من منتصف المئة الرابعة ، ولو أنه عاش بعد ذلك لذكر أسماء خلفاء بني العباس وملوك الأندلس الذين جاؤوا بعد ذلك التاريخ . على أننا لا نجد في الكتاب فصلاً مستقلاً لخلفاء بني أمية أو لخلفاء بني العباس وانما جاء ذكر بعضهم في سياق شجرة الأنساب[٧] .

---

(٥) الكتاب ص١٠٢ .

(٦) الكتاب ص١١٣ .

(٧) انظر الكتاب ص١٦٣ و١٦٤ .

الكتاب

كتـاب « الأنسـاب » أو « موضّح الأنسـاب » كتاب يجمع بين الأنساب والأخبار التاريخية . وقد قدم المؤلف لكتابه بمقدمة بيّن فيها نهجه في تأليف الكتاب والداعي الى تأليفه ومكانة علم النسب وضرورة الوقوف عليـه . بدأ كتـابه بالحديث عن مبتدأ الخلق ، على غرار كثرة المؤرخين العرب القدامى ، فتحدث عن الملائكة وإبليس والجن وسكان الأرض من الجانّ قبل خلق آدم ، ثم تحدّث عن آدم ومن جاء بعده حتى بلغ إبراهيم الخليل وولده .

وبدأ بعدئذ بذكر أنسـاب قبائل العرب ، وقد وضّح لنا المصنّف نهجـه في ذكرها فقـال : « ثم أتبعت بعد ذلك أسماء الشعوب والقبـائل والأفخـاذ والبطون والفصـائل وذكر الشجرتين من القحطانية والعدنانية وافتراق كل قبيلة الى بني أبيهم ، وجعلت هذا الكتاب جامعاً كثيراً من اشتقـاق أسماء القبـائل ، قبـائل العرب في عمـائرها وأفخاذها وبطونها في جاهليتهم وإسـلامهم ، وغيرهم من الأمم . وجعلت ذلك كتاباً جامعاً لأنساب العرب ومقتصراً على عمائرها ومشهور بطونها ، وذكرت فيه شيئاً من الأخبار وشواهد من الأشعار ، ونظمت خبر كل قوم عند ذكر أنسابهم ليكون أوضح دلالة وأسهل طلبة لقارئه والناظر فيه . وكان غرضي في جميع ما اقتصصت الإيجاز والاختصـار ولو قصدت الاستقصاء لطال الكتاب ولاختلط الخفيّ بالجليّ . فمجّته الآذان وملّته النفوس . وقد نظمت نسب كل شريف ومذكور وبليغ وخطيب وشاعر من القبائل الى أن ألحقته بالفخذ الذي هـو منـه خرج ، وأوضحت نسبـه الى المـوضع الذي لا يجهـله أحد . »[٨]

(٨) المقدمة ص٧ .

بدأ حديثه عن أنساب العرب بذكر العرب العاربة عاد وثمود وهلاكهما ، وساق أخبارهما كما أوردها الأخباريون وكتب المؤرخين القدامى . ثم ذكر تدرّج أقسام القبيلة : الشّعب فالقبيلة فالعمارة فالبطن فالفخذ فالفصيلة ، وجاء بأمثلة توضّحها .

ثم انتقل الى ذكر الأنساب المعدّية وقدّمها على أنساب القحطانية « لأن منهم نبيّنا محمداً ﷺ ، فلم أر أن أذكر نسبه بعد أنساب ولد يعرب بن قحطان ، كما فعل بعض أهل النسب . »[9] ، وهو يمزج دائماً الأنساب بالأخبار ، وبعد صفحات عاد فذكر سبب تقديمه نسب معدّ لكون الرسول عليه السلام منها[10] . لكنه مع ذلك لم يبدأ بذكر أنساب معّد الاّ بعد أن ساق جملة من الأخبار حول العرب العاربة والعرب المتعربة ، فالعاربة عنده هم اليمن ، وقحطان أول من نطق بالعربية بعد تبلبل الألسنة ، وسائر العرب متعربة[11] .

ولما بدأ بذكر الأنساب العدنانية عاد مرة أخرى الى بيان نهجه في الكتاب فقال : « وسميته كتاب موضّح الأنساب لما أوضحت فيه من مشكل ما التبس من الأنساب واختلف فيه علماء جهابذة النّسّاب ... »[12]

على أنه قبل أن يشرع في ذكر الأنساب العدنانية أورد باباً سمّاه : باب تشعّب ولد نوح عليه السلام ، وبدأه ببيان ما أخذه على نفسه من عدم ذكر أنساب ما فوق قحطان وعدنان ، للأحاديث التي رويت عن

---

(٩) الكتاب ص١٠٠ .
(١٠) الكتاب ص١٠٤ .
(١١) الكتاب ص١٠٥ .
(١٢) الكتاب ص١١١ .

النبي ﷺ وأصحابه بهذا الصدد . وعاد فكرّر الحديث عن أخبار الأنبياء وقبائل العرب البائدة والمتماردة ، وبدلاً من أن يسوق الأنساب العدنانية – على ما وعدنا به – ذكر قحطان وولده ومن تفرع منه من قبائل اليمن ، ثم عاد مرة أخرى الى أخبار الأنبياء : ابراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ...

ثم ذكر اختلاف النسّابين فيمن كان بين عدنان وإسماعيل ، ويستشهد بما روي عن الرسول عليه السلام من أنه كان إذا انتسب الى معدّ بن عدنان أمسك ثم قال : كذب النسّابون .

ويعود مرة ثالثة الى شرح نهجه في الكتاب ، وقد قارب ثلثه ، فيقول : « فأول ما أبدأ به من معرفة الأنساب ذكر شجرة الأنساب الممثلة في هذا الكتاب التي هي معرفة أنساب قبائل العرب وبيان الأقرب من ذلك والأبعد ، ومعرفة اجتماعهم وتفرّقهم ، ثم أبدأ بعد ذلك باشتقاق أسمائهم ، وما ضمّنته هذا الكتاب من ذكر أنساب العرب وشرح ذلك من الأخبار وشواهد الأشعار ، وما حشوته من اشتقاق أسماء قبائلهم ورجالهم وذكر أخبارهم وأيامهم . »[١٣]

ويبدو أن المؤلف أُنسي ما وعدنا به من البدء بالأنساب العدنانية فأخذ يسوق أخبار اليمنيين وأنسابهم وفصّل القول في نسب حمير والتبابعة .

ثم انتقل الى بيان أنساب ربيعة بن نزار ، وكان حقه أن يبدأ بأنساب مضر ، فذكر القبائل الربعية وبطونها المشهورة والبارزين من رجالها ، وذكر الى ذلك أخباراً متفرقة عن رجالها ووقائعها .

ولما فرغ من ربيعة انتقل الى إياد بن نزار فذكر نسبها على وجه الإيجاز ، وبعد ذلك نجد عبارة غريبة للمؤلف هذا نصها : « تمّ كتاب

(١٣) الكتاب ص١٣٢ .

الأنساب بحمد الله ومنّه وصلواته على خير خلقه محمد النبي وآله وصحبه وسلّم ، ويتلوه إن شاء الله كتاب الشجرة في الأنساب ... »[١٤] ، فكيف تمّ كتاب الأنساب ولم يذكر شيئاً من أنساب مضر والقحطانية وإنما ذكر أنساب ربيعة وإياد فقط ؟ !

أما الشجرة في الأنساب التي أثبتها المؤلف فأمرها عجيب ، فهو لم يثبت اسماء رجال الأسرة على طريقة التسلسل والتفريع من الأب الى الأبناء وانما ذكر أسماء متفرقة تنتمي الى أصول شتّى ، وهذه الأسماء بعضها يرجع الى البيت الأموي وبعضها الآخر الى البيت الهاشمي وبعض منها يرجع الى أصول يمانية ، وبعض من ذكرهم من الرجال لا نعلم عنهم شيئاً ، فلم أعرف ما قصده بهذه الشجرة ولم تتضح لي فائدتها .

وبعد أن فرغ من الشجرة أورد نسب النبي ﷺ وانساباً متفرقة لا صلة بينها لقبائل وأشخاص مختلفين .

ثم عقد بعد ذلك فصلاً لأنساب قحطان فذكر اختلاف النسابين في نسبه ، ثم أثبت أنساب القبائل المتفرّعة من قحطان ، وفصّل القول خاصة في أنساب الحميريين وأخبار ملوكهم وتبابعتهم ، وهو هنا ينقل جلّ مروياته عن عبيد بن شرية ، ويتابع نسّابي اليمن في جعل قضاعة تنتمي الى حمير .

ولما فرغ من أنساب حمير انتقل الى الجذم الثاني وهو كهلان فذكر أنسابها والقبائل المتفرّعة منها ، ومزج كعادته الأنساب بالأخبار والأشعار ، وحرص على ذكر أسماء الرجال المشهورين في كل قبيلة ، وضمن الحديث عن هؤلاء ساق أخبار بعض الوقائع كالقادسية وجلولاء ونهاوند وفتح

---

(١٤) الكتاب ص١٦٣ .

تستر ، ثم عاد إلى سرد أنساب القحطانية ، وحين بلغ نسب كندة فصّل القول في أخبار امرئ القيس وروى جانباً من أشعاره . وبفراغه من كندة ينتهي الكتاب .

مصادر الكتاب وقيمته

لم يذكر المؤلف المصادر التي استقى منها مادة كتابه ولكنه أسند بعض الأخبار الى رواتها ، وممن ذكرهم محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام وابن جرير الطبري وابن إسحاق وابن قتيبة وابن دريد ومحمد بن حبيب وعبيد بن شرية وأبو عبيدة معمر بن المثنى ووهب بن منبّه . ويلفت النظر هنا أنه لم ينقل عن مؤلفين عاشوا بعد القرن الرابع . وقد استقى مادة كتابه من مؤلفات هؤلاء الذين ذكرهم وإن لم يذكر أسماء كتبهم ، ومنها كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي، وكتاب أخبار عبيد بن شرية، وكتاب الاشتقاق لابن دريد ، وتاريخ ابن جرير الطبري ، وسيرة ابن إسحاق وكتاب المعارف لابن قتيبة . وفي بعض نقوله يكتفي بقوله : قال بعض أهل النسب[١٥] . وهو لم يستق أنسابه من جمهرة ابن الكلبي وحدها لأنه فصّل في ذكر بعض الأنساب الربعية واليمنية تفصيلاً يخالف ما في الجمهرة .

والكتاب – على ما تبين لنا من عرض محتواه – مضطرب التأليف ، مختلّ النهج ، يكثر فيه التكرار وتتداخل فيه الأنساب بالأخبار التاريخية ، وفيه نقص واضح هو عدم ذكر أنساب مضر وما يتفرّع عنها من القبائل . وقد حرص على بيان اشتقاق أسماء القبائل استناداً الى كتاب الاشتقاق لابن دريد ، وتوسع في بيان الأنساب القحطانية . على أنني لم أتحقق من صحة بعض ما أثبته منها ، فثمة أسماء لأعلام لم أجد لها ذكراً في كتب

(١٥) انظر مثلاً ص١٤٥ .

الأنساب . ومنها على سبيل المثال في أنساب ربيعة : الفضل بن خالد[١٦] ، وقد ساق نسبه الى اللبوء بن عبد القيس ، ويذكر المؤلف أنه « كان شيخ أهل عصره وأشجع أهل زمانه ، وكانت أكثر عبد القيس تصدر عن أمره ولا تتجاسر على مخالفته » ، ولم أجد للفضل هذا ذكراً لا في جمهرة النسب لابن الكلبي ولا في كتاب جمهرة الأنساب لابن حزم (ت ٤٥٦هـ) ، فهل كان من الرجال الذين وجدوا بعد القرن الثالث أو أن هناك خطأً في ضبط اسمه لأن الكتاب حافل بالأخطاء الطباعية ، ونسب اللبوء لم تفصله كتب الأنساب التي ذكرناها قبلُ ، أما المؤلف فقد ذكر أنهم بالموصل وتوّج كثير ، وجعل منهم زياداً الأعجم ، والصحيح أنه كان مولى لعبد القيس[١٧] . وهذا التفصيل في الأنساب الذي لم نجده في كتب النسب المشهورة يجعلنا نرجح أنه وقف على كتب في الأنساب غير الكتب التي ذكرناها ، ولكنه لم يذكر أسماءها ، وقيمة الكتاب تكمن في هذه الزيادات التي خلت منها كتب الأنساب القديمة .

أسلوب المؤلف أدنى الى الضعف ، والأشعار التي أوردها في مقدمته ركيكة ولهذا رجح المحقق أن المؤلف متأخر في الزمن .

طبعت الكتاب وزارة التراث القومي في سلطنة عمان سنة ١٩٨١م ، ولكن لم يُذكر اسم محققه ، وقد جاءت الطبعة خلواً من الفهارس ، حافلة بالأخطاء الطباعية وألوان التصحيف والتحريف ، مما ينتقص من قيمته ومن فائدته للباحثين في الأنساب .

بهذا نفرغ من كتب الأنساب العامة وسنشرع بعون الله في الجزء القادم في الحديث عن كتب الأنساب الخاصة بقبيلة واحدة .

---

(١٦) ص١٤٧ .

(١٧) انظر نسبه في الأغاني ١٥/٣٨٠ .

كتب الأنساب العربية

(٧)

الدكتور احسان النص

ثانياً – الكتب المفردة لنسب إحدىٰ القبائل

• • •

كتاب حَذْف من نسب قريش

لمؤرِّج بن عمرو السَّدُوسيّ

(... – ١٩٥هـ)

إن أوّل من أفرد كتاباً لنسب إحدىٰ القبائل – فيما نعلم – هو ابن شهاب الزُهري محمد بن مُسلِم (ت ١٢٤هـ)[1] ، فقد ذُكر لنا أنه ألّف كتاباً في أنساب قومه قريش ، ولكنه لم يتمّه ولم يصل إلينا . وقد نقل عنه المصعب الزبيري في أنساب معدّ بن عدنان ، على ما سأبيّن فيما يأتي .

وممّن ألّف في أنساب القبائل المفردة كذلك أبو اليقظان سُحيم بن

---

(١) ترجمته في وفيات الأعيان ١٧٧/٤ ، وتذكرة الحفّاظ للذهبي ١٠٨/١ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٤٤٥/٩ .

حَفص (ت ١٩٠هـ)[٢] فقد ذُكرَ لنا أنه ألف كتاباً في نسب خِندف وأخبارها .

على أن أول كتاب وصل الينا في أنساب القبائل المفردة هو كتاب « حذف من نسب قريش » لمؤرّج بن عمرو السَّدُوسي .

المؤلّف*

هو مُؤرّج بن عمرو بن الحارث ... بن سَدُوس ، من بني شيبان بن ذُهل من بكر بن وائل ، وكنيته أبو فيد ، ويقال إن اسمه مَرثَد ومؤرّج لقب له ، وهو مشتق من أرّج بينِ القوم أي أغرى بينهم . وقد نقل عنه قوله : « اسمي وكنيتي غريبان ، اسمي مؤرّج ، والعرب تقول : أرّجت بين القوم وأرّشت إذا حرّشت ، وأنا أبو فَيد ، والفيد ورد الزعفران »[٣] .

لا نعلم سَنة ولادته وإنما نعلم أنه قدم من البادية وسكن البصرة ، وفيها تتلمذ لطائفة من علماء اللغة والنحو والحديث منهم الخليل بن أحمد ، وأبو زيد الأنصاري ، وقد روي عن مؤرج قوله : « قدمت من البادية ولا معرفة لي بالقياس في العربية ، وانما كانت معرفتي قريحة . وأول ما تعلمت القياس في حلقة أبي زيد الأنصاري بالبصرة . »[٤] وسمع الحديث

(٢) ترجمته وأخباره في الفهرست لابن النديم ص١٣٨ ؛ وتاريخ الاسلام للذهبي ١٣٦/٥ ؛ ومعجم الأدباء لياقوت ١٨٠/١١ . وفي البيان والتبيين للجاحظ طائفة من أخباره في مواضع متفرقة .

(*) من مصادر ترجمته : المعارف لابن قتيبة ص٥٤٣ ؛ جمهرة الأنساب لابن حزم ص٣١٨ ؛ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢٥٨/١٣ ؛ معجم الأدباء لياقوت ١٩٦/٩ ؛ وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٠٤/٥ ؛ انباه الرواة للقفطي ٣٢٧/٣ ؛ بغية الوعاة للسيوطي ص٤٠٠ .

(٣) تاريخ بغداد ٢٥٨/١٣ ؛ وفيات الأعيان ٣٠٧/٥ .

(٤) وفيات الأعيان ٣٠٤/٥ .

من شُعبة بن الحجّاج وأبي عمرو بن العَلاء ، وروىٰ عنه من أهل العراق أحمد بن محمد اليزيدي .

ارتحل مع المأمون من العراق إلىٰ خراسـان ، ولا نعلم سنة ارتحاله معه ، وقد ولّىٰ الرشيد ابنه المأمون خراسان سنة ١٨٢هـ فينبغي أن يكون ارتحاله إلىٰ خراسان في تلك السنة أو قريباً منها . وقد استقر أول الأمر بمدينة مرو ثم قدم نيسابور وأقام بها وكتب عن مشايخها ، ثم عاد بعد حين إلىٰ البصرة وفيها توفي سنة ١٩٥هـ . وثمة خبر يجعل وفاته متأخرة عن هذا التاريخ ، فقد ذكر ابن خلّكان أنه وجد في أول كتاب الأنوار خبراً مروياً عن أبي علي إسماعيل بن يحيىٰ بن المبارك اليزيدي ونصـه : « قرأنا هذا الكتاب – أي كتاب الأنوار – على المؤرّج بجرجان ثم قدمنا مع المأمون العراق سنة أربع ومئتين ، فخرج المؤرّج إلىٰ البصرة ثم مات بها . »(٥) وهذا الخبر يناقض ما ذهب إليه جُلّ من ترجموا لمؤرّج من أن وفاته كانت سنة ١٩٥هـ ، كما أنه يناقض الأخبار التاريخية ، فقد قدم المأمون العراق قبل توليه الخلافة ثم قدم العراق بعد أن تولاها ، وقد تولىٰ المأمون الخلافة بعد مقتل أخيه الأمين وقدم إلىٰ العراق سنة ١٩٨هـ ، وينبغي أن يكون مؤرّج قد قدم العراق قبل مقدم المأمون إليها إذا صحّ – وهو المرجح – أن وفاته كانت سنة ١٩٥هـ .

إلىٰ جانب علم مؤرّج بالعربيـة والحديث كان عالماً بالقرآن والأنساب ، وكان إلى ذلك كله يجيد نظم الشعر ، وقد روى ابن خلكان جانباً من أشعاره ومنها هذان البيتان :

رُوّعت بـالبَيْن حتى مـاأُراع له ... وبـالمصـائب من أهلي وجيراني

---

(٥) وفيات الأعيان ٣٠٧/٥ .

لم يترك الدهرُ لي عِلقاً أضنّ به إلاّ اصطفاه بنأي أو بهجرانِ

وقد علّق ابن المنجّم عليهما بقوله : « وهذان البيتان من أملح ما قيل في معناهما »(٦) وقد شهد العلماء لمؤرّج بأنه ممّن يوثق بعلمه ، روىٰ ابن خلّكان أن الأخفش سعيد بن مسعدة دخل على محمد بن المهلّب فقال له محمد : من أين جئت ؟ فقال الأخفش : من عند القاضي يحيىٰ بن أكثم . قال : فما جرىٰ عنده ؟ قال : سألني عن الثقة المأمون المقدّم من أصحاب الخليل بن أحمد ، من هو ؟ ومن الذي كان يوثق بعلمه ؟ فقلت : النَضْر بن شُمَيل وسيبويه ومُؤرّج السدوسي . »(٧) وأورد ياقوت خبراً جاء فيه : « يقال إن الأصمعي كان يحفظ ثلث اللغة ، وكان الخليل يحفظ ثلث اللغة ، وكان مؤرّج يحفظ الثلثين ، وكان أبو مالك يحفظ اللغة كلها . »(٨) .

للمؤلّف طائفة من المصنّفات ذكرتها المصادر القديمة منها : كتاب « الأنواء » وكتاب « غريب القرآن » وكتاب « جماهير القبائل » وكتاب « المعاني » وكتاب « حذف من نسب قريش » الذي سأتحدث عنه .

ذكر الأستاذ صلاح الدين المنجّد في مقدمة كتاب « حذف من نسب قريش » الذي قام بتحقيقه ونشره عام ١٩٧٦ أنه عثر على كتاب آخر لمؤرّج لم تذكره المصادر وهو كتاب « الأمثال » ، ومخطوطته محفوظة بمكتبة الاسكوريال . على أن المرحوم الأستاذ خير الدين الزركلي قد ذكر هذا الكتاب في جملة مؤلفات مؤرّج في موسوعة « الأعلام » وأشار الىٰ أنه

(٦) وفيات الأعيان ٣٠٥/٥ .

(٧) وفيات الأعيان ٣٠٤/٥ .

(٨) معجم الأدباء ١٩٧/١٩ . وأبو مالك هو عمرو بن كِركرة (انظر ترجمته في معجم الأدباء لياقوت ١٣٧/١٦) .

مخطوط ، وقد نشر كتاب الأعلام للمرة الأولى عام ١٩٥٩م .

الكتاب

سمّى المؤلف كتابه : « حذف من نسب قريش » ، وهو عنوان غير مألوف أراد به : اختصار نسب قريش ، وعلّل هذه التسمية بقوله : « هذا كتاب حذف من النسب ، ولو كتبت كتاب استئصال لشغلتني سيرة النبي ﷺ وسيرة بني العبّاس دهراً . »(٩)

والمخطوطة التي انتهت إلينا هي برواية أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي عن أبي جعفر أحمد بن محمد اليزيدي عن مؤرّج بن عمرو السدوسي .

ومحمد بن العبّاس اليزيدي (٢٢٨ - ٣١٠هـ) أبو عبد الله هو من علماء العربية البارزين ببغداد ، عمل في أواخر أيامه مؤدّباً لأولاد المقتدر العباسي ، قيل له اليزيدي لأن جدّه يحيى بن المبارك (١٣٨ - ٢٠٢هـ) صحب يزيد بن منصور الحميري ، خال المهدي ، فنُسب اليه كما نسب إليه أبناؤه وأحفاده . ولليزيدي مؤلفات في اللغة والأدب منها : « الأمالي » و« مناقب بني العَباس » و« مختصر النحو » و« أخبار اليزيديين »(١٠) .

أما أبو جعفر أحمد بن محمد اليزيدي (توفي قبل سنة ٢٦٠هـ) فهو عم محمد بن العباس وكان من علماء النحو وأديباً شاعراً ، له مدائح في المأمون والمعتصم . قال عنه الزُبيدي إنه أمثل أهل بيته في العلم ، ونقل السيوطي عن ابن عساكر أنه كان من ندماء المأمون ، وقد قدم دمشق وتوجّه غازياً للروم(١١) .

(٩) الكتاب ص٢ .

(١٠) وفيات الأعيان ٣٣٧/٤ ؛ بغية الوعاة ص٥١ .

(١١) بغية الوعاة ص١٦٩ .

لم يقدّم المؤلف لكتابه بمقدمة وانما اكتفىٰ بالعبارة الموجزة التي علل بها تسمية كتابه : حذف من نسب قريش ، وبدأ حديثه عن قريش بذكر ولد عبد مناف بن قُصي ، متبعاً أسلوب الجملة الفعلية : ولدَ عبد مناف بن قصي هاشماً وَالمطّلبَ وعبد شمس . ثم ذكر الخلفاء من بني العباس ـ وكان المؤلف معاصراً لهم ـ ثم ذكر أبا طالب وولده وبني المطّلب ، وحلفاء بني هاشم ، ثم ذكر بني عبد شمس بن عبد مناف وحلفاءهم ، ثم ولد عبد العُزّى بن قُصي ، ثم ولد زُهرة بن كلاب ، ثم بني مخزوم ، ثم بني تَيْم بن مُرّة ، واستمرّ في تعداد بطون قريش حتىٰ استوفاها .

على أن المؤلف لم يلتزم استيفاء ذكر جميع من ولدتهم قريش ، وانما اقتصر على المشهورين منهم . وعلى ما في كتابه من إيجاز فإنه لم يكتف بذكر الأنساب وانما أضاف إليها طائفة من الأخبار والأشعار المتصلة بها .

لا يذكر المؤلف المصادر التي استقى منها مادة كتابه ، وقد ألفه في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، وأرجح أنه اتصل بنسّابي قريش الذين عاصرهم وأخذ عنهم ، وفي الكتاب ذكر لبعض من أخذ عنهم ، وعندما يأخذ عن أحدهم يذكر عبارة : قال مؤرّج ، ويتبعها بقوله : حدثنا أو حدّثني أو سمعت . وممن أخذ عنهم على سبيل المثال : سفيان بن عُيينة الهلالي الكوفي (١٠٧ ــ ١٩٨هـ)[١٢] ، وسعيد ابن سماك بن حرب ، وجعفر بن سليمان . ويحتمل أن يكون المؤلف قد وقف على كتاب ابن شهاب الزهري في أنساب قريش .

والكتاب ـ على إيجازه ـ له قيمة كبيرة لكونه أول كتاب وصلنا في أنساب قريش ، ولأن المؤلف عني بضبط أسماء المشهورين في قريش .

---

(١٢) انظر ص٨ من الكتاب .

حقق الكتاب الأستاذ صلاح الدين المنجد ونشره في بيروت سنة ١٩٧٦م معتمداً مخطوطة كانت محفوظة في زاوية الناصري بمدينة تامكرود (جنوبي المغرب) ، وقد أطلعه عليها الأستاذ إبراهيم الكتاني . وناسخ المخطوطة هو أبو إسحاق النَجيرمي ابراهيم بن عبد الله بن محمد النحويّ الشاعر الورّاق ، وكان من أصحاب الزجّاج النحوي وولي الكتابة لكافور الإخشيدي ، توفي نحو سنة ٣٥٥هـ . ولم يذكر في المخطوطة تاريخ نسخها .

وهذه النسخة هي الوحيدة التي بقيت لنا من الكتاب ، وقد ضبط المحقق الكتاب بالشكل ضبطاً جيداً ووضع له طائفة من الحواشي والتعليقات أضاف إليها الأستاذ محمود شاكر تعليقات أخرى مفيدة .

وفي الصفحة ١٠٥ من الكتاب وضع المحقق العنوان الآتي : « ومن لم يَسْلَم من ولد عبد المطلب . » ويبدو لي أن صوابه : من لم يُسلِم ، والمراد به أبو طالب ، عم الرسول عليه السلام وحده ، فقد حامىٰ عن الرسول لكنه لم يعتنق الاسلام . وليس العنوان شاملاً لكل من تحدث عنهم بعد أبي طالب .

• • •

كتاب
نسب قريش

لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله الزُبيري

(١٥٦ - ٢٣٦هـ)

المؤلّف*

هو أبو عبد الله المُصْعب بن عبد الله بن المصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزُبير . ولد بالمدينة المنورة سنة ١٥٦هـ ، وتتلمذ فيها لطائفة من الشيوخ أشهرهم مالك بن أنس ، ثم انتقل الى بغداد وظلّ فيها حتى وفاته سنة ٢٣٦هـ عن ثمانين عاماً(١) .

كان المصعب الزبيري عالماً بالأنساب ، وبأنساب قريش خاصة ، وأخبارياً فصيحاً ، وقد أخذ عنه في النسب طائفة من العلماء والمؤرخين منهم الطبري والبلاذري وابن عبد البر . على أن أشهر تلاميذه الذين أخذوا

(*) من مصادر ترجمته : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١٢/١٣ ؛ الفهرست لابن النديم ص ١١٠ طبعة ليبسك ؛ شذرات الذهب لابن العماد ٨٦/٢ ؛ طبقات ابن سعد ٣٢٥/٥ ؛ سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٠/١١ ؛ معجم الشعراء للمرزباني ص٤٠٢ ؛ تهذيب التهذيب لابن حجر ١٦٢/١٠ ؛ مقدمة كتاب نسب قريش .

(١) ثمة خلاف بين من ترجموا للمؤلف حول سنتي ولادته ووفاته ، فابن النديم يخالف الخطيب البغدادي فيجعل وفاته سنة ٢٣٣هـ ويذكر أنه توفي وله ست وتسعون سنة ، فتكون سنة ولادته على هذا ١٣٧هـ ، ولكن هذا لا يصح لأن المصعب رثى اسحق بن إبراهيم الموصلي وقد توفي سنة ٢٣٥ ، فينبغي أن تكون وفاة المصعب بعد هذا التاريخ . وما أثبته ابن الخطيب أصح .

عنه الأنساب ابن أخيه الزُبير بن أبي بكر ، المعروف بالزبير بن بكّار (ت ٢٥٦هـ) في كتابه « جمهرة نسب قريش وأخبارها » ، وقد قال فيه : « كان عمّي وجه قريش مروءةً وعلماً وشرفاً وبياناً وقدراً وجاهاً ، وكان نسّابة قريش »[٢] . وحين ذهب أحد جلساء يحيىٰ بن مَعين إلىٰ أن المصعب أخذ النسب عن الواقدي أجابه ابن معين : الزبيري عالم بالنسب[٣] . وجعله العباس بن مصعب بن بشر أفقه قرشي في النسب[٤] . وكان ثمرة علمه بنسب قريش الكتاب الذي نتحدث عنه ، ومن نتاج علمه في الأنساب عامة « كتاب النسب الكبير » الذي ذكره ابن النديم .

وإلىٰ جانب علمه في الأنساب كان المصعب من رواة الحديث الثقات ، وثّقه طائفة من العلماء منهم أحمد بن حنبل ويحيىٰ بن معين وأبو الحسن الدارقُطني[٥] . حدّث ببغداد عن مالك بن أنس (ت١٧٩هـ) والضحاك بن عثمان وعبد العزيز الدَراوَرْدي وغيرهم[٦] . وكتب عنه يحيىٰ بن معين وأبو خيثمة وروىٰ عنه أحمد بن أبي خيثمة

---

(٢) تاريخ بغداد ١١٢/١٣ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق . يحيىٰ بن معين (١٥٨ – ٢٣٣هـ) من أئمة الحديث المشهورين والمؤرخين لرجاله ، أطلق عليه الذهبي نعت سيّد الحفّاظ وقال فيه ابن حنبل : أعلمنا بالرجال . الدارقطني علي بن عمر (٣٠٦ – ٣٨٥هـ) الشافعي إمام عصره في الحديث وأول من صنف في القراءات ، من مؤلفاته كتاب « السنن » .

(٦) الضحّاك بن عثمان (ت ١٨٠هـ) من أبرز أصحاب الإمام مالك بن أنس وكان من علماء قريش بأخبار العرب وأيامهم . عبد العزيز الدراوردي (ت ١٨٦هـ) محدّث من أهل المدينة روىٰ عنه خلق كثير .

وإبراهيم الحربي وصالح جَزرة وأبو القاسم البغوي[٧] وآخرون . ولكن لم يبلغنا أنَ له مصنَفاً في الحديث .

وفضلاً عن علم المصعب الزبيري بالأنساب والحديث كان شاعراً وناقداً أديباً ذا حسّ نام ، روىٰ له أبو الفرج الأصفهاني قصيدة مطوّلة في رثاء اسحاق بن إبراهيم الموصلي مطلعها :

أتدري لمن تبكي العيون الذوارفُ وينهـلّ منهـا واكفٌ ثم واكفُ[٨]

كما أورد أبو الفرج جانباً من نظراته النقدية ، وهي تنمّ عن ذوق أدبي مرهف ، من ذلك نظرته الأدبية المفصلة في شعر عمر بن أبي ربيعة التي أثبتها أبو الفرج بتمامها في ترجمة عمر بن أبي ربيعة والتي عدّد فيها جوانب الابتكار في شعره[٩] . ولم نجد لأي من نقاد الشعر القدامىٰ رأياً مفصّلاً دقيقاً في شعر ابن ربيعة كالذي أتىٰ به المصعب الزبيري ، ومن نظراته الأدبية كذلك شهادته لأبي العتاهية بأنه أشعر الناس لأبيات قالها في الزهد[١٠] . وكذلك شهـادتـه في عبيـد الله بن قيس الرقيـات بأنه شـاعر قريش في الإسلام[١١] .

---

(٧) إبراهيم بن إسحق الحربي البغدادي (ت٢٨٥هـ) من حُفّاظ الحديث المشهورين ، له تصـانيف كثيرة . صالح جزَرة (ت٢٩٣هـ) ، من أئمة المحدّثين ، ولد بالكوفة وسكن بغداد ولم يكن في العراق أحفظ منه ، استقرّ آخر أمره في بخارىٰ وتوفي بها . أبو القاسم البغوي عبد الله بن محمد (ت ٣١٧هـ) البغدادي محدّث العراق في عصره ، له مصنفات عدّة في الحديث .

(٨) الأغاني ٤٣٢/٥ .

(٩) انظر : الأغاني ١٢٠/١ .

(١٠) انظر : الأغاني ١٠/٤ .

(١١) الأغاني ٧٥/٥ .

الكتاب

الكتاب وقف على نسب قبيلة قريش ، وواضح أن الدافع إلىٰ تأليف الكتاب هو منزلة قبيلة قريش بين قبائل العرب لمكان النبي ﷺ فيها ، وثمة دافع آخر هو كون المؤلف قرشياً من آل الزبير بن العوّام ، فهو معنيّ بنسب قبيلته بحكم الانتماء ، وكان في الوقت عينه من علماء النسب المعدودين في عصره ، فكل هذه الأمور تفسّر انصرافه الىٰ تأليف كتاب في نسب قريش خاصة .

لم يقدّم المؤلف لكتابه بمقدمة يوضّح لنا فيها الداعي الىٰ تأليف الكتاب ونهجه فيه ، وانما بدأ كتابه مباشرة بذكر نسب معدّ بن عدنان ، والمخطوطة التي انتهت إلينا تبدأ بذكر سند الرواية وهو كما يأتي :

« أخبرنا محمد بن معاوية بن عبد الرحمن ... بن هشام بن عبد الملك بن مروان – رحمهم الله – قال : حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن جَميل الأندلسي بمصرَ ، قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب بن شَدّاد النَّسائيّ البغدادي المعروف بابن أبي خَيْثَمة ، قال : حدّثنا أبو عبد الله المُصْعَب بن عبد الله بن المصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزُبير بن العوّام ... وقرأ عليّ . »

فالنسخة التي وصلتنا من الكتاب بروايته الأندلسية هي برواية محمد بن معاوية عن إبراهيم بن موسى بن جميل عن أبي خيثمة عن المصعب الزبيري .

وأحدث الرواة هو أبو بكر محمد بن معاوية الذي ينتهي نسبه إلىٰ الخليفة هشام بن عبد الملك ويعرف بابن الأحمر ، قدم مصر من الأندلس وأقام بالمشرق زهاء ثلاثين عاماً ثم قفل عائداً الىٰ الأندلس وتوفي بقرطبة سنة

٣٥٨هـ في خلافة الحكم الثاني المستنصر بالله .

والراوية الثاني هو أبو إسحق إبراهيم بن موسىٰ بن جَميل ، مولىٰ بني أمية في الأندلس ، أصله من كورة تدمير (مُرسية) ثم سافر إلىٰ المشرق وتتلمذ لابن أبي خيثمة واستقر بالقاهرة حتىٰ وفاته سنة ٣٠٠هـ . وبمصر أخذ عنه ابن الأحمر كتاب نسب قريش .

والراوية الثالث هو أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب النَّسائي ، وهو أشهر تلاميذ المصعب الزبيري ، وكان فقيهاً ومحدّثاً وأخبارياً ، له طائفة من المصنفات أشهرها كتاب التاريخ ، توفي سنة ٢٧٩هـ .

وقد وصل الينا الكتاب في اثني عشر جزءاً ، ويبدو لي أن هذا التقسيم منشؤه المؤلف نفسه ، فقد كان يقرأ كتابه على تلميذه ابن أبي خيثمة ثم يقف في موضع من المواضع ، وقد يكون ذلك في سياقة نسب بيت من بيوت قريش ، فلا التزام بتقسيم أحياء قريش وتخصيص كل جزء بحيّ منها ، فإذا توقف عن القراءة جُعل ما قرأه جزءاً . ولهذا لم تكن أجزاء الكتاب متساوية في حجمها ، ولهذا أيضاً كان كل جزء يبدأ بذكر السند نفسه : محمد بن معاوية ، فابن جميل ، فابن أبي خيثمة ، فالمصعب . وكان ابن أبي خيثمة يقرأ على المصعب تارة وتارة أخرىٰ يقرأ المصعب قطعة من الكتاب ثم يقرؤها ابن أبي خيثمة عليه .

والمنهج الذي سار عليه المصنف هو الذي اتبعه معاصره ابن هشام الكلبي في كتابه جمهرة النسب ، وهو تفريع الأنساب من أصولها : يذكر الأب ثم يذكر أولاده متبعا أسلوب الجملة الفعلية مثال : « ولد عدنان بن أُدد معدّاً والحارثَ وهو عك ، وأمهما معانة بنت لهم ... »[١٢] .

---

(١٢) الكتاب ص ٥ .

وقد بدأ كتابه بذكر نسب معدّ بن عدنان (عن الزهري) ثم ذكر ابني معدّ : نزاراً وقضاعة . وقضاعة عنده أخو نزار ، ثم أبناء نزار حتىٰ انتهىٰ إلىٰ فِهر بن مالك بن النَضر بن كنانة ، وفهر هو قريش « ومن لم يلد فهر فليس من قريش »[١٣] ، ثم أخذ يفرّع بطون قريش ويذكر أنسابها بادئاً بأنساب آل البيت : ولد عبد الله بن عبد المطلب ، لمكان الرسول عليه السلام فيهم . ثم ولد العباس بن عبد المطلب فولد علي بن أبي طالب فسائر بطون قريش .

وحديث المؤلف عن بطون قريش متوازن بوجه عام ، ولكنه فصّل القول شيئاً ما في أنساب آل البيت والأسرتين العباسية والأموية ، ولم يحمله انتسابه إلىٰ آل الزبير علىٰ تفصيل القول في أنسابهم ، علىٰ نقيض ما صنعه ابن أخيه الزبير بن بكار في كتابه « نسب قريش » .

ويمكن القول إن الإيجاز في ذكر الأنساب هو السمة البارزة في الكتاب . ومع ذلك فقد استوفىٰ بيان هذه الأنساب استيفاءً يتناسب مع حجم الكتاب ، والكتاب يشتمل فضلاً عن الأنساب علىٰ طائفة من الأخبار والأشعار . ولهذا الكتاب قيمة جليلة في كونه من أفضل ما انتهى إلينا من الكتب التي تناولت نسب قريش ، وتتجلى من خلاله سعة معرفة المصعب الزبيري بأنساب قبيلته وأخبارها .

يسوق المصنف الأنساب والأخبار مسندة تارة إلىٰ رواتها ، وتارة أخرىٰ تذكر منسوبة إليه مباشرة ، وهذا يدل على سعة اطلاعه وحفظه ومعرفته بالأنساب القرشية . وقد يكون معاصره ابن الكلبي أوسع اطلاعاً على الأنساب عامة ، أما في الأنساب القرشية فالمصعب كان أوسع اطلاعاً

(١٣) الكتاب ص ١٢ .

من ابن الكلبي . وممّن نقل عنهم طائفة من الأنساب والأخبار ابن شهاب الزهري لأن المصعب ولد بعد وفاته ، ومن هذا نستدل على أن المؤلف قد رجع إلىٰ بعض المدوّنات النسبية ، وليس كل ما ذكره في كتابه من حفظه وقد ذكرت آنفاً أن للزهري كتاباً في نسب قريش . وهو يروي بعض أخباره عن أشخاص لم يسمّهم وإنما يذكر عبارة : وذُكر لي ، أو : وذُكر عن فلان . ويروي طائفة أخرىٰ من الأخبار منسوبة إلىٰ رواتها ومنهم : هشام بن عروة ، وموسىٰ بن عقبة ، ومالك بن أنس ، وأبو الزناد ، وأبو هريرة[١٥] .

وممن لقيهم المؤلف وحدث عنهم عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير[١٦] ، وسليمان بن عياش السعدي[١٧] .

وفي سياقه ذكر الأنساب يحرص المؤلف على ذكر الأمهات . وكتابه يشتمل على شيء من الشعر المستشهد به . وتغلب على المؤلف عصبيته العدنانية ، فعند ذكر القبائل المختلف في نسبها إلى عدنان أو قحطان نجده يرجّح انتماءها إلىٰ العدنانية ، فهو مثلاً يرجع انتماء قضاعة إلىٰ معدّ ويأتي بما يؤيد ذلك من الأخبار والأشعار ويتّهم القضاعيين بأنهم زوّروا شعراً يثبت انتماءهم إلىٰ قبيلة حمير القحطانية وهو قول الشاعر :

يـأيها الداعي ادعنا وبشّـرِ وكُن قضاعيّاً ولا تـنزّرِ

(١٤) ابن شهاب الزهري محمد بن مسلم بن عبيد الله من بني زُهرة بن كلاب من قريش ، إمام كبير من أئمة الحديث والفقه ومن أعلام التابعين ، أول من دوّن الحديث وأحد كبار الحُفاظ والفقهاء من أهل المدينة . ولد سنة ٥٨ للهجرة وتوفي سنة ١٢٤هـ .

(١٥) انظر مثلاً في الكتاب ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ .

(١٦) انظر ص ١٠٩ من الكتاب .

(١٧) انظر ص ٢٢٧ .

قضـاعـة بن مـالكٍ بن حِمـيرِ   النسبُ المعـروف غـير المنكَرِ

ثم يعقّب على ذلك بقوله : « وأشعـار قضـاعـة في الجاهلية وبعد الجاهلية تدلّ على أنّ نسبهم في مَعَدّ[١٨] » . ويتخلّل ذكر الأنساب بعض ما يتصل بها من أخبار .

حقق الكتاب المستشرق الفرنسي المعروف ليفي بروفنسال E.lévi Provençal سنة ١٩٥٣م وطبعته دار المعارف في السنة عينها ، وقد قدّم له بمقدمة وجيزة تحدّث فيها عن المؤلف وكتابه وعن مخطوطتي الكتاب ، فالأولىٰ وجدها في مكتبة الشريف محمد عبد الحيّ الكتّاني بفاس ، وهي نسخة كاملة بخط مغربي ، وهي خلو من ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ ، وقد رجّح المحقق أنها حديثة العهد لا ترقىٰ إلىٰ أقدم من القرن السابع عشر للميلاد ، والثانية هي كذلك من أصل مغربي ولا تشتمل إلا على النصف الأول من الكتاب ، وهي ليست في جودة المخطوطة الأولىٰ ، وهي محفوظة في المكتبة الوطنية بمدريد .

وقد بذل المحقق جهده في ضبط الأسماء معتمداً على طائفة من المراجع أهمها كتاب الاشتقاق لابن دريد ، كما ذيل صفحات الكتاب بطائفة من الحواشي المختصرة ترجم فيها لبعض من ورد ذكرهم في المتن ومصحّحاً بعض الأخطاء التي وردت في المخطوطتين أو في احداهما ، وأشار في بعض المواضع إلىٰ اختلاف الروايات في الأشعار .

• • •

(١٨) الكتاب ص ٥ .



ولد بالمدينة سنة ١٧٢هـ ونشأ بها ، أخذ العلم عن جماعة من الشيوخ منهم والده أبو بكر بن عبد الله ، وإبراهيم بن المنذر الحزامي ، وأبو ضَمْرة أنس بن عياض الليثي ، وسُفيان بن عُيينة ، وعلي بن محمد المدائني ، والنَّضر بن شُمَيل المازني .

قدم بغداد من الحجاز ، ودخل على محمد بن عبد الله بن طاهر ، فأكرمه وعظّمه وقال له : إن باعدت بيننا الأنساب فقد قربت بيننا الآداب ، وإن أمير المؤمنين أمرني أن أدعوك وأقلّدك القضاء . فقال له الزبير بن بَكّار : أبعدَ ما بلغت هذه السن ورويتُ أن من ولي القضاء فقد ذُبح بغير سِكّين أتولّى القضاء ! فقال له : فتلحق بأمير المؤمنين بُسرَّ من رأى . فقال له : أفعلُ . فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة تحوت ثياب وظَهر يحمله ويحمل ثَقَلَه إلى سُرَّ من رأى[١] .

ولهذا الخبر روايات أخرى ، ففي الأغاني[٢] أن الزبير بن بكّار دخل على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (لا على أخيه محمد) ، وأن الخليفة كان المتوكل أو المعتز – وراوي الخبر يرجح أنه المعتز – ، وسائر الخبر كما في معجم الأدباء . وقد نقد الأستاذ محمود شاكر هذه الرواية ، فقد ذكر وكيع في كتاب القضاة[٣] أن قاضي مكة عمّار بن أبي مالك الجشني توفي سنة احدىٰ وأربعين ومئتين فولي الزبير بن بكار قضاء مكة مكانه . ومن هنا نستدل على أن الزبير دخل بغداد في تلك السنة أو بُعيدها ثم ولي قضاء مكة سنة ٢٤٢هـ . وكان على بغداد يومئذ محمد بن عبد الله بن طاهر فقد ولاّه

---

(١) معجم الأدباء ٢١٨/٤ .

(٢) الأغاني ٤١/٩ .

(٣) أخبار القضاة ٢٦٩/١ .

الواثق أعمال أبيه عبد الله بن طاهر كلها بعد وفاته سنة ٢٣٠هـ[٤] ، وكان إليه قبل ذلك الشرطة والحرب والسواد وخراسان وأعمالها . وفي سنة ٢٣٧هـ قدم محمد بن عبد الله بن طاهر من خراسان ودخل بغداد فولي الشرطة والجزية وأعمال السّواد وخلافة أمير المؤمنين بمدينة السلام ، وكان الخليفة حينئذ المتوكل (بويع بالخلافة سنة ٢٣٢هـ وقتل سنة ٢٤٧هـ) .

وقد بقي محمد بن عبد الله في عمله هذا حتى وفاته سنة ٢٥٣هـ في زمن المعتز بالله[٥] . فلم يكن عبيد الله بن طاهر على بغداد لدىٰ قدوم الزبير إليها ، وانما ولي بغداد بعد وفاة أخيه محمد سنة ٢٥٣هـ .

وكذلك ما رجّحه راوي الخبر من أن الخليفة يومئذ كان المعتز خطأ ، والصواب أنه كان المتوكل ، أما المعتز فقد ولي الخلافة سنة ٢٥٢هـ ، وقتل سنة ٢٥٥هـ[٦] .

وقد ورد في الطبري وتابعه ابن الأثير أن محمد بن عبد الله بن طاهر توفي سنة ٢٢٦هـ ، وأن المعتصم صلّى عليه ، وهذا سهو من الطبري ، فقد أورد بعد ذلك أخبار محمد بن عبد الله : ولايته خراسان ثم بغداد ثم وفاته سنة ٢٥٣ ، ويحتمل أن يكون أحد أبناء عبد الله بن طاهر قد توفي في تلك السنة .

وفي رواية أخرىٰ لخبر قدوم الزبير إلى بغداد أوردها الخطيب البغدادي[٧] ، أن أمير المؤمنين اختارَ الزبير لتأديب ولده لا لتولي القضاء ؛

---

(٤) تاريخ الطبري ١٣١/٩ .
(٥) تاريخ الطبري ٣٧٦/٩ .
(٦) تاريخ الطبري ١١١/٩ ، تاريخ ابن الأثير ٥١٧/٦ .
(٧) تاريخ بغداد ٤٦٩/٨ .

وقد شك الأستاذ محمود شاكر – وهو على حق – في صحة هذا الخبر ، لأنه يبعد أن يكلف الزبير تأديب ولد المتوكل وقد ناهز السبعين من العمر ، بل الأدنى إلى الصواب أن يكون استدعاه ليوليه قضاء مكة بعد وفاة قاضيها عمار بن مالك .

وتتمة الخبر الأول أن الزبير دخل على الفتح بن خاقان وسأله أن يستأذن له على المتوكل في الحج . فاستأذن له وقال له :-جائزتك تلحقك ، وكتاب عهد بالقضاء على مكة لاحق به . فلما صار الى منزله جاءه خادم معه ثلاثون ألف درهم . ولما وافى مكة جاءه رسول معه عهد بقضاء مكة ، وكان ذلك سنة ٢٤٢هـ . وقد ظل على قضاء مكة حتى وفاته سنة ٢٥٦هـ ، وكانت سنة آنذاك أربعاً وثمانين سنة .

كان الزبير ثقة ثبتاً في الأخبار والحديث ، عالماً بالنسب ، عارفاً بأخبار المتقدمين ، وكان إلى ذلك شاعراً . وقد روى عنه طائفة من العلماء أبرزهم أحمد بن سليمان الطوسي ، وأحمد بن يحيى ثعلب ، واسماعيل بن العباس الورّاق ، وابن ماجة محمد بن يزيد القزويني ، ومحمد بن ادريس الرازي ، ووكيع القاضي محمد بن خلف بن حيّان ، وأبو الحسن محمد بن الحسن بن علي الأنصاري ، وابراهيم بن عبد الصمد الدمشقي ، وعبد الله بن محمد بن أبي الدنيا .

تردد الزبير على بغداد أكثر من مرة وحدّث بها ، وكانت بينه وبين اسحاق الموصلي مودّة . ومن أخبارهما أن الزبير لقي إسحاق مرة فقال له إسحاق : يا أبا عبد الله عملت كتاب النسب ، وهو كتاب أخبار . فقال : وأنت يا أبا محمد ، أيدك الله ، عملت كتاباً سميته كتاب الأغاني وهو كتاب المعاني[٨] !

(٨) تاريخ بغداد ٤٦٩/٨ ؛ وفيات الأعيان ٣١١/٢ .

ألّف الزبير أكثر من ثلاثين كتاباً ذكرها ياقوت في معجم الأدباء، وأكثرها لم يصل إلينا، منها: كتاب نسب قريش الذي سأتحدث عنه، وكتاب الموفّقيات وقد طبع بتحقيق الدكتور سامي العاني، وكتاب أخبار أبي دهبل الجمحي، وقد طبع أيضاً، وكتاب أخبار العربِ وأيامها، وكتاب الاختلاف. وله كتب في أخبار طائفة من الشعراء منهم: حسان بن ثابت، والأحوص، وعمر بن أبي ربيعة، وكثيّر، والعرجي، وحاتم الطائي، وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت، واخبار توبة بن الحمَيّر مع ليلى الأخيلية، وهُدبة بن الخَشرم، وابن هَرمة، ونُصيب، وجميل بن مَعمر.

وفي كتاب الأغاني أخبار كثيرة مروية عن الزبير بن بكار ومنها أخبار عن القرشيين وتصحيح لأنساب بعضهم ولأخبار تتصل بهم، ومن ذلك مثلاً تصحيحه خبراً فيه أن الثريا صاحبة عمر تزوجت سهيل بن عبد العزيز بن مروان والصحيح عنده أنها تزوجت سهيل بن عبد الرحمن بن عوف[٩]. ويصحح كذلك عزو بعض الشعر إلى غير قائله ومن ذلك مثلاً أبيات ينسبها الرواة إلى عمر بن أبي ربيعة وهو ينسبها إلى جعفر بن الزبير بن العوام[١٠]، وثمة أبيات ذُكر أنها لبشار وهو يصحح نسبتها ويجعلها لابن الخياط في المهدي[١١]. وله إلى ذلك آراء في نقد الشعر فهو يعيب مثلاً على ابن قيس الرقيات بيتاً له نقض صدره بعجزه[١٢]، وله كذلك تفسيرات لغوية في بعض ما روي من الشعر[١٣].

(٩) انظر: الأغاني ٢٣٣/١.
(١٠) الأغاني ٢١٤/٢.
(١١) الأغاني ١٥١/٣.
(١٢) الأغاني ٨٧/٥.
(١٣) انظر مثلاً الأغاني ٩/٩ و١٤٣/٩.

الكتاب

المطبوعة التي بين أيدينا لا تحتوي على الكتاب كاملاً وانما هي الجزء الأول من القسم الثاني من الكتاب ، ومخطوطة الكتاب التي اعتمدها المحقق محفوظة في مكتبة بودليان بأوكسفورد ، على أنها لا تشتمل على الكتاب كاملاً فأصل الكتاب مقسّم الى ثلاثة وعشرين جزءاً لم يعثر منها إلا على أحد عشرجزءاً ، من الجزء الثالث عشر إلى الجزء الثالث والعشرين . والجزء الذي بين أيدينا يبدأ بأنساب بني أسد بن عبد العُزّى وينقص من أول الجزء الثالث عشر ورقتان . أما القسم الأول من الكتاب والمشتمل على اثني عشر جزءاً فما يزال مفقوداً .

وقد قسّم المحقق الأجزاء الأحد عشر التي عُثر عليها إلى ثلاثة أجزاء نشر الجزء الأول منها فقط وهو يحتوي على الأجزاء الثالث عشر الى السابع عشر ، أي خمسة أجزاء ، ولما ينشر المحقق الجزأين الآخرين ، وأمنيتنا أن يقوم بنشرهما بعد تحقيقهما ، أمدّه الله بالقوة والعافية لينهض بهذا العبء ، فهو خير من يتولّى هذا الأمر .

حديثي هنا إذاً يتناول الجزء الأول من القسم الثاني من الكتاب .

المخطوطة التي عُثر عليها في أوكسفورد كتبها أبو العباس أحمد بن بختيار بن علي الماندائي الواسطي وفرغ من نسخها سنة سبع وأربعين وخمسمئة ببغداد . وقد نقل ابن بختيار نسخته عن نسخة أبي الفضل محمد بن ناصر السلامي البغدادي (ت ٥٥٠هـ) ، وقرأها عليه ثم عارضها بالأصل . ونسخة أبي الفضل هذه موثّقة مسندة ، فيها سماع شيوخه وسماعه عنهم ، عدة أجزائها تسعة وعشرون ولكن ابن بختيار جعلها ثلاثة وعشرين جزءاً .

وقد روى أبو الفضل بن ناصر نسخته من طريقين : الأول روايته عن ابن الطيّوري عن السّـلماسي عن المخلّص عن الطوسي عن الزبير بن بكـار . والثاني : روايته عن ابن الفرّاء عن ابن المسـلمة عن المخلّص عن الطوسي عن الزبير بن بكّار .

ورجال الإسناد كلهـم من الحفّـاظ الضـابطين الثقات ، وكلا الإسنادين ينتهيان برواية المخلّص عن الطوسي عن الزبير بن بكّار .

والمخلّص هو أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن (ت ٣٩٣هـ) ، وهو من الرواة الثقـات . والطوسي هو أبو عبد الله أحمد بن سـليمان بن داود الطوسي (ت ٣٢٣هـ) . وهو أيضـاً من الرواة الثقات . وهذه النسخة جعلها المحقق النسخة الأم .

وقد عثر المحقق على نسخة أخرى من الكتاب ولكنها ليست كاملة ، فهي دون نسخة أوكسفورد حجماً ، تكاد تبلغ خمسها ، وهي مصورة عن نسخة بمكتبة كوبرلي بالآستانة ، وإسنادها يختلف عن إسناد نسخة أوكسفورد ، ولكنه ينتهي كذلك برواية ، الطوسي عن الزبير بن بكّار .

وقد فصّل الأستاذ محمود شاكر القول في إسناد النسختين تفصيلاً لا مزيد عليه ، فليرجع إليه من يرغب في استزادة المعرفة .

ومحقق الكتـاب الأستـاذ العلاّمة محمود محمد شـاكر غنيّ عن التعريف ، وقد بذل في تحقيق الكتاب من الجهد والعناية ما لا يطيقه سواه ، فجاء نموذجاً يحتذى في الدقة وصحة الضبط . وأضاف الى ضبط النص حواشي مفيدة تقارب في حجمها متن الكتاب ، شرح فيها الألفاظ التي تفتقر إلى الشرح ومعاني الأبيات وذكر اختلاف الرواية في النسختين ، كما أنه قدم للكتاب بمقدمة وافية فصّل فيها ترجمة الزبير بن بكار وذكر تراجم

رجال الإسناد في النسختين ، ووصف النسختين وصفاً مفصلاً غاية التفصيل ، ووضّح النهج الذي اتّبعه في التحقيق .

الجزء الذي أتحدث عنه يشتمل على أنساب بني أسد بن عبد العُزّىٰ فقط ، وهم البطن الذي ينتمي إليه آل الزبير بن العوّام .

والنهج الذي اتبعه المؤلّف هو الجمع بين الأنساب والأخبار والأشعار ، فهو من هذا الجانب يختلف عن سائر كتب الأنساب بوفرة ما تضمّنه من أخبار وأشعار ، وهذا يفسّر مقالة اسحاق الموصلي للزبير بن بكّار : « يا أبا عبد الله ، عملت كتاباً سميته كتاب النسب وهو كتاب الأخبار »[١٤] . وأخباره تبدأ كلها بعبارة : حدّثنا الزبير قال . والراوي عنه هو أحمد بن سليمان الطوسي .

وهذه الأخبار تحمل إلينا فوائد كثيرة ، وقيمتها تكمن في أن كثيراً منها لم تذكره المراجع التي انتهت إلينا ، فالمؤلف يفصّل القول في أخبار الرجال الذين ورد اسمهم في سياقة النسب تفصيلاً لا نقع عليه في مراجع أخرىٰ ، ومن ذلك مثلاً أخبار عبد الله بن مصعب ، جدّ المؤلف ، فقد أفرد له ولأخباره وللأشعار المقولة فيه مدحاً ورثاءً أكثر من ثلاثين صفحة .

بدأت المطبوعة بأبيات لبشر بن أبي خازم الأسدي في مدح زَبّان بن سيّار الفزاري ورهطه ، وقبل هذه الأبيات ورقتان ساقطتان من المخطوط . وقد مضى الزبير في إيراد ما قيل في مديح آل سيّار من الشعر وطرف من أخبارهم . ومناسبة الحديث عن آل سيّار صلة المصاهرة بين آل الزبير وآل سيّار ، فقد تزوّج عبد الله بن الزبير تُماضر بنت منظور بن زبّان بن سيّار الفزارية وولدت له : خُبيباً وحمزة وعبّاداً وثابتاً ، ثم ماتت

(١٤) تاريخ بغداد ٤٦٩/٨ .

عنده فتزوج أختها أم هشام زُجْلة بنت منظور فولدت له : هاشماً وقيساً والزبيرَ وعُروة(١٥) .

ولما فرغ من ذكر آل سيّار انتقل الى ذكر أولاد عبد الله بن الزبير وهم : عامر وموسى وأبو بكر وبكر وهاشم وقيس وعروة والزبير وحمزة وعبد الله وخُبَيب ، وساق أخبارهم وما قيل فيهم من الشعر ، وهو يحرص على ذكر أمهاتهم وجدّاتهم ، وفي هذا التعداد فائدة في ضبط الأنساب وبيان تسلسلها . وقد عني ببعض أبناء عبد الله بن الزبير عناية خاصة ومنهم حمزة بن عبد الله ، فقد وقف عنده وقفة مطوّلة وأورد ما قيل في مديحه من الشعر . وانتقل بعدُ إلى ذكر ولد حمزة بن عبد الله وذكر أمهاتهم . وهو يستطرد كدأبه إلى ايراد أخبار تتصل بالرجال الذين ترد أسماؤهم في سياقة نسب الأمهات ، فعبّاد بن حمزة ، مثلاً ، أمه هند بنت قُطبة بن هرِم بن قطبة ، وهرم بن قطبة كان الحكم في الجاهلية بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن عُلاثة ، وهكذا يخرج المؤلف من الحديث عن ولد حمزة إلى أخبار هرم بن قطبة . وكذلك شأنه في كل ما يورد من أنساب .

ولما فرغ من ولد حمزة بن عبد الله مضى في سياقة النسب فذكر أبناء ولد حمزة بن عبد الله وأخبارهم وما قيل فيهم من الشعر ثم ختم الحديث عنهم بقوله : هؤلاء ولد حمزة بن عبد الله بن الزبير(١٦) .

وتابع بعد ذلك الحديث عن أولاد عبد الله بن الزبير الآخرين وأبنائهم وأخبارهم مع إيراد ما يتصل بهم من شعر ، فذكر عبّاد بن عبد الله وأبناءه . ثم ثابت بن عبد الله وولده ، وهو يصف ثابتاً بأنه كان لسان آل

(١٥) انظر حاشية الصفحة (٥) وانظر ص ٣٥ و٢٣٢ من الكتاب .

(١٦) ص ٧٠ من الكتاب .

الزبير جَلداً وفصاحة وبياناً ويروي لنا خبراً طريفاً خلاصته أن أبناء عبد الله بن الزبير خبيباً وحمزة وثابتاً وعباداً كانوا عند جدهم منظور بن زبّان بالبادية يرعون عليه الإبل كما يفعل عبيده ، ثم أشار عليهم ثابت بالمضيّ إلى أبيهم فاتّبعهم منظور ودخل على عبد الله بن الزبير وقال له : اردُد عليّ أعبُدي هؤلاء . فقال : إنهم قد كبروا واحتاجوا إلى أن نعلّمهم القرآن ... فهذا الخبر يظهرنا على حرص أشراف قريش على تنشئة أولادهم بالبادية ليلقفوا الفصاحة عن أهلها .

ونجد في ثنايا حديثه عنهم أخباراً طريفة لا نجدها في المصادر الأخرىٰ وهذا ما يجعل لهذا الكتاب خصيصة ليست لغيره من كتب الأنساب .

وقد ختم الجزء الثالث عشر بما يتصل به من السماع .

واستمّر المؤلف في الجزء الرابع عشر يتحدث عن أبناء ثابت بن عبد الله بن الزبير وأحفاده ويروي أخبارهم وما قيل فيه من الشعر . فكذلك نرىٰ أن تقسيم الكتاب إلىٰ أجزاء غير مبني على أبواب متمايزة وإنما هو تقسيم اعتباطي لعل مردّه إلى حجم الاجزاء حتى لا يكون في رواية الكتاب بأجمعه مرة واحدة عبء ومشقة على الراوي .

وقد وقف المؤلف وقفة خاصة عند عبد الله بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الذي وصفه بأنه كان « مِدره قريش وخطيبها وواحدها شرفاً وقدراً وصوناً وعناية بهم وبجميع أهل المدينة .(١٧) » ، فروى جانباً من شعره كما روىٰ مامُدح به من الشعر ، وكانت له منزلة أثيرة لدى خلفاء بني العباس ، وقد ولاّه الرشيد المدينة ، ثم ولاّه اليمن وعكّ ، وكانت وفاته سنة أربع وثمانين ومئة(١٨) .

(١٧) الكتاب ص ١٢٤ .

(١٨) الكتاب ص ١٣٠ وص ١٤٦ .

وكان ابنه أبو بكر بن عبد الله صنواً له في الفصاحة واللسن ، وكان « ناب قريش ومدرهها شرفاً وبياناً ولساناً وجاهاً وأبّهة وحَدَباً عليها وبّراً بها وحسن أثر عندها » ، وقد استعمله الرشيد على المدينة فأقام عاملاً عليها اثنتي عشرة سنة ونيّفاً . وكان الرشيد به معجباً وإليه مفوِضاً وكان عنده وجيهاً أثيراً[١٩] . وقد أثبت المؤلف طائفة من القصائد التي مدحه بها الشعراء . وكانت وفاته سنة خمس وتسعين ومئة ، ورثاه كثير من الشعراء .

وبذلك انتهى الجزء الرابع عشر من الكتاب وفي ختامه سماعه .

وفي الجزء الخامس عشر يستمر الزبير في تعداد أبناء ثابت بن عبد الله بن الزبير وأحفاده ، فيذكر مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت ويروي طرفاً من شعره ويصفه بأنه كان « وجه قريش مروءة وعلماً وشرفاً وبياناً وجاهاً وقدراً »[٢٠] ، وروى المؤلف ما مُدح به من الشعر ولا سيا مدائح عبد الله بن أبي صبح المزني فيه . وكانت وفاته سنة ست وثلاثين ومئتين .

واستمر بعد ذلك في تعداد سائر ولد عبد الله بن مصعب وبذلك فرغ من ولد ثابت بن عبد الله بن الزبير .

وانتقل بعد إلى عامر بن عبد الله بن الزبير ووصفه بأنه كان من « العُبّاد المنقطعين »[٢١] ، وروى طرفاً مما عُرف به من غريب الطباع حتى إنه امتنع من تزويج بناته . ثم تحدّث عن موسى بن عبد الله بن الزبير وولده ، وسائر ولد عبد الله بن الزبير وولدهم وأمهاتهم . وأكثرهم عقباً الزبير بن

(١٩) الكتاب ص ١٦٣ .
(٢٠) الكتاب ص ٢٠٧ .
(٢١) الكتاب ص ٢٢٠ .

عبد الله بن الزبير .

ولما فرغ المؤلف من ولد عبد الله بن الزبير انتقل إلى ولد مصعب بن الزبير بن العوّام فذكر منهم : عيسىٰ وعُكّاشة وعمر ، وبذلك انتهى الجزء الخامس عشر من الكتاب .

وفي الجزء السادس عشر يستمر الزبير بن بكار في تعداد ولد مصعب بن الزبير ، ولم يكن لمصعب عقب كثير – على نقيض أخيه عبد الله – . وقد شارك بعض ولده في القتال مع أبيهم في مسكن[٢٢] ، وقتل بعض ولده بقُديد .

ولمّا فرغ من ولد مصعب بن الزبير انتقل إلى ولد خالد بن الزبير بن العوّام[٢٣] ، ثم الى ولد عمرو بن الزبير بن العوام[٢٤] ، ثم إلى ولد جعفر بن الزبير بن العوّام[٢٥] ، ويذكر المؤلف أن كل بني الزبير بن العوّام لهم عقب الاحمزة بن الزبير فقد انقرض عقبه[٢٦] .

وبذلك انقضى الحديث عن ولد الزبير بن العوّام .

ولما فرغ من هؤلاء انتقل الى سائر ولد العوّام بن خويلد وعقبهم ، ثم ارتفع في نسب آل خُويلد بن عبد العُزّى فعدّد أولاد حزام بن خُويلد ، ومن أشهرهم حكيم بن حزام الذي كان « من سادات قريش ووجوهها في الجاهلية والإسلام »[٢٧] ، وكان زيد بن حارثة في ملكه فوهبه لعمته خديجة

(٢٢) الكتاب ص ٣١٣ .
(٢٣) الكتاب ص ٣٤٢ .
(٢٤) الكتاب ص ٣٤٤ .
(٢٥) الكتاب ص ٣٤٨ .
(٢٦) الكتاب ص ٣٥٠ .
(٢٧) الكتاب ص ٣٥٤ .

بنت خُويلد فوهبته للرسول عليه السلام . وقد جاء الإسلام والرفادة والندوة في يد حكيم بن حزام[٢٨] . وقد استغرق الحديث عن حكيم بن حزام وولده زهاء أربعين صفحة من الكتاب .

ثم عاد القول إلىٰ سائر ولد حزام بن خويلد ، ولما فرغ منهم تحدث عن نوفل بن خُويلد وولده . ثم ارتفع في عمود النسب إلى نوفل بن أسد بن عبد العُزّىٰ وولده ، ومن أبرزهم ورقة بن نوفل الذي كره عبادة الأصنام في الجاهلية وطلب الدين في الآفاق وانصرف إلىٰ قراءة الكتب السماوية[٢٩] . وفيه قال رسول الله ﷺ : « لا تسبّوا ورقة فإني أُريته في ثياب بيض »[٣٠] . وقد تنصّر ورقة في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ، فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب[٣١] ، وكان لورقة شعر كثير .

وبعد انقضاء الحديث عن نوفل بن أسد وولده تحدث المؤلف عن الحُويرث بن أسـد وولده . ومن مشهوري ولده عثمان بن الحُويرث الذي كانت له صلة وثيقة بقيصر الروم ، ويقال إنه ملّكه على قريش ، وكان يقال له « البطريق »[٣٢] وانتهىٰ أمره بأن سمّه عمرو بن جفنة الغسّاني[٣٣] .

ثم تحدّث الزبير عن حبيب بن أسد بن عبد العُزّىٰ وولده[٣٤] ، ثم عن الحارث بن أسد بن عبد العُزّىٰ وولده[٣٥] ، ثم عن المطّلب بن أسد بن

---

(٢٨) الكتاب ص ٣٦٣ .
(٢٩) و(٣٠) الكتاب ص ٤٠٨ .
(٣١) الكتاب ص ٤١١ .
(٣٢) الكتاب ص ٤٢٥ .
(٣٣) الكتاب ص ٤٢٨ .
(٣٤) الكتاب ص ٤٣٩ .
(٣٥) الكتاب ص ٤٤١ .

عبد العُزّىٰ وولده[٣٦] . ومن ولده أبو زَمْعة الأسود بن المطلب ، أحد المستهزئين الذين ذكرهم الله في كتابه[٣٧] . وكان ابنه زَمعة من خطباء قريش المشهورين في الجاهلية وأحد أزواد الركب[٣٨] . وقد قتل زمعة بن الأسود وأخوه عقيل يوم بدر كافرين[٣٩] .

وبذلك انتهىٰ الجزء السادس عشر من الكتاب .

في الجزء السابع عشر يستمر المؤلف في تعداد ولد زمعة بن الأسود بن المطّلب ويسوق أخبار أبي عبيدة عبد الله بن زَمْعة خاصة ، وكان شريفاً مطعماً[٤٠] . ويذكر جماعة من ولده ، ولمّا فرغ منهم تحدّث عن هَبّار بن الأسود بن المطلب ، أخي زمعة ، وهو الذي نخس بزينب بنت رسول الله ﷺ في سفهاء من كُفّار قريش وكانت حاملاً فأسقطت ، ثم أسلم بعدئذ[٤١] . ثم عدّد ولد هبّار وعاد بعد ذلك إلى استقصاء ولد المطّلب بن أسد بن عبد العُزّىٰ حتى فرغ من بني أسد بن عبد العُزّىٰ جميعاً ، وبذلك ينتهي الكتاب .

وقد ألحق المحقق بالكتاب مستدركاً صحّح فيه ما بدا له في ضبط المخطوطة من تحريف أو تصحيف أو إبدال كلمة بكلمة أو رواية برواية .

---

(٣٦) الكتاب ص ٤٦٣ .

(٣٧) سورة الحجر آية ٩٥ .

(٣٨) أزواد الركب ثلاثة من قريش هم مسافر بن أبي عمرو بن أمية وزمعة بن الأسود بن المطلب وأبو أمية بن المغيرة بن عبد الله المخزومي ، وقيل لهم أزواد الركب لأنهم كانوا يطعمون كل مسافر معهم .

(٣٩) الكتاب ص ٤٦٦ .

(٤٠) الكتاب ص ٤٨٢ .

(٤١) الكتاب ص ٥١٤ .

وفي سياق هذا المستدرك آراء للشيخ حمد الجاسر في تصحيح بعض ما وقع من أخطاء في الضبط أو في تفضيل رواية على أخرىٰ أو في استكمال خبر غير تام . ولهذا المستدرك فائدة جليلة في تقويم ضبط المخطوطة .

وختم الكتاب بفهرس مفصل لمحتوياته ، ولو أن المحقق صنع فهرساً للأعلام لكانت الفائدة أوفىٰ .

طبع الكتاب في مطبعة المدني بالقاهرة سنة ١٣٨١ للهجرة .

نهج الكتاب

اتبع المؤلف في سياقة الأنساب نهجاً مخالفاً لما جرت عليه كتب الأنساب الأخرىٰ إذ أنه بدأ بالفروع وانتهىٰ بالأصول ، تحدث أولاً عن أبناء الزبير بن العوام ثم ارتفع إلىٰ العوّام ثم إلىٰ خُويلد فأسد فعبد العُزّى وقد خالف في نهجه هذا نهج عمه المصعب في كتابه ، فقد ذكر المصعب الأصول أولاً وانتقل منها إلى الفروع . وقد جرى المؤلف على الجمع بين الأنساب والأخبار والأشعار مع العناية بذكر اسم راوي الخبر .

مصادر الكتاب وقيمته

استقىٰ الزبير بن بكّار مادة كتابه من مصادر شتىٰ ، ومصدره الأول في الأنساب كتاب عمه المصعب بن عبد الله الزبيري ، وقد تحدثت عنه آنفاً ، ولكنه لم يكتف بالاستمداد من كتاب المصعب بل كان أحياناً ينقل أحاديث سمعها منه ، فتتكرر في الكتاب عبارة : حدّثني عمّي مصعب بن عبد الله . ومن المرجح أنه أخذ أنساب قريش من مصادر أخرىٰ غير كتاب عمه ، على أنه لا يذكر مرجعه عند ذكره الأنساب . أما الأخبار التي ضمّنها كتابه فإنه أسندها إلىٰ رواتها ، وكثير من أخباره استقاه مشافهة ، فهو يبدأها غالباً بعبارة : حدثني ، ثم يذكر اسم من نقل عنه الخبر . وقد

نقل أخباره عن خلق كثير يصعب إحصاؤهم ، وكان الزبير أميناً في إسناد أخباره إلىٰ رواتها . وقد نقل عن الرجال كما نقل عن النساء . ومنهنّ مثلاً ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب .

والجزء الذي نحن بصدده وقفٌ كله على آل الزبير ، وهم آل بيته ، ومن المحتمل لذلك أنه أولاهم من العناية أكثر مما أولىٰ سواهم ، ولكنني لا أقطع بهذا الأمر لأننا لم نقف على سائر أجزاء الكتاب . على أن في الكتاب ميلاً واضحاً إلىٰ الرفع من شأن آل الزبير ، فهو يغدق على المشهورين من رجالهم النعوت التي تعلي من شأنهم ، ويحرص على إثبات ما قيل في مديحهم ورثائهم من الشعر . فعبّاد بن حمزة بن عبد الزبير مثلاً كان « سريّاً سخيّاً حلواً ، أحسن الناس وجهاً ، يضرب المثل بحسنه . »[٤٢] وثابت بن عبد الله بن الزبير كان « لسان آل الزبير جلداً وفصاحة وبياناً »[٤٣] والزبير بن خبيب بن ثابت كان « من وجوه قريش جمالاً وعبادة وفقهاً وعلماً . »[٤٤] ، والزبير بن خُبيب كان « أسطوانة من أساطين المسجد . »[٤٥] ، وكان مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير « يصلّي في يومه وليله ألف ركعة ويصوم الدهر ، وكان من أبلغ أهل زمانه . »[٤٦] وعبد الله بن ثابت كان « مِدرَة قريش وخطيبها وواحدها شرفاً وقدراً وصوناً وعناية بهم وبجميع أهل المدينة »[٤٧] ، وكان أبو بكر بن

(٤٢) الكتاب ص ٥١ .
(٤٣) الكتاب ص ٨٠ .
(٤٤) الكتاب ص ٩٩ .
(٤٥) الكتاب ص ١٠٧ .
(٤٦) الكتاب ص ١١٦ .
(٤٧) الكتاب ص ١٢٤ .

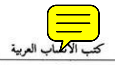
عبد الله بن مصعب » ناب قريش ومدرهها شرفاً وبياناً ولساناً وجاهاً وأبّهة وحَدَباً عليها وبرّاً بها وحسن أثر عندها . »(٤٨) ... الخ .

وللكتاب قيمة كبيرة في أنه جمع أخباراً عن قريش لا نقع عليها أو على أكثرها في المصادر القديمة التي بين أيدينا ، وكذلك الأشعار التي رواها . وله ميزة على كتب الأنساب الأخرىٰ في أنه عني بأنساب الأمهات عناية خاصة ، فهو يذكر أم الرجل وجدته ويمضي في تعداد جداته حتى يبلغ الخمس أو الست أحياناً(٤٩) . وهذه فائدة تاريخية لا نقف عليها في كتب الأنساب الأخرىٰ .



(٤٨) الكتاب ص١٦٣ .

(٤٩) انظر مثلاً في ص ٣٢ أمهات عامر بن عبد الله بن الزبير وص ٧٥ أمهات صالح بن عبّاد .



المقدس وما حوله ، فنزلوا باديء الأمر بمسجد أبي صالح ظاهر الباب الشرقي ، ثم انتقلوا إلى جبل قاسيون (المهاجرين) .

انصرف المقدسي بعد استقراره بدمشق إلى طلب العلم ، فأخذ الفقه وعلوم القرآن عن والده وعن غيره ، ثم ارتحل إلى بغداد سنة ٥٦١هـ فأخذ العلم هناك عن طائفة من مشايخها ، ولازم الشيخ عبد القادر الجيلي مدة يسيرة وبعد وفاته لزم أبا الفتح بن المنّي فأخذ عنه أصول الفقه حتى برع فيها ، وقد دامت رحلته إلى بغداد أربع سنوات عاد بعدها إلى دمشق ، ثم عاد إلى بغداد مرة أخرى سنة ٥٦٧هـ ، وربما كانت له رحلة ثالثة إليها ، وأقام مدة بمكة ثم عاد آخر الأمر الى دمشق وبها توفي سنة ٦٢٢هـ .

أخذ ابن قدامة عن شيوخ كثيرين في دمشق وبغداد ومكة منهم الشيخ عبد القادر الجيلي وأبو الفتح بن المنّي وأبو زرعة وابن شافع ، وتفقّه في بغداد على مذهب الإمام أحمد بن حنبل حتى غدا إماماً في أصول الفقه وعلم الفرائض والخلاف والتفسير والحديث فضلاً عن الحساب وعلم النجوم السيّارة والمنازل ، وتصدّر للتدريس فأخذ عنه خلق كثير .

عرف ابن قدامة بدماثة الخلق والتواضع والحياء الجمّ ولين الجانب والعزوف عن الدنيا . وكان موضع اعجاب كثير من العلماء الذين أثنوا على سعة علمه ودماثة خلقه وتديّنه ، قال فيه معاصره ابن تيمية (ت ٦٢٢هـ) : « ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفّق[1] » ، وقال فيه سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ) :«من رآه كأنما رأى بعض الصحابة، وكأن النور يخرج من وجهه، كثير العبادة يقرأ كل يوم وليلة سبعاً من القرآن ترتيلا .. »[2] ، وقال فيه ضياء الدين محمد بن عبد الواحد

(١) ذيل طبقات الحنابلة ١٣٤/٢ .
(٢) شذرات الذهب ٨٩/٥ .

المقدسي (ت ٦٣٤هـ): «كان ـ رحمه الله تعالى ـ إماماً في التفسير، إماماً في علم الحديث ومشكلاته ، إماماً في الفقه بل أوحد زمانه فيه ، إماماً في علم الخلاف ، أوحد زمانه في الفرائض ، إماماً في أصول الفقه ، إماماً في النحو ، إماماً في الحساب ، إماماً في النجوم السيّارة والمنازل .»[٣]

مصنفاته

مصنفات ابن قدامة تربي على الثلاثين في الفقه وعلوم القرآن والحديث والأنساب منها :

١ ـ المقنع في فقه الحنابلة (طبع بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٢٢هـ) ، وقد اختصره طائفة من العلماء .

٢ ـ الكافي في فقه الحنابلة ، ٤ مجلدات (نشره المكتب الإسلامي بدمشق) .

٣ ـ المغني في شرح الخرقي في الفقه ، عشر مجلدات .

٤ ـ روضة الناظر في أصول الفقه (طبع بالمطبعة السلفية بمصر عام ١٣٤٢هـ) .

٥ ـ مختصر علل الحديث ، وهو اختصار لكتاب علل الحديث لأبي بكر أحمد بن محمد الخلاّل (ت ٣١١هـ) .

٦ ـ قنعة الأريب في الغريب .

٧ ـ البرهان في مسألة القرآن .

٨ ـ كتاب القدر .

٩ ـ فضائل الصحابة .

١٠ ـ كتاب المتحابين في الله .

---

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ١٣٤/٢ ، شذرات الذهب ٩٠/٥ .

١١ – مناسك الحج .

١٢ – رسالة إلى ابن تيمية في تخليد أهل البدع في النار .

١٣ – تحريم النظر في كتب أهل الكلام .

١٤ – لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبل الرشاد . (طبع أكثر من مرة) .

١٥ – التبيين في أنساب القرشيين . وهو الكتاب الذي أتحدث عنه .

١٦ – الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار . طبع بدار الفكر في بيروت ، سأتحدث عنه بعد حديثي عن كتاب التبيين .

وسائر مصنفاته ذكرها الأستاذ محمد نايف الدليمي في مقدمة تحقيقه لكتاب التبيين بالإضافة إلى المصنفات المذكورة هنا .

الكتاب

يبدأ الكتاب بمقدمة وضّح فيها المؤلف نهجه في تأليف الكتاب ، يقول فيها : « هذا كتاب ذكرت فيه نسب رسول الله ﷺ وأصحابه من أقاربه . وذكرت لكل امرئ منهم شيئاً من أخباره وفضائله وبعض من اشتهر من أولاده وأولاد أولاده ، ليعرف الواقف عليه محلّه من الدين ، وموضعه من الفضل ، ولم أطل خشية الإملال . بدأت بذكر رسول الله ﷺ ثم بولده ، وأزواجه ثم بمن يليه من أهله الأدنى فالأدنى ، حتى أتيت على آخر قريش ، مقتصراً عليهم .. »[٤] . ثم ذكر أنه اختصّ الصحابة من قريش بالذكر لمكانهم من رسول الله ﷺ .

فكذلك نرى أن النهج الذي اتبعه المؤلف يخالف نهج سابقيه من علماء

(٤) الكتاب ص ٣٣ .

النسب . فقد جعل مدار حديثه على الرسول عليه السلام وآله وصحبه .

بدأ أولاً بذكر نسب الرسول ﷺ ورفعه الى عدنان . وهذا النسب هو عنده ما اتفق عليه النسّابون جميعاً وقد اختلفوا فيا بين عدنان وإسماعيل ، وفيا بين إبراهيم وسام بن نوح .

وانتقل بعدئذ إلى شيء من التفصيل في سيرته عليه السلام منذ ولادته إلى أن بعثه الله نبياً وما لقيه من أذى قريش ثم هجرته وغزواته حتى وفاته . وكان حديثه عن هذه الجوانب غاية في الإيجاز .

وانتقل بعدئذ إلى الحديث عن أزواج الرسول ﷺ(٥) فأورد نبذة من أخبار كل منهن بادئاً بالسيدة خديجة فعائشة فسودة بنت زَمْعة فحفصة بنت عمر بن الخطاب ، فزينب بنت خُزيمة الهلالية ، فأم سلمة هند بنت أبي أمية ، فزينب بنت جحش ، فجُويرية بنت الحارث ، فأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ، فصفية بنت حُيي بن أخطب ، فميمونة بنت الحارث الهلالية ، وعدّتهن إحدى عشرة . وقد حرص المؤلف على تعيين زمن زواج الرسول بكلّ منهنّ وتاريخ وفاتها ، ولم يتحدث عن سائر زوجاته اللاتي اختلف فيهنّ .

ثم تحدّث عن مارية بنت شمعون القبطية التي تسرّى بها رسول الله .

وانتقل بعد إلى أولاد الرسول(٦) الذكور والإناث ، والذكور عنده ثلاثة : القاسم وابراهيم والطيب عبد الله (وهم عند الطبري أربعة(٧)) والإناث أربع لا خلاف فيهن : زينب ، ورقيّة ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

---

(٥) الكتاب ص ٥١ .

(٦) الكتاب ص ٦٧ .

(٧) الطبري ٣/١٦١ وعنده : الطيب وعبد الله .

وذكر نبذة من أخبار ولده .[٨]

ثم أفرد المؤلف فصلاً لكُتّاب الرسول ، وانتقل بعدُ إلى ذكر أعمام الرسول ، ـ وقد اختلف في عددهم بين تسعة واثني عشر ـ والصحابة من أولادهم ، فوقف أولاً عند الحارث بن عبد المطلب وولده الذكور والإناث ، فأبي طالب بن عبد المطلب وولده ، ثم الزبير بن عبد المطلب وولده ، ثم ولد أبي لهب بن عبد المطلب ، ثم حمزة بن عبد المطلب وولده ، ثم العباس بن عبد المطلب وولده .

ولمّا فرغ من أعمام الرسول وولدهم انتقل إلى عمّاته : صفيّة ، وعاتكة ، وأروى ، وبَرّة ، وأميمة ، وأم حكيم ، بنات عبد المطلب بن هاشم .

ثم أفرد فصلاً لسائر الصحابة من ولد هاشم ، ثم لسائر ولد عبد مناف : هاشم ، وعبد شمس ، والمطلب . فكذلك نرى أن النهج الذي سار عليه المؤلف هو الانتقال من الأدنى إلى الأبعد نسباً من رسول الله ﷺ . فبعد أن ذكر أبناء هاشم بن عبد مناف انتقل إلى بني عبد شمس بن عبد مناف ، ومنهم بنو أمية ، مازجاً الأنساب بالأخبار . وقد شغل هذا الجانب حيزاً كبيراً من الكتاب . وبعد أن فرغ من بني عبد شمس انتقل إلى المطلب بن عبد مناف ، ثم إلى نوفل بن عبد مناف .

ولمّا فرغ من ذكر بني عبد مناف صار إلى سائر ولد قصي بن كلاب : عبد الدار ، وعبد العزّى ، فذكر أنسابهم وولدهم وطرفاً من أخبارهم . وقد وقف وقفة طويلة عند بني أسد بن عبد العزّى آل الزبير بن

---

(٨) الكتاب ص ٦٨ .

العوّام بن خُويلد بن أسد ، ثم استوفى الكلام على بني كلاب بن مُرة بن لُؤي : قصي بن كلاب ، وزُهرة بن كلاب . فكذلك نجد أن النهج الذي التزمه جعله يرتقي من الفروع الى الأصول ، مخالفاً بذلك نهج علماء النسب الأخرين .

فلما انقضى ذكر بني كلاب بن مرة انتقل الى بني تيم بن مُرة ، ومن رجالهم المشهورين أبو بكر الصدّيق ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الله بن جدعان .

ثم انتقل الى بني مخزوم بن يقظة بن مُرّة متبعاً النهج الذي اتبعه في الحديث عن الصحابة وحدهم فلم يذكر المشهورين من بني مخزوم كالوليد بن المغيرة وانما ذكر الصحابة ومنهم خالد بن الوليد وبنو هشام بن المغيرة ومنهم عكرمة بن أبي جهل بن هشام .

وبعد أن فرغ من بني مخزوم انتقل الى سائر بني كعب بن لؤي بفروعهم الثلاثة : بني مرة ، وبني عدي ، وبني هصيص .

بدأ ببني كعب بن عدي فذكر ولدهم والمشهورين من رجالهم وساق طائفة من أخبارهم ، فوقف عند عمر بن الخطاب وأورد طرفاً من أخباره ثم ذكر ولده وأخاه زيداً وولده وأختيه فاطمة وصفية ثم سائر بني كعب بن عدي .

ثم ذكر بني هصيص والمشهورين من رجالهم ومنهم عثمان بن مظعون وعمرو بن العاص . ثم انتقل إلى بني عامر بن لؤي بن غالب فذكر أشهر رجال هذا البطن من الصحابة ومنهم سُهيل بن عمرو بن عبد شمس وولده وأبو سَبْرة بن أبي رُهم بن عبد العُزّى وعبد الله بن مَخرمة وعبد الله بن سعد بن أبي سَرْح والعلاء بن وهب وبُسر بن أرطأة .

ثم انتقــل إلى بني الحارث بن فهر والمشهورين منهـم ومنهـم أبو عبيـدة بن الجرّاح وعِيـاض بن غَنْـم وعُقبـة بن نافع ، ثم ذكر بني محارب بن فهر ومنهم ضرار بن الخطّاب شـاعر قريش ، ومَسـلمة بن مالك ، والضحّاك بن قيس الفهري رأس الزبيرية يوم المرج .

وقد ألحق المؤلف بالقرشيين من كان من الصحابة من بني أسد بن خزيمة لأن منهم بني عمة الرسول ﷺ ولأنهم حلفاء بني عبد شمس ولأنهم من السابقين الأولين الى اعتناق الإسلام وإلى الهجرة إلى المدينة ، فذكر مشهوريهم ومنهم عُكّاشة بن مُحَصِّن وعبد الله بن جحش وولده وضرار بن الأزور وعمرو بن شَأس وطليحة بن خويلد الذي تنبأ بعد وفاة الرسول ثم فاء الى الإســلام ، وخريم بن فاتك وابنه أيمن بن خُريم وسِماك بن مخرمة وعبد الله بن الزَبِير الشاعر .

وبذلك تمّ الكتاب .

نهج الكتاب ومصادره وقيمته

وضَّح المؤلف في مقدمة كتابه النهج الذي اتبعه في تأليف كتّابه ، فقد بدأ بنسب الرسول عليه السلام ثم ذكر أزواجه وأولاده وكُتّابه وأعمامه وأولادهم ، ثم ذكر من اعتنق الإسلام من بني هاشم ثم من بني عبد شمس ، بادئاً بالأدنى فالأدنى نسباً من رسول الله ﷺ فانتقل الى بني المطلب بن عبد مناف فبني عبد الدار فبني أسد بن عبد العُزّى فبني زهرة بن كلاب فبني تَيْم بن مُرّة فبني مخزوم بن يقظة ، وهكذا حتى فرغ من نسب قريش ، وألحق بقريش من اعتنق الإسلام من السابقين الأولين من بني أسد بن خزيمة للأسباب التي ذكرها .

فكذلك نرى أن النهج الذي اتّبعه المؤلف يخالف نهج علماء النسب

السابقين ، لأن غاية المؤلف ذكر نسب الرسول ﷺ وأصحابه من قريش وليس استيفاء أنساب القرشيين ، وهو لم يتبع طريقة النسابين الآخرين من حيث البدء بالأصول والانتقال منها الى الفروع وكذلك لم يفصّل في بيان الأنساب وإنما بدأ برسول الله ﷺ ثم ذكر الأنساب الأدنى فالأدنى من نسبه عليه السلام واقتصر على ذكر الصحابة المشهورين في كل بطن من بطون قريش .

وقد ضمّن كتابه طائفة من الأخبار المتصلة بالرجال الذين ذكرهم كما ذكر طرفاً من أشعار شعرائهم .

لم يذكر المؤلف في مقدمة كتابه المصادر التي اعتمدها فيه ، وهو من رجال القرن السابع الهجري ، وقد ألفت قبله كثير من كتب الأنساب ، ومن المحقق أنه استفاد منها . وعلى أنه لم يعن بذكر الأسانيد المفصلة للأنساب التي ساقها والأخبار التي أوردها فإننا نجده أحياناً يذكر اسم العالم الذي نقل من كتابه دون ذكر اسم الكتاب . وممّن استمّد منهم مادة كتابه ابن اسحاق في السيرة ، والزبير بن بكّار والزُهري والمصعب الزبيري ، على أنه في أغلب الأحيان يورد الأخبار والأنساب غير مسندة إلى رواتها. ويذكر محقق الكتاب أنه لم يجد مانسب إلى الزبير بن بكّار من أخبار في هذا الكتاب في كتابي الزبير المطبوعين وهما جمهرة نسب قريش والموفّقيات، وقد وجد المحقق كذلك أن في كتاب التبيين أخباراً منسوبة إلى المصعب الزبيري وهي ليست في كتابة المطبوع ويستظهر لذلك أن في كتاب نسب قريش المطبوع للمصعب نقصاً .

وقيمة الكتاب ترجع إلى تمييزه من أسلم من قريش من سائر قريش ، وهو معنيّ بالصحابة دون غيرهم على ما ذكرت ، وقد صحح المؤلف

أنساب طائفة من القرشيين وأورد أشعاراً لا نجدها في مصادر أخرى .

حقق الكتاب الأستاذ محمد نايف الدُليمي وقدّم له بمقدمة موجزة وضّح فيها نهجه في تحقيق الكتاب وترجم للمؤلف وذكر أقوال العلماء فيه ثم أحصى مصنفاته . وتحدث بعدُ عن النسخ التي اعتمدها في التحقيق ، وقد اعتمد نسختين وجدهما في مكتبة الحاج زكر في الموصل التي ضُمّت إلى مكتبة الأوقاف العامة بالموصل . ورقم المخطوطتين ١٥/٢ و١٥/٣ وإحداهما جعلها الأم ورمز إليها بالحرف (أ) وقد نسخها محمد بن إبراهيم بن خفاجة وفرغ من نسخها سنة ثمانمئة وسبعين للهجرة ورجح المحقق أنها منقولة من نسخة المؤلف ، والثانية منقولة عن النسخة السابقة ورمز إليها بحرف (ب) ولكن بين النسختين بعض الاختلاف . وقد ذيل الكتاب بذكر المراجع والمصادر التي استعان بها وبفهارس للحديث النبوي والأشعار والأمم والقبائل والمواضع والأعلام والموضوعات . ووضع حواشي للكتاب أثبت فيها ما وجده من اختلاف بين المخطوطتين وخرّج أبيات الشعر الواردة في الكتاب وأضاف بعض التعليقات المفيدة .

ويحسن أن أشير هنا إلى ما وقع من الخطأ في إثبات اسم هذا الكتاب على غلاف المخطوطة المحفوظة بمكتبة راغب باشا بمدينة اسطنبول ذات الرقم ٩٩٩ ، في حين أن تلك المخطوطة لا تحوي كتاب التبيين لابن قدامة وانما هي مخطوطة كتاب « مختصر جمهرة النسب » ، وقد تحدثت عن هذا الكتاب وعما وقع من الخطأ في عنوانه في الجزء الثالث من المجلد الخامس والستين من مجلة المجمع .

الكتاب من منشورات المجمع العلمي العراقي سنة ١٤٠٢هـ ، الموافقة لسنة ١٩٨٢ ميلادية . ومما يؤسف له أن في الكتاب المطبوع

أخطاءً طباعية لا تحصى لكثرتها ونقصاً في بعض المواضع (انظر مثلاً ص٣٨) ، وبعض الأخطاء في الضبط بالشكل ، من ذلك مثلاً (ص٣٧) : ضبط اسم عدي بن النجار بضم العين والصواب بفتحها ، وضبط فعل انتقع لونه (ص٤٠) بفتح التاء على البناء للمعلوم والصواب بضمها على البناء للمجهول وفي ص٤٨ أثبت العدد احدى عشرة بتذكير لفظ (عشر) والصواب تأنيثه ، ونحوها من الأخطاء التي لم أستقصها . والأمل أن يتلافى المحقق هذه الأخطاء لدى إعادة طبع الكتاب .



كتاب الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار

لابن قدامة المقدسي

• •

المؤلف

سبقت ترجمته لدى الحديث عن كتاب « التبيين في أنساب القرشيين » .

الكتاب

اتبع ابن قدامة في كتابه هذا النهج الذي اتبعه في كتاب « التبيين في أنساب القرشيين » فقد تناول أنساب الصحابة من الأنصار فقط ، ولم يتناول أنساب الأوس والخزرج عامة . فبعد حديثه عن الصحابة من قريش

رأى لزاماً عليه أن يتحدث عمّن نصر رسول الله ﷺ من الخزرج والأوس ، وهم الذين نهضوا بالعبء الأكبر في نصرة الرسول وتأييد رسالته ومجاهدة أعدائه وفي تثبيت دعائم الدولة الإسلامية الناشئة .

وقد وضح المؤلف دواعي تأليف كتابه ونهجه فيه في مقدمته فقال : « هذا كتاب ذكرت فيه أنساب الصحابة من الأنصار وطرفاً من أخبارهم على سبيل الاختصار ، ليعرف به منزلتهم من الإسلام وتأسيسهم للدين وماخصّهم الله تعالى (به) من نصره واظهار دينه وإيواء رسوله وصحابته وسبقهم إلى إجابة دعوته وبذلهم المهج في طاعة ربهم وطاعته ، ليعظم في القلوب محلهم ، ويكثر بالترحّم عليهم فضلهم ، ويزداد الإيمان بمحبتهم . »[٩]

ثم بيّن نهجه فيه فقال : « وقدمنا ذكر الخزرج لأنهم أخوال رسول الله ﷺ ... »[١٠]

بدأ المؤلف حديثه عن الأنصار بذكر مكانهم عند رسول الله ﷺ وما روي من الأحاديث في بيان فضلهم ومنزلتهم ، ثم تحدّث عن بدء اتصال الرسول بالأوس والخزرج وشهودهم العقبة ومبايعتهم إياه .

وانتقل بعدئذ مباشرة الى الحديث عن بطون الخزرج بادئاً ببني النجّار لأن منهم أخوال الرسول عليه السلام ، وبدأ بأدنى أخوال عبد المطلب إليه نسباً وهم بنو عامر بن غنم بن عديّ بن النجّار ، ثم انتقل الى سائر بطون بني النجار ، ثم إلى بطون الخزرج الأخرى . ولما فرغ من الخزرج انتقل الى الأوس فعدّد بطونها ورجالها المشهورين ، ووقف خاصة

(٩) الكتاب ص ٢٣ .
(١٠) الكتاب ص ٣٠ .

عند أحيحة بن الجلاح ، شاعر الأوس وسيدهم وفارسهم ، ففصّل القول في أخباره وأشعاره[١١] .

ولما فرغ من أنساب الأوس ورجالهم وقف جانباً من كتابه على رجال من الأنصار لم تعرف القبائل التي ينتمون إليها . ومنهم أبو بردة الأنصاري وأبو بشير الأنصاري .

نهج الكتاب ومصادره وقيمته

وضّح المؤلف – على ما قدمت – منهجه في تأليف الكتاب من حيث قصره على الصحابة من الأنصار . وقد جعل المؤلف عنوان كتابه : « الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار » ولكننا في واقع الأمر لا نجد في الكتاب أنساباً على النحو الذي نجده في كتب الأنساب الأخرى ، فليس فيه ذكر لأصول أنساب الأوس والخزرج ولا بيان لتفرّع الفروع من الأصول ، ذلك أن المؤلف لم يكن غرضه بيان الأنساب وتسلسلها وتفرعها وإنما كان غرضه ذكر من اشتهر من الصحابة في كل بطن من بطون الأنصار . وهكذا نجده يضع عنواناً لكل بطن ويذكر تحته أسماء الصحابة المشهورين فيه ، ويورد طرفاً من أخبارهم على وجه الاختصار .

لا يذكر المؤلف أسماء المصادر التي استمدّ منها مادة كتابه – شأنه في كتابه الآنف الذكر – ولكنه يذكر أسماء المؤلفين الذين نقل عنهم . ومنهم : محمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ) وقد أخذ الكثير من سيرته . والواقدي محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ) ، في كتابه « المغازي النبوية » ، ومحمد بن سعد الزُّهري . مولى بني زُهرة (ت ٢٣٠هـ) كاتب الواقدي في كتابه « طبقات الصحابة » المعروف بطبقات ابن سعد ، وابن عبد البر

---

(١١) انظر ص ٣٠٧ من الكتاب وما بعدها .

النمريّ (ت ٤٦٣هـ) مؤلف كتاب « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » ، وهو من مصادره الرئيسة . ومن كتب الأنساب التي استقى منها كتاب « جمهرة النسب » لابن الكلبي ، واستمد طائفة من الأخبار التي أوردها من تاريخ ابن جرير الطبري .

وهو يسوق الأخبار مسندة إلى رواتها أحياناً وغير مسندة أحياناً أخرى ، وقد يبدأ الخبر بعبارة : « وروي عن فلان » ، أو « روي أن » ، وكثير من أخباره مروي عن أنس بن مالك الخزرجي خادم رسول الله مع إغفال ذكر السند والمصدر الذي أخذ عنه .

ومن الرواة الذين ورد ذكرهم في كتابه محمد بن سيرين (ت ١١٠هـ) مولى أنس بن مالك ومنهم أيضاً حُميد بن مهران (ت ١٤٣هـ) ، مولى طلحة بن عبد الله الخُزاعي الذي سمع أنس بن مالك وروى عنه . ومنهم علي بن المديني (ت ٢٣٣هـ) من علماء الحديث الأعلام ، أخذ عنه البخاري وأبو داود .

وقيمة الكتاب تعود إلى إفراده الصحابة من الأنصار بالحديث ، فهو من أفضل الكتب في أنساب الأنصار ، وقد حقق أنساب طائفة منهم ، ومن لم يعرف نسبه أفرده بالذكر في نهاية كتابه . وللكتاب ميزة أخرى هي ايراده أخباراً كثيرة حول رجال الأنصار لا نجدها في مراجع أخرى ، فكتابه يجمع إلى الأنساب الأخبار والأحاديث والأشعار .

حقّق الكتاب الأستاذ علي نويهض وقدّم له بمقدمة تحدث فيها عن علم النسب وعرّف فيها بالمؤلف وكتابه وحقق نسبة الكتاب إلى ابن قدامة .

وقد اعتمد في تحقيقه على ثلاثة مخطوطات : أحدها محفوظ في مكتبة

شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة ، والثاني في مكتبة أحمد تيمور باشا ، وقد نقل إلى المكتبة الخديوية ، والثالث في دار الكتب المصرية . وقد قابل المحقق بين هذه المخطوطات الثلاثة وبيّن ما وجده من اختلاف بينها .

وأضاف إلى الكتاب تراجم لمن ورد ذكرهم من الصحابة والتابعين والمحدّثين من غير الأنصار وشرح في الهوامش الغامض من الألفاظ التي وردت في أبيات الشعر ووضع شجرة لأنساب كل من الخزرج والأوس .

نشرت الكتاب دار الفكر ببيروت سنة ١٩٧٢م .



كتب الأنساب العربية
١٠

الدكتور إحسان النص

كتاب الإكليل

للسان اليمن أبي محمد الحسن بن أحمد الهَمْداني

المعروف بابن الحائك

٢٨٠ - بعد سنة ٣٥٠هـ

المؤلف(*) :

أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني المعروف بابن الحائك . وقد أطلق المؤلف على نفسه لقب « لسان اليمن » فعرف بذلك . وقبيلة همدان تنتمي إلى كَهْلان ، أحد جذمي قحطان . وهي قبيلة ضخمة

(*) من مصادر ترجمته : مقدمة كتاب الإكليل تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع وكتابه عن المؤلف « لسان اليمن » ؛ معجم الأدباء لياقوت ٢٣٠/٧ ؛ روضات الجنّات للخوانساري ص٢٣٨ ؛ تلخيص ابن مكتوم ص٥١ ؛ طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ص٥٨ ؛ طبقات ابن قاضي شهبة ٣١٩/١ ؛ ترجمة مفصلة للمؤلف في كتاب إنباه الرواة للقفطي ٢٧٩/١ وفي كتابه أخبار الحكماء ص١١٣ ؛ بغية الوعاة للسيوطي ص٢١٧ ؛ بحث للأستاذ حمد الجاسر حول الجزء العاشر من الإكليل في مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ٢٥ الجزء الأول ص٦٢ .

كثيرة البطون وتتفرع إلى فرعين كبيرين هما : حاشد وبَكِيل ، وإلى بكيل ينتسب المؤلف .

وقد علّل القفطي سبب تلقيبه بابن الحائك فقال : « فأما تلقيبه بابن الحائك فلم يكن أبوه حائكاً ولا أحد من أهله ولا في أهله ولا في أصله حائك ، وإنما هو لقب لمن يشتهر بقول الشعر ، وكان جدّه سليمان بن عمرو المعروف بذي الدمينة شاعراً ، فسُمّي حائكاً لحوكه الشعر »(١) .

ولد المؤلف بصنعاء عام ٢٨٠هـ - حسبما حققه الأستاذ الأكوع بعد أن وقف على المقالة العاشرة من كتاب « سرائر الحكمة »(٢) - وفيها انكبّ على طلب العلم ، فأخذ الفقه والأدب وعلم النسب والجغرافية والتاريخ عن جلّة من الشيوخ ، وكان شيخه في علم النسب أبا نصر البهري نسّابة حمير ، ومن شيوخه أيضاً محمد بن أحمد الأوساني الحميري . وكان إلى ذلك يتجوّل في البلاد فدخل حضرموت واتّصل بعلمائها وتعرّف معالمها وجاب بلاد الحجاز ونجد وجاور بمكة زمناً وأخذ عن مشايخها وأخذ الناس عنه . وكانت صلته قوية برجالات اليمن وملوكها وأمرائها .

استقرّ بمدينة ريدة مدة من الزمن واتصل بسلطانها أبي جعفر الضحّاك سيّد همدان في زمنه ، ثم غادرها إلى مدينة صَعْدة فأقام بها عشرين سنة ، قال : « وقد سكنت بها عشرين سنة فأطللت على أخبار خَولان وأنسابها ورجالها كما أطللت على بطن راحتي ... »(٣)وقد تعرض الهمداني للسجن مرتين - حسبما حقق الأستاذ الأكوع - أولاهما بصَعدة ، سجنه

---

(١) إنباه الرواة للقفطي ٢٧٩/١ .

(٢) انظر : مقدمة كتاب الإكليل ٥١/١ في الحاشية .

(٣) الإكليل ٢٧٥/١ .

الناصر لدين الله أحمد بن يحيى العلوي ، ولا يعرف سبب سجنه على وجه التحقيق ، ذكر بعضهم أنه لهج بتفضيل قبيلة قحطان على عدنان وحقّر ما عظّم الله وتجاسر على انتقاص من اصطفاه الله[٤] .

واضطر الناصر إلى اطلاق سراحه لأن قبائل خولان تألّبت عليه بسببه ، ويشير الهمداني إلى سجنه واطلاق سراحه بصعدة فيقول في سياقة نسب سعد بن خولان : « فأولد عبدُ الله يحيى بن عبد الله سيّد أكيل ، وأمّه بنت عبد الله بن محمد بن عبّاد ، وهو - أي يحيى بن عبد الله - أحد من قام في فكّ الهَمْداني من سجن العلوي بصَعدة وأوجب فيه ، وكان رجل خولان ولسانها وذا رأسها[٥] . »

وبعد اطلاق سراحه انتقل الهمداني إلى صنعاء ، وهناك تعرض للسجن مرة ثانية ، سجنه ملك حمير أبو حسّان أسعد بن أبي يُعفِر الحوالي بإيعاز من الناصر أحمد العلوي . ومن الأسباب التي أوردها الأخباريون عن سبب سجنه بصنعاء أنه قال شعراً يهجو فيه الناصر ويثلبه ، فكتب هذا إلى أسعد بن أبي يعفر ، وهو بصنعاء ، أن يسجنه . فأوعز إلى أخيه أبي الفتوح أمير صنعاء فسجنه[٦] ، وقيل أيضاً إن مهاجاة وقعت بينه وبين شعراء مدينة صعدة فلما أوجعهم بهجائه دسّوا له عند الناصر فكتب إلى أسعد بن أبي يعفر يطلب إليه سجنه[٧] . والسبب الأخير هذا قد يعلل سبب سجنه بصعدة أما سجنه بصنعاء فسببه ، فيما يبدو لي ، هجاؤه الناصر لحبسه إياه بصعدة . وقد مكث الهمداني في سجن صنعاء ست سنوات من سنة ٣١٥هـ حتى سنة ٣٢١هـ .

---

(٤) الإكليل ٦٢/١ .

(٥) الإكليل ٣١٢/١ .

(٦) انظر مقدمة الجزء الثاني من الإكليل ص١٦ .

(٧) انظر مقدمة الجزء الثاني من الإكليل ص١٧ .

وقد تحدّث الهمداني عن سجنه في صنعاء في سياقة نسب صُحار بن خولان فقال : « حتى سجن الهمداني بيد أسعد بن أبي يعفر ، فطلبوا فيه ، فأعلمهم أنه لم يسجنه ، وأن أسعد سجنه في جرم أجرمه إليه ، فركب منهم الحسن بن محمد بن أبي العباس إلى أبي حسّان طالباً فيه ، فاعتذر وقال : إنما كتب إليّ فيه الناصر أن أسجنه له ، فهو في سجنه عندي ، فاطلبوا إليه ، فإذا أنعم ، فيكتب إليّ حتى أطلقه . فانصرف وعادوا جماعة العشيين الناصر في الطلب ، وأعلموه بما قال أسعد ، فأبعدهم وأغلظ لهم ، فأغلظوا له وتباعدوا أمرهم ، وأظهروا له الخلاف ، وقاد له الحسن بن أبي العباس بني جماعة وقاتله بمصنعة كَتفى ، فسأل الناصر وجوه خولان أن يصرفوه ويعلموه أنه قد فتح له الهمداني – أي أطلق سراحه – »[٨] . فكذلك نرى أن قبيلة خولان القضاعية – وهي ليست قبيلة المؤلف – كان لها فضل إطلاق سراحه من سجنه في صعدة وصنعاء ، وكان الهمداني مدّاحاً لرؤسائها وأشرافها . وقد انتقم الهمداني من أبي حسان أسعد بن أبي يعفر بهجائه بقصيدة مطوّلة سمّاها « قصيدة الجار » وقد أوردها المحقق في الإكليل[٩] .

يذكر القفطي أن الهمداني كان رجلاً محسّداً في أهل بلده وارتفع له صيت عظيم وصحب أهل زمانه من العلماء وراسلهم وكاتبهم ، ومن العلماء الذين كان يكاتبهم ويعاشرهم أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ، وأبو عمر النحوي صاحب ثعلب ، وأبو عبد الله الحسين بن خالويه . وممن كان يكرمه من ملوك اليمن ويرعى حقّه إسماعيل بن إبراهيم التّبعي الحميريّ »[١٠] .

(٨) الإكليل ٤٢٦/١ .
(٩) انظر : الإكليل ٦٣/١ .
(١٠) انباه الرواة ٢٨٠/١ – ٢٨١ .

ويصفه القفطي ويثني على علمه وسعة اطلاعه فيقول : « نادرة زمانه ، وفاضل أوانه ، الكبير القدر ، الرفيع الذكر ، صاحب الكتب الجليلة ، والمؤلّفات الجميلة . لو قال قائل : إنه لم تخرج اليمن مثله لم يَزِلّ ، لأن المنجّم من أهلها لاحظ له في الطب ، والطبيب لا يدَ له في الفقه ، والفقيه لا يدَ له في علم العربية وأيام العرب وأنسابها وأشعارها ، وهو قد جمع هذه الأنواع كلّها وزاد عليها »[11] .

ووصفه الخزرجي[12] بقوله : هو الأوحد في عصره ، الفاضل على من سبقه ، المبرّز على من لحقه ، لم يولد في اليمن مثله علماً وفهماً ، ولساناً وشعراً ، ورواية وفكراً ، واحاطة بعلوم العرب من النحو واللغة والغريب والشعر والأيام والأنساب والسير والمناقب والمثالب ، مع علوم العجم من النجوم والمساحة والهندسة والفلك »[13] .

عرف الهمداني بعصبيته الغالية للقحطانية وقد جرّت عليه هذه العصبية عداوة النزارية ، وقيل إنه عرّض بالرسول عليه السلام أثناء تعرضه للعدنانية وأنه سجن بسبب ذلك . وهو أمر مستبعد ، وربما كان في الأمر دسيسة من قِبل شعراء صعدة الذين هاجاهم الهمداني . وبدافع هذه العصبية قال قصيدة طويلة سمّاها « الدامغة » يفاخر فيها بالقحطانية ويعارض قصيدة الكميت التي فخر فيها بالعدنانية والتي أوّلها :

ألا حُيّيتِ عنا يا مَدينا وهل بأسٌ نقول مُسلّمينا

---

(١١) إنباه الرواة ١/٢٧٩ .

(١٢) الخزرجي هو علي بن الحسن الخزرجي الزبيدي (ت ٨١٢هـ) من أعلام المؤرخين اليمنيين . من كتبه : « طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن » و« العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولةالرسولية » و« العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن » .

(١٣) بغية الوعاة للسيوطي ١/٤٩٨ .

ومطلع قصيدة الهمداني :

ألا يـا دارُ لولا تنطـقـينـا فـإنـا سـائـلوك فخبِّـرينـا

كما أنه وقف الجزء الثالث من كتاب الإكليل على ذكر مفاخر قحطان .

لا تعرف سنة وفاة الهَمْداني ومكانها على وجه التحقيق ، فقد ذكر القاضي صاعد في « طبقات الأمم » ما نصّه : « وجدت بخط أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله بن الناصر عبد الرحمن الأموي أن أبا محمّد الهمداني توفي بسجن صنعاء في سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة »[١٤] . وقد تابع صاعداً في هذه الرواية طائفة من الباحثين القدامى والمحدثين . وأغفل آخرون ذكر سنة وفاته . على أن القفطي الذي أورد خبر صاعد ذكر ما يناقض هذا الخبر وهو قوله : « وسار في آخر زمانه إلى رَيْدة من البَون الأسفل من أرض هَمْدان ، وبها قبره وبقية أهله »[١٥] ، فهذا الخبر يناقض خبر صاعد أنه توفي في السجن بصنعاء ، لأنه سار في آخر حياته إلى ريدة ، ومن هنا يستدل على أنه توفي بريدة ودفن فيها . وقد استبعد الشيخ حمد الجاسر أن يموت الهمداني في صنعاء ثم ينقل جثمانه إلى ريدة وهي تبعد عنها مسافة ٢٠ ميلاً ، أي ما يقارب من مسيرة يوم للإبل ، إذ ليس من عادة العرب نقل موتاهم إلاّ في حالة الحرب[١٦] ، وهو يرجح لهذا السبب ولأسباب أخرى أن يكون الهمداني قد عاش مدة من الزمن بعد خروجه من السجن . وإلى هذا الرأي ذهب كذلك الأستاذ الأكوع محقق الإكليل واستند إلى خبر

(١٤) طبقات الأمم ص٥٩ ؛ إنباه الرواة ١/٢٨٤ .

(١٥) إنباه الرواة ١/٢٨٠ .

(١٦) مجلة المجمع المجلد ٢٥ ص٦٨ .

مرويّ في الجزء الثاني من الإكليل هذا نصه : « قال أبو محمد عبد الله بن سليمان الحلملي : رويت عن محمد هذا – أراد به محمد بن أحمد الأوساني شيخ الهمداني – سنة ست وخمسين وثلاثمئة ، وهو من عمره في ثمانين ، وكتبت عنه . وقتل في سنة ستين وثلاثمئة ، رحمه الله »(١٧) ، فإيراد الهمداني هذا الخبر في كتابه يدل على أنه عاش إلى سنة ستين وثلاثمئة على الأقل .

مؤلفاته :

للهمداني مؤلفات كثيرة ولكن أكثرها مفقود ومنها كتاب « المسالك والممالك باليمن » و« السير والأخبار » و« اليعسوب » . وقد ذكر القفطي أنه « في فقه الصيد وحلاله وحرامه والأثر الوارد فيه وكيفية الصيد وعمل العرب فيه وغريب ذلك ونحوه والشعر فيه ، وهو كتاب جيد جداً مفيد للمتأدبين »(١٨) ، وكتاب « القوى » في الطب ، وكتاب « الجواهر العتيقة » ، وكتاب « الزيج » .

ومنها القصيدة النونية « الدامغة » في فضائل قحطان ، وقد شرحها ولده ، وهي التي أحدثت له العداوة من النزارية ، وله ديوان شعر في ستة أجزاء .

من مؤلفاته التي انتهت إلينا كتاب « الإكليل » الذي سأتحدث عنه فيما يأتي ، وكتاب « صفة جزيرة العرب » وهو من أجود كتبه ، وصف فيه معالم جزيرة العرب ، ولا سيما القسم الجنوبي منها ، وصفاً يعتمد على المشاهدة لا على السماع والنظر في المؤلفات فحسب . إذ كانت له جولات شملت جميع هذه البقاع . والكتاب مطبوع بمصر بتحقيق المؤرخ محمد بن

(١٧) الإكليل ٢/٣٣٢ .

(١٨) إنباه الرواة ١/٢٨٢ .

عبد الله بن بليهد النجدي . ومنها كتاب « سرائر الحكمة » في علم النجوم ، ويذكر الأستاذ الأكوع أنه وقف على المقالة العاشرة منه واستخلص منها زمن ولادة الهمداني[١٩] .

الكتاب :

كتاب « الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير » هو أعظم كتب الهمداني ، ومما يؤسف له أن بعض أجزائه العشرة مفقود ، ووصلنا منه فقط الأجزاء الأول والثاني والثامن والعاشر ؛ وقد طبعت[٢٠] .

وقد تحدّث القفطي عن هذا الكتاب وعن موضوعات أجزائه العشرة فقال : « وكتابه في معارف اليمن وعجائبه وعجائب أهله المسمّى بالإكليل ، وهو عشرة أجزاء ، الجزء الأول في المبتدأ ونسب مالك بن حمير ، والجزء الثاني في أنساب ولد الهميسع من ولد حمير ونوادر من أخبارهم ، والجزء الثالث في فضائل اليمن ومناقب قحطان ، والجزء الرابع في سيرة حمير الأولى ، والجزء الخامس في سيرة حمير الوسطى ، والجزء السادس في سيرة حمير الأخيرة إلى الإسلام ، والجزء السابع في ذكر السيرة القديمة والأخبار الباطلة المستحيلة ، والجزء الثامن في القبوريات وعجائب ما وجد في قبور اليمن ، وشعر علقمة بن ذي جَدَن وأسعد تُبّع ، والجزء التاسع في كلام حمير وحكمهم وتجاربهم المرويّة بلسانهم والموضوع للرطانة عندهم ، والجزء العاشر في معارف هَمْدان وأنسابها ونتف من أخبارها .

(١٩) انظر مقدمة الجزء الأول من الإكليل ص٧٥ .

(٢٠) حقق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الجزأين الأول والثاني ونشرهما ، وحقق الجزء الثامن ونشره الأب أنستاس الكرملي ببغداد سنة ١٩٣١م ، ثم أعاد تحقيقه ونشره الأستاذ نبيه أمين فارس سنة ١٩٤٠م في برنستن ، وحقق الجزء العاشر ونشره بالقاهرة الأستاذ محب الدين الخطيب سنة ١٣٦٨هـ .

وهو كتاب جليل جميل ، عزيز الوجود ، لم أر منه إلا أجزاء متفرقة وصلت إليّ من اليمن وهي : الأول والرابع يعوزه يسير ، والسادس ، والعاشر والثامن . وهي على تفرقها تقرب من نصف التصنيف ، ووصلت في جملة كتب الوالد المخلّفة عنه ، حصّلها عند مقامه هناك . وقيل إن هذا الكتاب يتعذر وجوده تاماً لأن المثالب المذكورة فيه في بعض قبائل اليمن ...... وأعدم أهل كل قبيلة ما وجدوه من الكتاب وتتبعوا إعدام النسخ منه ، فحصل نقصه لهذا السبب[٢١] . وفي الجملة الأخيرة خلل فخبر (لأن) غير مذكور ، ولعل مرد الخلل إلى الناسخ .

ونستخلص من نص القفطي كذلك أن بعض أجزاء الكتاب كانت مفقودة منذ زمنه (القرن السابع الهجري) وأن سبب ذلك تعريض المؤلف ببعض قبائل اليمن . وفي ظني أن الجزء الثالث فقد بسبب تعريض المؤلف بالعدنانية فيه وتطاوله عليهم بسبب عصبيته القحطانية .

ومما تقدم يتبين لنا أن كتاب الإكليل ليس كتاباً في الأنساب فحسب وإنما يشتمل على موضوعات أخرى ، وسوف أقصر حديثي على الأجزاء الحاوية للأنساب وهي الأول والثاني والعاشر .

ففي الجزأين الأول والثاني تناول المؤلف الأنساب الحميرية ، وفي الجزء العاشر ذكر أنساب كهلان بن سبأ – الجذم الثاني من قحطان – وأنساب همدان خاصة .

وكان الجزآن الأول والثاني مفقودين إلى أن عثر عليهما الأستاذ محمد بن علي الأكوع لدى أحد أصدقائه فحققهما ونشرهما وأضاف إلى الكتاب حواشي وافية . وقد سرد في مقدمة الجزء الأول تفصيل عثوره على

(٢١) إنباه الرواة ٢٨٢/١ .

هذين الجزأين ، وكان قد عثر على مخطوطة في برلين تشتمل على هذين الجزأين ولكنها نسخة رديئة فيها بياض في مواضع كثيرة ، فنشر الجزء الأول اعتماداً عليها ، وبعد عثوره على الجزأين في اليمن أعاد نشر الجزء الأول فصحح ما وقع فيه من أغلاط في الطبعة الأولى نبهه إليها الأستاذ الشيخ حمد الجاسر في مقالات نشرها في مجلة العرب وكذلك نبهه الشيخ محمد بن علي الأشول إلى بعض الأخطاء فتداركها في هذه الطبعة ، ثم نشر الجزء الثاني سنة ١٩٦٦م .

على أن النسخة التي عثر عليها الأستاذ الأكوع لدى القاضي محمد بن عبد الله العمري ليست في الواقع عين كتاب الإكليل ، وإنما هي قسم من كتاب ألّفه الأمير اليمني محمد بن نشوان بن سعيد الحميري ، وأبوه نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ) هو أحد ملوك اليمن ومؤلف مشهور له كتاب « شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم » ومؤلفات أخرى ، وابنه الأمير محمد من أعيان علماء اليمن وشعرائها ، صنّف جملة من الكتب منها كتاب اختصر فيه كتاب أبيه شمس العلوم وسمّاه « ضياء الحلوم مختصر شمس العلوم » ، وكان على مخلاف خولان صعدة ثم قامت بينه وبين الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة حرب شارك فيها أنصارهما وانتهت بالموادعة بينهما ، ولا تعرف سنة وفاة محمد هذا .

وممّا يدل دلالة صريحة على أن الكتاب لمحمد بن نشوان ما جاء في مقدمته، بعد البسملة والحمدلة وهو قوله: « قال محمد بن نشوان بن سعيد الحميري : الحمد لله موجد الأشياء بعد العدم ، والمنفرد بأوصاف الوحدانية والقدم ... سألت أكرمك الله بأنواع كرامته ، وأعاذك من صرعة الباطل وندامته ، أن أوضّح شيئاً من أنساب حمير وأخبارها ، وما حفظ من سيرها وآثارها ، فأجبتك إلى ما سألت ، وأشفعتك منه بما طلبت ، مؤتمّاً بما ذكره

الشيخ الفاضل المؤتمن لسان اليمن ، وفائق من كان فيه من الزمن ، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني ، رحمه الله ، ممّا صحّحه من علمه الجليل ، وحققه في كتابه المعروف بالإكليل ...» .

وبعد أن يثني على الهمداني وعلمه الغزير يقول : « فأثبتُّ في النسب ما أتى به ذاكراً لما ذكره في كتابه ، غير أني اختصرت شيئاً ممّا ذكره في النسب ، ليس هو من جملته بمحتسب »[٢٢] .

وفي الكتاب أكثر من إشارة دالة على أن مؤلف الجزأين الأول والثاني اللذين عثر عليهما المحقق في اليمن ليسا عين كتاب الإكليل وإنما هما من تأليف محمد بن نشوان ، ومن ذلك مثلاً ما نجده في ص٢٩٨ من الجزء الأول وهو : « وهم الذين ذكرهم الهمداني في برية القسي » ، فهو يتحدث عن الهمداني بصيغة الغائب . وكتاب محمد بن نشوان هو اختصار لما ذكره الحسن بن أحمد الهمداني من أنساب حمير ، وقد أضاف إليه إضافات يسيرة . على أن تصريح محمد بن نشوان بأنه نقل ما في الإكليل بنصه لم يكد يغير فيه إلاّ أشياء يسيرة يأذن بأن ينظر إلى هذين الجزأين على أنهما صورة لكتاب الإكليل للهمداني ، وهذا ما فعله محقق الجزأين . وقد ألف محمد بن نشوان كتابه تلبية لطلب صديق له طلب إليه بيان أنساب حمير[٢٣] .

تحدث الهمداني في الجزء الأول عن أنساب حمير ولكنه بدأ أولاً بذكر مبدأ الخلق وتناسل ولد آدم حتى بلغ أبناء نوح ومن تناسل منهم ، ثم ذكر نسب هود عليه السلام واختلاف أقوال النسابين في نسبه واختلافهم

(٢٢) الكتاب ٨١/١ .

(٢٣) الكتاب ٨٠/١ .

كذلك في نسب قحطان وهل هو من نسل إسماعيل أو لا ، حتى انتهى إلى نسب حمير .

وفي ذكره لأنساب حمير وقف أولاً عند نسب قبيلة قضاعة ، وهي حميرية عند جمهور النسابين ، ففصّل القول في نسبها وعدّد قبائلها وبطونها ، ووقف وقفة مطوّلة عند قبيلة خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . وبذلك انتهى الجزء الأول . .

وفي الجزء الثاني استمرّ المؤلف في سرد الأنساب الحميرية ، وذكر الخلاف بين النسّابين في نسب « الصَّدِف » . وهل هم من حمير أو من حضرموت أو من كندة ، ثم أخذ في سرد نسب من تناسل من الهميسع بن حمير ، فلما فرغ من الهميسع انتقل إلى مالك بن حمير الفرع الثاني من حمير وأخذ في سرد نسب قضاعة بن مالك بن حمير على وجه الإيجاز ، ولكنه حينما بلغ قبيلة خولان وقف عندها وقفة طويلة وقال في ذلك : « قد ذكرنا قبائل قضاعة ذكراً مجملاً لشهرتها عند الناس ووقوف العامة عليها واستعمالهم لها ، وعمران قلوبهم بها وأسماعهم ، سوى خولان فإننا رأينا أن نشبع القول فيها لتلحق في التشجير والتعريف بباقي إخوتها من قضاعة ، ونحرص أن نأتي من ذلك بما يعرفه أهل نجد وبعض أهل الحجاز وكافة أهل اليمن ونجران . ومن يبلغه رحلتهم ويبلغهم رحلته . ولو كانت صعدة في القديم من البلدان التي رحل إليها أصحاب الحديث – أي الحديث النبوي – لانتشرت أخبارها كما انتشرت أخبار صنعاء ، فهذه الآن بطونها على ما روى خولان وحمير بصعدة ، وقد سكنت بها عشرين سنة فأطللت على أخبار خولان وأنسابها ورجالها كما أطللت على بطن راحتي ، وقرأت بها سجلّ محمد بن أبان الخنفريّ المتوارث من الجاهلية »(٢٤) .

(٢٤) الكتاب ١/٢٧٤ .

فهذا النص يطلعنا على أحد الدوافع التي حملت الهمداني على العناية بنسب خولان فقبيلة خولان كانت بصعدة ، ولذلك لم تعرف كما عرفت القبائل التي نزلت صنعاء . على أن هناك سبباً أخر وراء عناية الهمداني بأنساب خولان ، وهو تلك الرعاية التي أحاطته بها قبيلة خولان ورؤساؤها ابان أقامته بمدينة صعدة ، ونهوضها لمؤازرته حين سجنه الإمام العلوي حتى اضطر إلى اطلاقه .

ومما يلفت النظر هنا أن الهمداني ذكر قبيلة خولان المنحدرة من جذم قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ ، وخولان هذه لا ذكر لها في جمهرة ابن الكلبي وكتب من تابعه من النسّابين ، أمّا خولان الأخرى المعروفة بَفْكل فهي تنتسب إلى كهلان بن سبأ .

وفي سياق سرده لأنساب خولان يستطرد الهمداني إلى ذكر نسب قبيلة عَنْز بن وائل لصلتها ببعض رجال خولان ، ثم يعود إلى خولان فيتمّ سرد أنسابها . وقد استغرق ذكر نسب خولان وحدها ستين ومئتي صفحة من الجزء الأول .

والجزء الثاني وقفه المؤلف على نسب الهميسع بن حمير . ومن المحقق أن كتاب الإكليل هو أوسع مصدر لهذا النسب ، وقد استغرق نسب الهميسع الجانب الأكبر من هذا الجزء ، ولما فرغ منه أورد مشجّرة لهذا النسب ، ثم الحق بنسب حمير أبواباً تتصل بالأسماء الحميرية : ما اتفق من أسمائها في الحروف وما اختلف ، وكذلك ما اتفق في أسمائها مع أسماء قبائل أخرى ، ونحو ذلك . وبذلك تم الجزء الثاني من الكتاب .

وفي الجزء العاشر – وهو الأخير – من الكتاب ينصرف الهمداني إلى ذكر أنساب كهلان بن سبأ ، وهو الجذم الثاني من قحطان ، فيذكر أولاً

تفرّع كهلان فروعاً ثلاثة : عريباً ، ومالكاً ، وغالباً ، ثم يسرد الأنساب المتفرعة من هؤلاء . ومنها قبيلة خولان العالية (فَكْل)(٢٥) التي تنتسب إلى عمرو بن مالك بن الحارث بن مُرّة بن أُدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن كهلان .

ونسب كهلان في هذا الجزء غاية في الاختصار ، باستثناء هَمْدان ، فالمؤلف اكتفى بذكر قبائلها في صفحات قليلة ، ولم يعن بتفصيل أنسابها ، على خلاف ما صنع في ذكر الأنساب الحميرية . أمّا همدان فقد فصّل القول في أنسابها تفصيلاً لا مزيد عليه . ولا غرابة في ذلك فهي قبيلته . ويكاد يكون الجزء العاشر وقفاً على أنساب همدان .

نهج المؤلف في ذكر الأنساب :

جرى الهمداني على النهج الذي سلكه جُلّ النسّابين في التفريع من الأصول بأسلوب الجملة الفعلية التي يبدؤها بلفظ (أولدَ) أو (وَلَدَ) .

ولكن المؤلف لم يقتصر على ذكر الأنساب وإنما أضاف إليها أشعاراً وأخباراً واستطرادات كثيرة حتى لتكاد هذه الإضافات تملأ من الصفحات أكثر مما ملأته الأنساب . وجل الأشعار التي أوردها هي لشعراء يمانين وقلة منها لشعراء عدنانيين ، والمؤلف نفسه كان شاعراً والكتاب يشتمل على طائفة كبيرة من أشعاره .

مصادر الكتاب وقيمته : .

للكتاب في طبعته التي انتهت إلينا مقدمتان متداخلتان ، أولاهما

(٢٥) خولان هذه غير خولان القضاعية التي ذكرها الهمداني في الجزء الأول ، وكانت منازل خولان العالية في مخلاف يقع جنوبي صنعاء ، أما خولان قضاعة فكانت منازلها في صعدة وما حولها ، وهي التي نزل المؤلف فيها .

محمد بن نشوان الحميري ، وقد ذكر فيها أنه أخذ ما في كتاب الإكليل من أنساب حمير وأثبته في كتابه ، وتليها مباشرة مقدمة الهمداني لكتاب الإكليل ، وقد ذكر فيها مصادره في الأنساب الحميرية ، فقد أخذ جُلّ هذه الأنساب عن نسّابة حمير أبي نصر اليهري محمد بن عبد الله بن سعيد الحميري ، كما أخذ عن شيخ آخر هو محمد بن أحمد الأوساني ، واستمدّ كذلك من سجلّ كان يحتفظ به الصعديّون من قبيلة خولان القضاعية . وهو سجل محمد بن أبان الخنفري المتوارث من الجاهلية . وقد ذكره المؤلف مرّات في كتابه[٢٦] . وأخذ كذلك عن علماء آخرين وعن نسّابي القبائل التي اتّصل بها . وهو يأخذ على النسّابين الكلبيين (مثل محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام) أنهم استقصوا أنساب القبائل الحميرية التي اتصلوا بها والتي تمّت في نسبها إلى مالك بن حمير – ومنها قضاعة – في حين أنهم أغفلوا أنساب الهميسع بن حمير، يقول في ذلك: « لم أزل كلفاً بالبحث عن الأنساب ، والفحص على صحيحها ، والوقوف على سقيمها ، والتصفح لما أتى به النُسّاب ، فأخذنا عن ناسب كل قبيلة متقناً لأنسابها من قاربه وعاشره وساكنه وخالطه ، راجماً فيمن نأى عنه بالغيب ، يجمع من سيرهم الحقير ، ومن أنسابهم اليسير ، ومن علمهم وحكمهم النزر من الكثير . ويزلّ عنه منها الجمّ الغفير . ورأيت نُسّاب تلك النواحي – ولا سيما الكلبيين – استقصوا في أنساب ولد مالك بن حمير ، لما كان منهم بمرأى ومسمع ، وأتوا من نسب أخيه الهميسع بن حمير بمثل أثر في عفر ، لا دارس فيعفو ، ولا بيّن فيبدو ، لمّا قلت رحلتهم إلى من قطن منهم باليمن ، ولم يلقوا بنهوجهم من ذوي معرفتهم غير أعقاب من ظعن ، فنتف ذلك واختصر ذا ، وأتوا من أنسابها بعنق يختلف عنها بدنها ، وكذلك غيرهم من

---

(٢٦) انظر مثلاً ١/ ٢٧٤ .

النُّسّـاب ، حتى إن محمد بن إسحاق أتى ، فيا سمعنا عنه ، بنسب ولد الهميسع في خمسة أسطر ، فقلت : أين ممّن لم يزل بعدهم مُوجفاً (يقصد نفسه) يغور وينجد ، ويقرب ويبعد . في طلب من يعلم ذلك على كماله . مثل شيخ حمير ونابها وعلامتها وحامل سفرها ووارث ما ادّخرته ملوك حمير في خزائنهـا ، من مكنون علمهـا ، وقارىء مسـانـدها ، والمحيط بلغاتها ، أبي نصر محمـد بن عبـد الله بن سـعيـد ... ويشـهر بصنعـاء بأبي نصر الحنبصي ... فمـا أخذته عنـه ما أثبتّه في كتـابي هذا من أنسـاب بني الهميسع بن حمير وعدّة الأذواء ، وبعض مـا يتبع ذلك من أمثال حمير وحكمها ، إلا ما أخذته عن رجال حمير وكهلان من سجلّ خولان القديم بصعدة ، وعن علماء صنعاء وصعدة ونجران والجوف وخيوان ، وما خبّرني به الآباء والأسلاف »[٢٧] .

لكتاب الإكليل قيمة كبيرة في بيان أنساب حمير وهمدان ، فليس بين أيدينا مصدر عنهما أوفى مما ذكره الهمداني في كتابه . وابن الكلبي لم يعن في كتابه إلا بأنساب مالك بن حمير ، أما نسب الهميسع بن حمير فهو غاية في الإيجاز ، وقد علل الهمداني جهله به بعدم ارتحاله إلى اليمن واتصاله بنسّـابيها ، وقد أتيح للهمداني من مصادر الأنساب الحميرية ما لم يتح لسواه من علماء النسب .

إلى ذلك نجد في الأجزاء التي تحدثت عنها أخباراً عن اليمن وملوكها وأحداثها وأشعاراً لشعراء اليمن الذين استقرّوا فيها ولم يرتحلوا إلى مواطن أخرى ، وأشعاراً لغيرهم . فهو إذن مرجع في الأنساب والتاريخ والأدب لا نظير له في مصنفات اليمنيين .

---

(٢٧) الكتاب ٨٣/١ .

تحقيق الكتاب يفتقر إلى مزيد من العناية ، فقد وقع المحقق في أخطاء كثيرة لا موضع لتعدادها هنا ، وكذلك لم يخل الجزء العاشر الذي حققه الأستاذ محبي الدين الخطيب من بعض الأخطاء ، وقد نبه الأستاذ حمد الجاسر إلى طائفة منها في مقالته في مجلة المجمع[٢٨] ، والإنصاف يقتضينا أن نشيد بما بذله المحققان من جهد كبير في التحقيق ، فليس من اليسير تحقيق كتب علماء اليمن لغرابة ما فيها من أسماء أعلام الأشخاص والأماكن وصعوبة التثبت من ضبطها ، بالقياس إلى قبائل شمالي الجزيرة وبلاد الشام . ونرجو أن يسعف الدهر بالعثور على سائر أجزاء الكتاب المفقودة فهو على الجملة موسوعة عظيمة الفائدة عن اليمن وقبائلها وأخبارها ولغاتها وشعرائها.



(٢٨) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٢٥ الجزء الأول سنة ١٩٥٠م ص٦٢ وما بعدها .

كتب الأنساب العربية

- ١١ -

الدكتور إحسان النص

ثالثاً - كتب المؤتلف والمختلف في أسماء القبائل

هذا لون من التأليف في الأنساب رأينا إضافته إلى كتب الأنساب التي سبق ذكرها إتماماً للفائدة، فقد حرص مؤلفو هذه الكتب على ذكر ما اتفق لفظه من أسماء القبائل العربية مع بيان الأصول المختلفة التي ترجع إليها هذه القبائل، دفعاً للبس. فثمة أسماء تتفق فيها طائفة من القبائل ويلتبس الأمر على القارئ، ومن المفيد أن يُبيَّن له اختلاف هذه القبائل في أصولها مع اتفاق أسمائها، وهذا هو المقصود بلفظ «المؤتلف»، من ذلك مثلاً قبيلة «خَولان»، فثمة قبيلتان بهذا الاسم أولاهما: خَوْلان بن عمرو بن الحاف، من قضاعة بن مالك بن حمير، والثانية خَولان بن عمرو بن مالك ... بن كهلان بن سبأ، وكلتاهما من قبائل قحطان.

والنوع الثاني هو ما تشابه لفظه من أسماء القبائل وهو «المختلف» مثل: حَطَمة في عبد القيس وخَطَمة في طيئ.

• • •

كتاب «مختلف القبائل ومؤتلفها»

لأبي جعفر محمد بن حبيبَ

....- ٢٤٥ هـ

المؤلف*

أبو جعفر محمد بن حبيبَ بنت أمية بن عمرو البغدادي الهاشمي بالولاء، لاتعرف سنة مولده، وأكثر من ترجموا له يذكرون أنه نسب إلى أمه حبيبَ ولا يُعرف اسم أبيه، وخالفهم السهيلي في الروض الأنف وقال إن اسم أبيه معروف وهو المحبَّر، وهذا وهم من السهيلي وقد أوقعه فيه أن ابن حبيب يقال له «المحبَّري» نسبة إلى كتابه المعروف بالمحبَّر. وكانت أمه مولاة لمحمد بن العباس بن محمد الهاشمي.

لا نملك أخباراً وافية عن نشأته وحياته، وإنما نعلم أنه أصبح بعد أن شبَّ ونمت ثقافته من علماء بغداد المشهورين، وأنه عمل مؤدباً لولد العبّاس بن محمد، وكانت ثقافته متنوعة الآفاق، ولكنه تعمق خاصة في الأنساب واللغة والشعر والأخبار، روى كتب ابن الأعرابي وابن الكلبي وقطرب وأبي عبيدة وأبي اليقظان عامر بن حفص. ويبدو أنه استمدّ جُلّ معارفه من كتب العلماء واللغويين والنسّابين. أخذ عنه طائفة من العلماء، أشهرهم أبو سعيد السُكّري (ت ٢٧٥ هـ) فقد روى عن ابن حبيب طائفة من دواوين الشعراء. توفي بسامراء سنة ٢٤٥ هـ.

---

* من مصادر ترجمته: الفهرست لابن النديم ص١٥٥؛ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢٧٧/٢؛ الروض الأنف للسهيلي ٣١٤/١؛ معجم الأدباء لياقوت الحموي ١١٢/١٨؛ اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ١٠٤/٣؛ تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه للفيروزابادي، في سلسلة نوادر المخطوطات تح. عبد السلام هارون ١٠٨/١؛ بغية الوعاة للسيوطي ١٢٦/١.

ترك ابن حبيب مصنفات كثيرة كانت صدى ثقافته المتنوعة الواسعة ، وقد وثّقه أكثر العلماء في مؤلفاته ، إلا أن المرزباني اتّهمه بالإغارة على كتب العلماء وادعائها لنفسه[١] ، ولا ندري صحة هذه التهمة .

من أشهر مصنفاته كتاب « المحبّر » ، وإليه نسب ابن حبيب فقيل له : المحبّري . والكتاب يحوي أخباراً متفرقة عن العرب في جاهليتهم وإسلامهم ، وكثير من هذه الأخبار لانجده في مصادر أخرى .

وكتاب « المنمّق » في أخبار قريش خاصة .

وكتاب « مؤتلف القبائل ومختلفها » الذي سأتحدث عنه فيما يأتي . وله في الأنساب كذلك كتاب « النسب » ، وكتاب « العمائر والقبائل » وكتاب « الشعراء وأنسابهم » وكتاب « أعيان أمهات بني عبد المطلب » وكتاب « أمهات السبعة من قريش » وكتاب « الأرحام التي بين رسول الله (ص) وأصحابه سوى العصبة » . وذكروا أن له كتاباً ضخماً سماه «كتاب القبائل الكبيرة والأيام » جمعه للفتح بن خاقان ، وقد رأى ابن النديم نسخة منه وقدّر أنه يقع في أربعين جزءاً ، في كل جزء مئتا ورقة ، وهذا الكتاب لم يصل إلينا .

ومن مؤلفاته في مجال الشعر والشعراء كتاب « المذهب في أخبار الشعراء وطبقاتهم » وكتاب « نقائض جرير وعمر بن لجأ » وكتاب «نقائض جرير والفرزدق» ، وكتاب « كنى الشعراء » .

ومن الدواوين التي صنعها: ديوان زفر بن الحارث ، وشعر الأُقيشر ، وشعر لبيد بن ربيعة ، وشعر الصمّة القشيري . وإذا عدنا إلى الدواوين

---

(١) انظر معجم الأدباء لياقوت ١٨/١١٣ .

التي صنعها السكّري نجد طائفة كبيرة منها مروية عن ابن حبيب .

ولم تقف عناية ابن حبيب بالتأليف عند هذين المجالين وإنما له إلى ذلك كتب في موضوعات أخرى منها كتاب «غريب الحديث» و«الموشّى» و«تاريخ الخلفاء» و«مقاتل الفرسان» و«الخيل» و«النبات» . وجل هذه المؤلفات لم يصل إلينا .

الكتاب :

نسخة الكتاب التي وصلت إلينا ليس لها مقدمة وإنما تبدأ بعبارة : «قال أبو الحسن : قرأ علينا أبو القاسم الحَجَبيّ قال : قال أبو جعفر محمد بن حبيب ، رحمه الله» .

ويلي ذلك أسماء القبائل المؤتلفة والمختلفة ، وقد بدأ بقبائل : حُدّان ، وحَدّان ، وجَدّان ، وخَدّان . على أن ابن حبيب لم يلتزم التسلسل الألفبائي في ذكر القبائل وإنما أوردها كيفما اتفق . كما أنه لم يلتزم ذكر القبائل المتفقة في أسمائها أولاً ثم القبائل المختلفة في أسمائها ، وإنما خلط هذه بتلك .

ومن القبائل المتفقة في أسمائها مع اختلاف أصولها التي أوردها ابن حبيب : سَدُوس ، وأسلُم ، وزبّان ، وزَبّان ، وربّان ، وضبّة ، ويشكر .

ومن القبائل المتقاربة في أسمائها باختلاف في النقط أو الشكل : حُدّان وحَدّان ، شَقِرة وشَقْرة وشُقْرة ، عاصرة وغاضِرة ، حَرام وحِزام .

جاء في آخر النسخة مايأتي : «تمّ كتاب مختلف القبائل ومؤتلفها ، تأليف أبي جعفر محمد بن حبيب على يد أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي الشافعي بمكة المشرّفة في يوم الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثمانمئة» . فالنسخة التي وصلت إلينا كتبت في

القرن التاسع الهجري ، وكاتبها هو العالم المشهور أبو العباس أحمد بن علي المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ .

قيمة الكتاب تكمن في ضبط أسماء طائفة من القبائل وتصحيح ماأصاب بعضها من التصحيف ، وبيان المتفق منها في الاسم والمتشابه ، وفي هذا فائدة كبيرة للباحث في أنساب القبائل .

نشر الكتاب للمرة الأولى المستشرق الألماني فردناند وستنفلد (١٨٠٨ - ١٨٩٩) سنة ١٨٥٠ في مدينة غوتنجن بألمانيا عن نسخة بخط المؤرخ المقريزي كتبها قبل وفاته بست سنوات ، ولم يعثر الباحثون على نسخة أخرى لهذا الكتاب.

ثم أعاد طبع الكتاب الأستاذ حمد الجاسر سنة ١٩٨٠عن طبعة وستنفلد لأنه لم يجد مخطوطة له يعتمدها ، ونشر معه كتاب « الإيناس » للوزير المغربي . وقد صحح الأستاذ الجاسر بعض ماوجده من أخطاء الضبط في طبعة وستنفلد .

كتاب
الإيناس في علم الأنساب

للوزير المغربي

(٣٧٠ - ٤١٨ هـ)

المؤلف*

* من مصادر ترجمته:

مقدمة كتاب « أدب الخواص » للوزير المغربي تحقيق الأستاذ حمد الجاسر ومقدمة=

أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين المغربي المعروف بابن الوزير ، وبالوزير المغربي ، قيل له ابن الوزير لأن أباه علياً وزر للحاكم بأمر الله الفاطمي ولسيف الدولة الحمداني ولسعد الدولة الحمداني ، وقيل له الوزير لأنه تولى الوزارة حقبة من الزمن لمشرف الدولة البويهي .

أما نسبته « المغربي » فلا تدل على أن أصله من المغرب ، وإنما أطلقت عليه هذه النسبة لأن أحد أجداده وهو أبو الحسين علي بن محمد كان يتولى ديوان المغرب فنسب إليه هو وأولاده من بعده . وهو في حقيقة الأمر فارسي الأصل ، ويزعم أنه من سلالة آل ساسان ملوك الفرس ، من ولد بهرام جُور، إلا أن من الباحثين من يشك في صحة انتمائه الى آل ساسان ، ويرى أن المغربي اصطنعه مضاهاة لنسب آل بويه ، أولي السلطان الواسع في عصره في العراق وبلاد فارس ، فجعل نسبه يلتقي نسبهم في الجد الثاني عشر الفارسي(٢) .

كان أبو القاسم من الشيعة ، وهذا يفسر اتصال أسرته بالحمدانيين والفاطميين . وينقل ابن العديم في تاريخ حلب أنه وجد في رسائل ابن الوزير أن أصل قومه من البصرة ، ثم انتقلوا الى بغداد فبلاد الشام فمصر ،

=كتاب الإيناس تحقيق الأستاذ حمد الجاسر ؛ معجم الأدباء لياقوت ج ٧٩/١٠ . وفيات الأعيان لابن خلكان تح . إحسان عباس ١٧٢/٢ ؛ لسان الميزان لابن حجر ط . حيدر أباد سنة ١٣٣١ هـ ٣٠١/٢ ؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد العكْري ٢١٠/٣ ، بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ٢٥٣٢/٦ . تحيق : د. سهيل زكار ، دمشق ١٩٨٨ .

(٢) انظر : مقدمة كتاب الإيناس ص ٩ .

وانتهى المطاف بهم الى حلب في خدمة سيف الدولة[٣] . وقد غلب جدّه وأبوه على سيف الدولة وكتبا له ووزر أبوه له .

وفي حلب ولد أبو القاسم سنة سبعين وثلاثمئة للهجرة ، خلافاً لما ذكره ابن الأثير[٤]، وظلّ مقيماً بها إحدى عشرة سنة انتقل بعدها الى مصر مع أبيه وأسرته ، وامتدت إقامته فيها قريباً من عشرين سنة ، وكانت هذه الحقبة أخصب سني حياته إذ انصرف فيها إلى طلب العلم وتصنيف الكتب، وكانت مادة ثقافته متنوعة : دينية وأدبية ولغوية ونحوية وتاريخية وعلمية.

وقد تجلت مواهب أبي القاسم ونبوغه وذكاؤه في وقت مبكّر ، حسبما يستخلص ممّا قيده والده علي بن الحسين على ظهر مختصر إصلاح المنطق ، فقد ذكر ابن خلّكان أنه وجد في بعض المجاميع ماصورته : « وجد بخط والد الوزير المعروف بالمغربي على ظهر مختصر إصلاح المنطق الذي اختصره ولده الوزير ما مثاله : وُلد ـ سلّمه اللّه تعالى وبلّغه مبالغ الصالحين ـ أول وقت طلوع الفجر من ليلة صباحها يوم الأحد الثالث عشر من ذي الحجّة سنة سبعين وثلاثمئة ، واستظهر القرآن العزيز وعدّة من الكتب المجرّدة في النحو واللغة ونحو خمسة عشر ألف بيت من مختار الشعر القديم ، ونظم الشعر وتصرّف في النثر وبلغ من الخط الى مايقصر عنه نظراؤه ، ومن حساب المولد والجبر والمقابلة ، إلى مايستقلّ به الكاتب ، وذلك كله قبل استكماله أربع عشرة سنة . واختصر

(٣) انظر : مقدمة كتاب أدب الخواص . تح . حمد الجاسر ص ١١ .

(٤) الكامل لابن الأثير ٩/٣٣١ .

هذا الكتاب - أي كتاب إصلاح المنطق - فتناهى في اختصاره وأوفى على جميع فوائده حتى لم يفته شيء من ألفاظه، وغيّر من أبوابه ماأوجب التدبير تغييره للحاجة إلى الاختصار، وجمع كل نوع إلى مايليق به ...»(٥).

عاش ابن المغربي حياة مضطربة، وانتابه من الأحداث ماحمله على التنقل بين مختلف الأقطار، وجرفته السياسة في تيّارها فكان نجمه يتألق تارة ويخبو تارة أخرى. وتذكرنا حياته هذه المضطربة من جرّاء انصرافه إلى السياسة بحياة ابن خلدون بعده، ولو أن هذين العالمين انصرفا إلى العلم والتأليف فحسب لكان لهما في المجال العلمي والتأليف في مختلف جوانب المعرفة شأن أي شأن.

كان لجدّه وأبيه حظوة لدى سيف الدولة، وبعد وفاته وتولّي سعد الدولة تبوأ أبوه وزارته ثم حدثت جفوة بينهما ففارقه إلى مصر سنة ٣٨١هـ وعمل في خدمة العزيز الفاطمي(٦)، فأنفذه سنة ٣٨٤ هـ لقتال سعيد الدولة ابن سعد الدولة الحمداني مع قائد جيشه بنجوتكين، ولما تولّى الحاكم بأمر الله وزر له أبو الحسن والد الوزير المغربي، ثم حدث ما أغضب الحاكم عليه فقتله سنة ٤٠٠ هـ وقتل معه اثنين من أبنائه وأخاه. وفي الحقبة التي عاشها الوزير المغربي في مصر انصرف إلى طلب العلم وإلى التأليف، فاختصر وهو في الرابعة عشرة كتاب إصلاح المنطق لابن السكّيت وسمّاه «المنخّل» وأرسل نسخة منه إلى أبي العلاء المعرّي فكتب إليه أبو العلاء رسالتين هما: «الرسالة الإغريضية» و «الرسالة

---

(٥) وفيات الأعيان ١٧٣/٢.

(٦) زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم ١٨٩/١.

المنيحية » ، وهذا ينبئ بمقدرة الوزير المغربي اللغوية التي حملت أبا العلاء على مراسلته . وفي مصر أخذ أبو القاسم عن طائفة من الشيوخ في مقدمتهم أبوه علي بن الحسين ، والحافظ عبد الغني بن سعيد والعالم اللغوي جنادة بن محمد .

وبعد مقتل أبيه وأخويه وعمه اضطر أبو القاسم إلى الفرار من مصر إلى الرملة بفلسطين عائذاً بالمتغلّب عليها حسّان بن مفرّج من آل الجرّاح الطائيين، وسعى في إفساد مابين آل الجرّاح والحاكم وزيّن لحسّان مبايعة أمير مكة أبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي بالخلافة، فوافقه آل الجرّاح في ذلك وأنفذوه إلى مكة، فقدمها واستطاع إقناع صاحبها أنه أولى من الفاطميين بالخلافة وأن في وسعه الاستيلاء على الديار المصرية. فوافقه على ذلك وتلقّب بالراشد بالله وبايعه أهل مكة، فسار إلى ابن الجرّاح بالرملة فتلقّاه ابن مفرّج ومن شايعه وسلّموا عليه بالخلافة. فلما بلغ النبأ الحاكم اضطرب وقلق وأرسل إلى آل الجرّاح أموالاً كثيرة فتخلوا عن الحسن بن جعفر واضطرّ هذا إلى مفارقتهم والعودة الى مكة ناقماً على الوزير المغربي لتوريطه في هذا الأمر.

وعلى أن الحاكم كتب كتاب أمان لابن المغربي فإنه لم يطمئن إليه وتوجّه إلى العراق واتّصل بوزير البويهيين فخر المُلك محمد بن علي بن خلف . ولكن الخليفة العباسي القادر بالله كان سيئ الظن بابن المغربي فأمر فخر الملك بإقصائه عنه خوفاً من إفساده أمر الدولة . ومالبث فخر الملك أن قُتل فلجأ ابن المغربي إلى معتمد الدولة قرواش بن المقلّد العُقيلي بالموصل وتولّى الكتابة له ، ولكن الخليفة القادر لم يدعه يستقر لدى قرواش فقد أمره بإبعاده . وفي سنة ٤١٥ هـ تقلّد ابن المغربي الوزارة

لشرف الدولة البويهي من غير خلع ولا لقب ، واستطاع أن ينال رضى الخليفة القادر بعد أن كتب له كتاباً يظهر فيه مخالفته للفاطميين ، ولكن مدّة وزارته لم تطل لفساد الأمور بينه وبين الجند الأتراك المتسلطين على الأمور ببغداد فتخلى عنها في العام نفسه ، وتنقّل بين الأمراء حتى انتهى آخر الأمر الى ميّافارقين فأقام عند سلطانها أحمد بن مروان الكردي وزيراً له حتى وفاته سنة ٤١٨ هـ . وقد حمل جثمانه إلى الكوفة بوصية منه ودفن في تربة مجاورة لمشهد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

مكانته ومؤلفاته :

وصف أبا القاسم عارفوه بالدهاء وسعة الحيلة والطموح وأشادوا بمكانته العلمية ومقدرته الأدبية واللغوية وبراعته الكتابية وقد أثنى عليه ابن بسّام في الذخيرة ثناءً مبالغاً فقال : « كان أبو القاسم نجماً مطالعُه الدُول ، وبحراً عُبابه القول والعمل ، وروضة تقوت القلوبَ نفحاتُها ، وتقيد الأبصار صفاتها وموصوفاتها ، أما العلماء فعيال عليه ، وأما العظماء فلُعب في يديه ، وأما الأقلام فبعض شيعه وأنصاره ، وأما الأقاليم فبين إيراده وإصداره ، وأما مكانه من العلم الحديث والقديم وسَبقُه إلى غايتي المنثور والمنظوم وإقدامُه على المهالك ، وتلاعُبه بالأملاك وبالممالك ، فأشهر من الصباح ، وأسيرُ من الرياح[(٧)] . ووصفه ابن العديم بقوله : « وفضائله جمة، لكنه كان جسوراً متهوّراً سيئ التدبير، متكبراً . »[(٨)].

(٧) الذخيرة ، القسم الرابع من المجلد الثاني : ص ٤٧٥ تح . إحسان عباس ليبيا - تونس ١٩٨١ ؛ مقدمة أدب الخواص ص ٢٩ .

(٨) بغية الطلب ٢٥٣٣/٦ .

ترك ابن المغربي مؤلفات شتى منها:

- اختصار الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلاّم
- اختيار شعر أبي تمام
- اختيار شعر البحتري
- اختيار شعر المتنبي
- أدب الخواص حققه ونشره الأستاذ حمد الجاسر بالرياض سنة ١٩٨٠ .
- تفسير القرآن
- رسالة في السياسة حققها المرحوم الدكتور سامي الدهان ونشرها بدمشق سنة ١٩٤٨ م .
- المنخَّل وهو اختصار لكتاب إصلاح المنطق لابن السكّيت .
- ديوان شعره
- الإيناس وهو الكتاب الذي نحن بصدده .

الكتاب :

وضّح المؤلف في مقدمة كتابه الدافع إلى تأليف الكتاب ومنهجه فيه فقال : « نكتب إن شاء الله في هذا الكتاب مايحضُرنا ذكره من الأسماء التي تشاكلت بعض التشاكُل ، وبقي بينها من الفرق مايرتفع اللَّبْسُ بإيضاحنا إيّاه ، مثل فَهْم وفَهْم .

ومن الأسماء التي ألفاظُها لِداتٌ لاتختلف ، وأشكال لاتفترق ، فنعتمد بإيرادها الدلالة على اتفاقها ، وإيمان القارئ من ذُعر الشكّ فيها ، مع مانظنّه من حُسن موقع اجتماعها، مثل بكر بن وائل من عدنان ، وبكر

ابن وائل من قحطان .

ومن الأسماء الأفراد التي وضعت وضعاً مُشكِلاً ، فَيُخاف على القارئ تصحيفُها ، مالم يكن في علم النسب مُبرِزاً ، مثل شُمس ، ومثل أبي خَلْدة ، ومثل شَهل بن شَيبان .

ونُورد ذلك على حروف المعجم ليقرب مُتناوله ، ويَذلَّ مجتناه .

ونحن نرى أن الأديب المتوسط الرُّتبة في الأدب إذا صرَف إلى هذا التعليق جانباً من عنايته أمِن التصحيف في جميع الأنساب العربية بتوفيق الله .

ولم يخلُ مع ذلك من مُتعة ثاقبة ، وأبيات شعر حسنة ، نتصيّد له ذِكرها بالأسماء المتعلقة بها .

وحملنا على إثبات هذا التعليق استحساننا صنيع أبي جعفر محمد ابن حبيبَ في كتابه الذي سمّاه « المؤتلف والمختلف » ، فإنه لَحَب لنا هذه السبيل التي كان عليه استفتاحُها ، وعلينا إكمالُها وإيضاحُها ..»[٩]

فقد أغنانا المؤلف بهذه المقدمة عن بيان الباعث على تأليف كتابه وخطته فيه ، فأثبت في كتابه أسماء القبائل المتشابهة مع ردّها إلى أصلها وكذلك أسماء القبائل المتفقة في لفظها مع اختلاف أصولها . وضمّن كتابه شيئاً يسيراً من الشعر . فالكتاب يفيدنا في ضبط أسماء طائفة من القبائل لدفع اللبس في نطقها مع ردّها إلى أصولها . وقد اقتفى خطا ابن حبيب في كتابه « المؤتلف والمختف » ورتب كتابه على حروف المعجم.

---

(٩) مقدمة كتاب الإيناس ص ٥٥ .

وقد أتى على ذكر مافي كتاب ابن حبيب وأضاف إليه أسماء كثيرة فجاء كتابه أوسع من كتاب ابن حبيب وأكثر تفصيلاً ، ففي الحديث عن حُبَيِّب مثلاً ذكر ابن حبيب ثلاث قبائل بهذا الاسم باختصار ، أما الوزير المغربي فذكر قبيلتين فقط ولكنه فصّل القول في بطن حُبَيِّب اليشكري بذكر أحد من ينتمي إلى هذا البطن وهو باعث بن صريم بن أسد وذكر خبر يتصل بأحد أجداده وأورد مقطوعة لكل من باعث بن صريم وأُبي بن مسعود اليشكري بهذه المناسبة .

ولكتاب الوزير المغربي ميزة على كتاب ابن حبيب غير التوسع والتفصيل هي ترتيبه أسماء القبائل على حروف المعجم ، وابن حبيب لم يلتزم هذا الترتيب . على أن الوزير المغربي جرى على حروف المعجم في الترتيب الخارجي فقط ، أما في داخل كل حرف فلم يلتزم التتابع في الأحرف التي تلي الحرف الأول .

حقق الكتاب الأستاذ حمد الجاسر اعتماداً على ثلاث مخطوطات: مخطوطة المتحف البريطاني ، ومخطوطة مكتبة شستر بيتي في دبلن ، ومخطوطة ابن مكتوم المحفوظة في الخزانة التيمورية في دار الكتب المصرية . ونشر الكتاب مع كتاب المختلف والمؤتلف لابن حبيب بدار اليمامة بالرياض سنة ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ .

ملحوظة :

اقتصرنا من كتب المؤتلف والمختلف على الكتب المتصلة بأسماء القبائل ، وثمة كتب أخرى في المؤتلف والمختلف تتصل بأسماء الأشخاص ، ولم نعرض لها لأنها ليست ذات صلة بموضوع الأنساب ،

على أنها ربما اشتملت على أسماء بعض القبائل ، وأوفى هذه الكتب وأوسعها كتاب «الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب» للأمير الحافظ ابن ماكولا (ت ٤٧٥ هـ) .
كما أننا لم نعن بالحديث عن كتب أنساب الرجال مثل كتاب «الأنساب» للسمعاني لأن بحثنا مقصور على أنساب القبائل .

• • •

